كتاب الأذكار

فصل
فى فضل الذكر

وقوله ﷺ :«وآمُرُكُم أنْ تَذْكُرُوا اللّه تعالى ، فإنَّ مثل ذلك كمثل رجُل خرج العدوُّ فى أثَره سرَاعاً ،حتى إذا أتى إلى حصن حصين ،فأحرز نفْسهُ منهم ،كذلك العبدُ لا يُحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر اللّه » (١) :فلو لم يكن فى الذكر إلا هذه الخصلة الواحدة ، لكان حقيقاً بالعبد ألا يفتر لسانه من ذكر الله تعالى ، وألا يزال لهجاً بذكره، فإن لا يحرز نفسهُ من عدوه إلا بالذكر ،ولا يدخل عليه العدو إلا من باب الغفلة ،فهو يرصده ، فإذا غفل وثب عليه وافترسه ،وإذا ذكر اللّه تعالى انخنس عدو اللّه تعالى وتصاغر ، وانقمع، حتى يكون كالوصع(٢) وكالذباب ،ولهذا سمى ﴿ الْوَسْوَاسِ الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ ﴾ [الناس] أى يوسوس فى الصدور ، فإذا ذكر الله تعالى خنس ، أى : كف وانقبض .

وقال ابن عباس : الشيطان جاثم على قلب ابن آدم، فإذا سها وغفل وسوس ، فإذا ذكر اللّه تعالى خنس .

وفى « مسند الإمام أحمد » عن عبد العزيز بن أبى سلمة الماجشون ، عن زياد بن أبى زياد مولى عبد الله بن عياش بن أبى ربيعة ، أنه بلغه عن معاذ بن جبل قال : قال رسول الله ﷺ :« ما عمل آدَمى عملا قطُّ أنْجَى لهُ من عذاب اللّه من ذكْر اللّه عزَّ وجلَّ » .

وقال معاذ: قال رسول اللّه ﷺ :« ألا أخبركم بخيْر أعْمالكم وأزكاها عند مليككُم، وأرْفعها فى درجاتكم ،وخيرٌ لكُمْ من إنفاق الذَّهب والفضَّة ،ومنْ أن تلقُوا عدوَّكُمْ فتضرِبُوا أعناقهُم ، ويضربوا أعناقكم ؟ » ، قالوا : بلى يا رسول اللّه . قال:«ذكرُ اللّه عزَّ وجل »(٣) .

وفى « صحيح مسلم » ،عن أبى هريرة قال: كان رسُولُ اللّه ﷺ يسيرُ فى طريقِ مكة، فمرَّ على جبل يُقال لهُ : جُمْدان،فقال: « سيروا، هذا جمدان ، سبق المُفَرِّدون » . قيل : وما المفرِّدون يا رسول اللّه ؟ قال : « الذَّاكرُون اللّه كثيرا والذاكرات »(٤) .

---

(١) الترمذى (٢٨٦٣) فى الأدب ، باب: ما جاء فى مثل الصلاة والصيام والصدقة .وقال: «حسن صحيح غريب » .

(٢) طائر أصغر من العصفور .

(٣) أحمد ٥/ ٢٣٩ .

(٤) مسلم (٢٦٧٦ / ٤) فى الذكر ، باب : الحث على ذكر اللّه .

وفى« السنن » عن أبى هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه ، إلا قاموا عن مثل جيفة حمارٍ ،وكان عليهم حسرة»(١).

وفى رواية الترمذى :« ما جَلَسَ قوم مجلساً لم يذكروا الله فيه ،ولم يُصَلُّوا على نبيهم إلا كان عليهم تِرَة ، فإن شاء عذَّبهم ، وإن شاء غفر لهم » (٢).

وفى «صحيح مسلم»،عن الأغرِّ أبى مسلم قال:أشهدُ على أبى هريرة وأبى سعيد، أنهما شهدا على رسول الله ﷺ أنه قال:«لا يقعُدُ قومٌ فى مجلسٍ يذكُرُون الله فيه إلا حفَّتهم الملائكةُ ،وغَشيتْهُم الرَّحْمةُ ،ونزلتْ عليهمُ السَّكينةُ ،وذكرهُمُ الله فيمنْ عندهُ »(٣).

وفى الترمذى عن عبد الله بن بسر أن رجلا قال: يا رسول الله ، إنَّ أبواب الخيْر كثيرة ،ولا أستطيع القيام بكُلِّها ، فأخبرْنى بشيءٍ أتشبَّثُ به ، ولا تُكْثِرْ علىَّ فأنْسى . وفى رواية : إنَّ شرائع الإسلام قدْ كثُرت علىّ ،وأنا قد كبِرْتُ ، فأخبرنى بشيءٍ أتشبَّثُ به . قال:« لا يزالُ لسانُك رطباً بذكر الله تعالى » (٤).

وفى الترمذى أيضا عن أبى سعيد ، أن رسول الله ﷺ سُئل: أىُّ العبادِ أفضلُ وأرْفَعُ درجةً عند الله يومَ القيامة ؟ قال: الذَّاكرُون الله كثيرا» ، قيل: يا رسول الله ، ومن الغازى فى سبيل الله ؟ قال:« لو ضرب بسيفه فى الكُفار والمُشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الذاكرون الله أفْضل منهُ درجةً »(٥) .

وفى « صحيح البخارى» ، عن أبى موسى ، عن النبى ﷺ قال: « مثلُ الذى يذْكُرُ ربَّهُ ، والذى لا يذْكُر ربَّهُ . مثلُ الحىِّ والميت » (٦).

وفى « الصحيحين » عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :« يقُولُ اللَّهُ تبارك وتعالى : أنا عند حسن ظن عبْدى بى ، وأنا معهُ إذا ذكرنى ،فإنْ ذكرنى فى نفسه ، ذكرتُهُ فى نفسى ، وإنْ ذكرنى فى ملأٍ ، ذكرتُهُ فى ملأٍ خيْر منهُم ،وإنْ تقرَّب إلىّ شبرا تقرَّبتُ

(١) أبو داود (٤٨٥٥) فى الأدب ، باب : كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله .
(٢) الترمذى (٣٣٨٠) فى الدعوات ، باب : القوم يجلسون ولا يذكرون الله ، وقال: « حسن صحيح » .
(٣) مسلم (٢٧٠٠ / ٣٩) فى الذكر والدعاء والاستغفار ، باب : فضل الاجتماع على تلاوة القرآن .
(٤) الترمذى (٣٣٧٥) فى الدعوات ،باب : فضل الذكر ، وقال: « حسن غريب » .
(٥) الترمذى (٣٣٧٦) فى الدعوات ، باب (٥) ، وقال : « غريب »، وضعفه الألبانى .
(٦) البخارى (٦٤٠٧) فى الدعوات ، باب : فضل ذكر الله عز وجل .

إليه ذراعا ، وإنْ تقرب إلىَّ ذِراعاً ، تقرَّبتُ منهُ باعاً ،وإذا أتانى يمشى ، أتيتُهُ هرولة » (١).

وفى الترمذى عن أنس ،أن رسول اللّه ﷺ قال:« إذا مررْتُم برياض الجنَّة فارتَعُوا » قالوا : يا رسُول اللّه ، وما رياضُ الجنَّة ؟ قال: « حِلقُ الذِّكْر » (٢).

وفى الترمذى أيضاً عن النبى ﷺ، عن اللّه عز وجل أنه يقول :« إنَّ عبْدى كُلَّ عبْدى الذى يذْكرنى وهو مُلاقٍ قرنهُ » (٣).

وهذا الحديث هو فصل الخطاب فى التفضيل بين الذاكر والمجاهد ،فإن الذاكر المجاهد أفضل من الذاكر بلا جهاد والمجاهد الغافل ، والذاكر بلا جهاد أفضل من المجاهد الغافل عن اللّه تعالى .

فأفضل الذاكرين المجاهدون، وأفضل المجاهدين الذاكرون .

قال اللّه تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيراً لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ** ﴿٤٥﴾] الأنفال]، فأمرهم بالذكر الكثير والجهاد معاً ، ليكونوا على رجاء من الفلاح، وقد قال تعالى: ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً** ﴿٤١﴾ ﴾[الاحزاب]،وقال تعالى: ﴿**وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ**﴾[الاحزاب:٣٥] أى :كثيراً ،وقال تعالى: ﴿**فَإِذَا قَضَيْتُم مَّنَاسِكَكُمْ فَاذْكُرُوا اللَّهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ أَوْ أَشَدَّ ذِكْراً**﴾ [البقرة : ٢٠٠] .

ففيه الأمر بالذكر بالكثرة والشدة لشدة حاجة العبد إليه ،وعدم استغنائه عنه طرفة عين، فأى لحظة خلا فيها العبد عن ذكر الله عز وجل كانت عليه لا له ، وكان خسرانه فيها أعظم مما ربح فى غفلته عن اللّه .

وقال بعض العارفين :لو أقبل عبد على اللّه تعالى كذا وكذا سنة ،ثم أعرض عنه لحظة، لكان ما فاته أعظم مما حصله .

وذكر البيهقى عن عائشة ،عن النبى ﷺ أنه قال:« ما مِنْ ساعةٍ تمُرُّ بابْن آدم لا يذْكُر اللّه تعالى فيها إلا تحسَّر عليْها يوم القيامة » (٤).

وذكر عن معاذ بن جبل يرفعه أيضاً :« لَيْس تحسُّرُ أهْل الجنَّة إلا على ساعة مرَّتْ بهم

---

(١) البخارى (٧٤٠٥) فى التوحيد ، باب : قول الله تعالى:﴿ **وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ**﴾ [آل عمران : ٢٨] ،ومسلم (٢٦٧٥ / ١) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب : الحث على ذكر الله تعالى .

(٢) الترمذى (٣٥٠٩) فى الدعوات ، باب (٨٣) ، وقال: « حسن غريب »، وضعفه الألبانى .

(٣) الترمذى (٣٥٨٠) فى الدعوات ، باب (١١٩) ، وقال : « غريب » ، وضعفه الألبانى

(٤) شعب الإيمان (٥١١) باب:فى محبة اللّه عز وجل، فصل : فى إدامة ذكر الله عز وجل ، وقال : « فى هذا الإسناد ضعف غير أن له شواهد من حديث معاذ »، ورواه أبو نعيم فى الحلية ٥/ ٣٦٢ .

لَمْ يذكُرُوا اللّه عزَّ وجل فيها »(١).

وعن أم حبيبة زوج النبى ﷺ قالت: قال رسول اللّه ﷺ: « كلامُ ابن آدم كُلُّه عليه لا له ، إلا أمرًا بمعروف ، أو نهياً عنْ منكرٍ ،أو ذكرا لله عز وجل » (٢).

وعن معاذ بن جبل قال : سألت رسول اللّه ﷺ :أى الأعمال أحب إلى الله عز وجل؟ قال: « أن تموت ولسانك رطب من ذكر اللّه عز وجل »(٣).

وقال أبو الدرداء رضي الله عنه :لكل شيء جلاء ،وإن جلاء القلوب ذكر اللّه عز وجل.

وذكر البيهقى مرفوعا من حديث عبد اللّه بن عمرو رضي الله عنه عن النبى ﷺ أنه كان يقول: « لكُلُّ شيء صقالة ،وإن صقالة القلوب ذكر اللّه عز وجل ،وما من شيء أنجى من عذاب الله عز وجل من ذكر اللّه عز وجل » قالوا: ولا الجهادُ فى سبيل اللّه عز وجل؟ قال: «ولو أن يضرب بسيفه حتى ينقطع» (٤).

ولا ريب أن القلب يصدأ كما يصدأ النحاس الفضة وغيرهما ، وجلاؤه بالذكر ،فإنه يجلوه حتى يدعه كالمرآة البيضاء ، فإذا ترك الذكر صدئ ،فإذا ذكره جلاه .

وصدأ القلب بأمرين : بالغفلة والذنب ،وجلاؤه بشيئين :بالاستغفار والذكر ، فمن كانت الغفلة أغلب أوقاته ،كان الصدأ متراكباً على قلبه ،وصدؤه بحسب غفلته ،وإذا صدئ القلب ، لم تنطبع فيه صور المعلومات على ما هى عليه ، فيرى الباطل فى صورة الحق ،والحق فى صورة الباطل ؛ لأنه لما تراكم عليه الصدأ أظلم ، فلم تظهر فيه صورة الحقائق كما هى عليه .

فإذا تراكم عليه الصدأ واسود، وركبه الران ، فسد تصوره وإدراكه ، فلا يقبل حقاً ، ولا ينكر باطلاً ،وهذا أعظم عقوبات القلب .وأصل ذلك من الغفلة ،واتباع الهوى،

---

(١) شعب الإيمان (٥١٢ ، ٥١٣) فى باب : محبة الله عز وجل ، فصل : فى إدامة ذكر الله عز وجل ، وفيه: « يتحسر» وقال المنذرى فى الترغيب والترهيب (٢/ ٤٠١) فى الذكر والدعاء ، باب: الترغيب فى الإكثار من ذكر اللّه سراً وجهرا : « رواه البيهقى بأسانيد أحدها جيد » . .

(٢) الترمذى (٢٤١٢) فى الزهد ، باب (٦٣) ، وقال : « حسن غريب » ، وابن ماجه (٣٩٧٤) فى الفتن ، باب :كف اللسان فى الفتنة ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٥١٤) وضعفه الألبانى .

(٣) الطبرانى فى الكبير ٢٠ /١٠٦ ،١٠٧ ، (٢٠٨ ، ٢١٢) ، وكشف الأستار (٣٠٥٩) ، وابن حبان (٨١٥) فى الأذكار ، باب ، ذكر أن المداومة على ذكر اللّه أحب الأعمال إلى اللّه ،وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٧٧) فى الأذكار ، باب: فضل ذكر اللّه تعالى والإكثار منه :«رواه الطبرانى بأسانيد ، وفى هذه الطريق : خالد بن يزيد بن عبد الرحمن بن أبى مالك ، وضعفه جماعة، ووثقه أبو زرعة الدمشقى وغيره،وبقية رجاله ثقات،ورواه البراز من غير طريقه وإسناده حسن » .

(٤) شعب الإيمان (٥٢٢) ،باب : فى محبة الله عز وجل ،فصل : فى إدامة ذكر الله عز وجل وفيه ،سقالة بالسين بدل الصاد.

فإنهما يطمسان نور القلب ويعميان بصره ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تُطِعْ مَنْ أَغْفَلْنَا قَلْبَهُ عَن ذِكْرِنَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا ﴿٢٨﴾ ﴾[الكهف] .

فإذا أراد العبد أن يقتدى برجل فلينظر : هل هو من أهل الذكر ، أو من الغافلين ؟ وهل الحاكم عليه الهوى أو الوحى ؟ فإن كان الحاكم عليه هو الهوى وهو من أهل الغفلة،وأمره فرط ،لم يقتد به ، ولم يتبعه فإنه يقوده إلى الهلاك .

ومعنى الفرط قد فسر بالتضييع، أى : أمره الذى يجب أن يلزمه ويقوم به وبه رشده وفلاحه ضائع قد فرط فيه ، وفسر بالإسراف ، أى :قد أفرط ،وفسر بالهلاك ،وفسر بالخلاف للحق . وكلها أقوال متقاربة .

والمقصود أن اللّه ـ سبحانه وتعالى ـ نهى عن طاعة من جمع هذه الصفات ،فينبغى للرجل أن ينظر فى شيخه وقدوته ومتبوعه ، فإن وجده كذلك فليبعد عنه ،وإن وجده ممن غلب عليه ذكر اللّه تعالى واتباع السنة ، وأمره غير مفروط عليه ، بل هو حازم فى أمره ، فليتمسك بعروته ،ولا فرق بين الحى الميت إلا بالذكر ، فمثل الذى يذكر ربه ، والذى لا يذكر ربه ،كمثل الحى والميت .

وفى « المسند » مرفوعاً :« أكثروا من ذكر اللّه تعالى حتى يقال :مجنون » (١) (٢).

فصل
فى المداومة على ذكر اللّه عز وجل

قال بعض السلف : إن اللّه يجب أن يذكر على الأحوال إلا فى حال الجماع وقضاء الحاجة . وأوحى اللّه عز وجل إلى موسى ﷺ أن اذكرنى على جميع أحوالك ،واللّه تعالى لا يضيع أجر ذكر اللسان المجرد ،بل يثيب الذاكر وإن كان قلبه غافلاً . ولكن ثواب دون ثواب (٣).

وسأله ﷺ رجل فقال: إن شرائع الإسلام قد كثرت على فأوصنى بشىء أتشبث به، فقال: « لا يزال لسانك رطبا من ذكر اللّه »(٤) ذكره أحمد (٥).

---

(١) أحمد ٣/ ٦٨ ، ٧١ ، وضعفه الألبانى .
(٢) الوابل الصيب (٧٢ ـ ٨٣) .
(٣) روضة المحبين (٣٠٩) .
(٤) أحمد ٤ / ١٨٨ .
(٥) إعلام الموقعين (٤/ ٤٠٢) .

فصل
فى مكان الذكر والشكر

مبنى الدين على قاعدتين : الذكر والشكر ، قال تعالى: ﴿ فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ (١٥٢)﴾ [البقرة] .

وقال النبى ﷺ لمعاذ : « واللّه إنى لأحبك ، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك »[1] ، وليس المراد بالذكر مجرد ذكر اللسان بل الذكر القلبى واللسانى .وذكره يتضمن ذكر أسمائه وصفاته وذكر أمره ونهيه وذكره بكلامه،وذلك يستلزم معرفته والإيمان به وبصفات كماله ونعوت جلاله والثناء عليه بأنواع المدح . وذلك لا يتم إلا بتوحيده . فذكره الحقيقى يستلزم ذلك كله ويستلزم ذكر نعمه وآلائه وإحسانه إلى خلقه .

وأما الشكر فهو القيام له بطاعته والتقرب إليه بأنواع محابه ظاهرا وباطنا ،وهذان الأمران هما جماع الدين ،فذكره مستلزم لمعرفته وشكره، متضمن لطاعته ،وهذان هما الغاية التى خلق لأجلها الجن والإنس والسموات والأرض،ووضع لأجلها الثواب والعقاب، وأنزل الكتب،وأرسل الرسل،وهى الحق الذى به خلقت السموات والأرض وما بينهما، وضدها هو الباطل والعبث الذى يتعالى ويتقدس عنه،وهو ظن أعدائه به.قال تعالى: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلاً ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا﴾[ص: ٢٧] وقال: ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَاعِبِينَ (٣٨) مَا خَلَقْنَاهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ﴾[الدخان]، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ ﴾ [الحجر: ٨٥].

وقال بعد ذكر آياته فى أول سورة يونس: ﴿مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾ [يونس: ٥]. وقال : ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى (٣٦)﴾ [القيامة]، وقال: ﴿ أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا تُرْجَعُونَ (١١٥)﴾ [المؤمنون]، وقال: ﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ(٥٦)﴾ [الذاريات] ، ﴿ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ سَبْعَ سَمَوَاتٍ وَمِنَ الْأَرْضِ مِثْلَهُنَّ يَتَنَزَّلُ الْأَمْرُ بَيْنَهُنَّ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ عَلَىٰ

---

(١) أبو داود (١٥٢٢) فى الصلاة ، باب : فى الاستغفار ،وأحمد (٥/ ٢٤٥) ،والنسائى فى الكبرى (٩٩٣٧) فى عمل اليوم والليلة ، باب :الحث على قول :« رب أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » دبر الصلوات، والحاكم فى المستدرك ١/ ٢٧٣ وقال :« صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى.

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ وَأَنَّ اللَّهَ قَدْ أَحَاطَ بِكُلِّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿١٢﴾[الطلاق]، وقال: ﴿ جَعَلَ اللَّهُ الْكَعْبَةَ الْبَيْتَ الْحَرَامَ قِيَامًا لِلنَّاسِ وَالشَّهْرَ الْحَرَامَ وَالْهَدْيَ وَالْقَلَائِدَ ذَلِكَ لِتَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ وَأَنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٩٧﴾ ﴾[المائدة].

فثبت بما ذكر أن غاية الخلق والأمر أن يذكر وأن يشكر ، يذكر فلا ينسى ،ويشكر فلا يكفر، وهو سبحانه ذاكر لمن ذكره ،شاكر لمن شكره ، فذكره سبب كذكره ، وشكره سبب لزيادته من فضله ،فالذكر للقلب واللسان ،والشكر للقلب محبة وإنابة،وللسان ثناء وحمد، وللجوارح طاعة وخدمة [١].

فصل
فى فوائد الذكر

وفى الذكر نحو من مائة فائدة :

إحداها : أنه يطرد الشيطان ويقمعه ويكسره .

الثانية : أنه يرضى الرحمن عز وجل .

الثالثة : أنه يزيل الهم والغم عن القلب.

الرابعة : أنه يجلب للقلب الفرح والسرور والبسط .

الخامسة : أنه يقوى القلب والبدن.

السادسة :أنه ينوّر الوجه والقلب.

السابعة : أنه يجلب الرزق .

الثامنة : أنه يكسو الذاكر المهابة والحلاوة والنضرة.

التاسعة :أنه يورثه المحبة التى هى روح الإسلام ،وقطب رحى الدين ،ومدار السعادة والنجاة .وقد جعل الله لكل شىء سبباً ،وجعل سبب المحبة دوام الذكر ،فمن أراد أن ينال محبة الله عز وجل ، فليلهج بذكره، فإنه الدرس والمذاكرة كما أنه باب العلم، فالذكر باب المحبة ، وشارعها الأعظم ، وصراطها الأقوم .

---

(١) الفوائد (١٧٤ ـ ١٧٦) .

العاشرة : أنه يورثه المراقبة حتى يدخله فى باب الإحسان ، فيعبد اللّه كأنه يراه، ولا سبيل للغافل عن الذكر إلى مقام الإحسان ، كما لا سبيل للقاعد إلى الوصول إلى البيت.

الحادية عشرة :أنه يورثه الإنابة،وهى الرجوع إلى اللّه عز وجل ، فمتى أكثر الرجوع إليه بذكره ،أورثه ذلك رجوعه بقلبه إليه فى كل أحواله،فيبقى الله عز وجل مفزعه وملجأه، وملاذه ومعاذه وقبلة قلبه ومهربه عند النوازل والبلايا .

الثانية عشرة : أنه يورثه القرب منه ، فعلى قدر ذكره للّه عز وجل يكون قربه منه ، وعلى قدر غفلته يكون بعده منه .

الثالثة عشرة : أنه يفتح له بابا عظيما من أبواب المعرفة ، وكلما أكثر من الذكر ازداد من المعرفة .

الرابعة عشرة : أنه يورثه الهيبة لربه عز وجل وإجلاله ، لشدة استيلائه على قلبه وحضوره مع اللّه تعالى، بخلاف الغافل ، فإن حجاب الهيبة رقيق فى قلبه .

الخامسة عشرة : أنه يورثه ذكر اللّه تعالى له ، كما قال تعالى: ﴿ **فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُم** ﴾ [البقرة:١٥٢]، ولو لم يكن فى الذكر إلا هذه وحدها لكفى بها فضلا وشرفاً .

وقال ﷺ فيما يروى عن ربه تبارك وتعالى :« من ذكرنى فى نفسه ، ذكرته فى نفسى، ومن ذكرنى فى ملأ ذكرته فى ملأ خيرٍ منهم »(١) .

السادسة عشرة : أنه يورث حياة القلب ، وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله تعالى روحه ـ يقول: الذكر للقلب مثل الماء للسمك ، فكيف يكون حال السمك إذا فارق الماء ؟

السابعة عشرة : أنه قوت القلب والروح ، فإذا فقده العبد صار بمنزلة الجسم إذا حيل بينه وبين قوته .

وحضرت شيخ الإسلام ابن تيمية مرة صلى الفجر ، ثم جلس يذكر اللّه تعالى إلى قريب من انتصاف النهار ، ثم التفت إلىّ وقال: هذه غدوتى ولو لم أتغذّ هذا الغذاء سقطت قوتى ، أو كلاما قريبا من هذا . وقال لى مرة: لا أترك الذكر إلا بنية إجمام نفسى وإراحتها لأستعد بتلك الراحة لذكر آخر ، أو كلاما هذا معناه .

الثامنة عشرة : أنه يورث جلاء القلب من صدئه ،وكل شىء له صدأ ، وصدأ القلب

---

(١) سبق تخريجه ص ١٧٨ .

الغفلة والهوى، وجلاؤه الذكر والتوبة والاستغفار.

التاسعة عشرة: أنه يحط الخطايا ويذهبها ، فإنه من أعظم الحسنات ، والحسنات يذهبن السيئات .

العشرون: أنه يزيل الوحشة بين العبد وبين ربه تبارك وتعالى ، فإن الغافل بينه وبين الله عز وجل وحشة لا تزول إلا بالذكر.

الحادية والعشرون: أن ما يذكر به العبد ربه عز وجل من جلاله وتسبيحه وتحميده ، يذكر بصاحبه عند الشدة ، فقد روى الإمام أحمد فى « المسند » عن النبى ﷺ أنه قال: «إن ما تذكرون من جلال الله عز وجل من التهليل والتكبير والتحميد يتعاطفن حول العرش لهُن دوى كدوى النحل يذكرن بصاحبهن ، أفلا يحب أحدكم أن يكون له ما يذكر به » [١] ؟ هذا الحديث أو معناه .

الثانية والعشرون :أن العبد إذا تعرف إلى الله تعالى بذكره فى الرخاء ،عرفه فى الشدة،وقد جاء أثر معناه : أن العبد المطيع الذاكر لله تعالى، إذا أصابته شدة أو سأل الله تعالى حاجة ،قالت الملائكة: يا رب صوت معروف ،من عبد معروف . والغافل المعرض عن الله عز وجل إذا دعاه وسأله ، قالت الملائكة: يا رب ، صوت منكر ،من عبد منكر.

الثالثة والعشرون:أنه منجاة من عذاب الله تعالى،كما قال معاذ رضي الله عنه .ويروى مرفوعاً:« ما عمل آدمى عملا أنجى له من عذاب الله عز وجل من ذكر الله تعالى » [٢].

الرابعة والعشرون:أنه سبب نزول السكينة، وغشيان الرحمة ،وحفوف الملائكة بالذاكر كما أخبر به النبى ﷺ [٣] .

الخامسة والعشرون:أنه سبب اشتغال اللسان عن الغيبة والنميمة،والكذب ، والفحش، والباطل ، فإن العبد لا بد له من أن يتكلم ، فإن لم يتكلم بذكر الله تعالى وذكر أوامره ، تكلم بهذه المحرمات أو بعضها ، ولا سبيل إلى السلامة منها البتة إلا بذكر الله تعالى .

والمشاهدة والتجربة شاهدان بذلك ، فمن عوّد لسانه ذكر الله ، صان لسانه عن الباطل واللغو، ومن يبس لسانه عن ذكر الله تعالى ، ترطّب بكل باطل ولغو وفحش ،ولا حول ولا قوة إلا بالله .

---

(١) أحمد (٤ / ٢٦٨ ، ٢٧١) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

(٣) سبق تخريجه ص ١٧٨ .

السادسة والعشرون :أن مجالس الذكر مجالسة الملائكة ، ومجالس اللغو والغفلة مجالس الشياطين، فليتخيّر العبد أعجبهما إليه، وأولاهما به ، فهو مع أهله فى الدنيا والآخرة.

السابعة والعشرون : أنه يسعد الذاكر بذكره ، ويسعد به جليسه ، وهذا هو المبارك أين ما كان، والغافل واللاغى يشقى بلغوه وغفلته ، ويشقى به مجالسه .

الثامنة والعشرون : أنه يؤمّن العبد من الحسرة يوم القيامة ، فإن كان مجلس لا يذكر العبد فيه ربه تعالى كان عليه حسرة وترة يوم القيامة .

التاسعة والعشرون : أنه مع البكاء فى الخلوة سبب لإظلال الله تعال العبد يوم الحرّ الأكبر فى ظل عرشه، والناس فى حر الشمس قد صهرتهم فى الموقف ،وهذا الذاكر مستظل بظل عرش الرحمن عز وجل .

الثلاثون : أن الاشتغال به سبب لعطاء الله للذاكر أفضل ما يعطى السائلين ، ففى الحديث عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول الله ﷺ :« قال سبحانه وتعالى: من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين »(١) .

الحادية والثلاثون : أنه أيسر العبادات ، وهو من أجلها وأفضلها ، فإن حركة اللسان أخف حركات الجوارح وأيسرها ، ولو تحرك عضو من الإنسان فى اليوم والليلة بقدر حركة لسانه لشق عليه غاية المشقة ، بل لا يمكنه ذلك .

الثانية والثلاثون : أنه غراس الجنة ، فقد روى الترمذى فى « جامعه » من حديث عبد الله بن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ :« لقيتُ ليلة أسرى بى إبراهيم الخليل عليه السلام فقال: يا محمد ، أقرئْ أمتك منى السلام ،وأخبرهم أن الجنة طيبة التربة ،عذبة الماء، وأنها قيعان ، وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله الله أكبر »(٢). قال الترمذى: حديث حسن غريب من حديث ابن مسعود .

وفى الترمذى من حديث أبى الزبير ،عن جابر عن النبى ﷺ قال:« من قال : سبحان الله وبحمده ، غرست له نخلة فى الجنة»(٣) . قال الترمذى :حديث حسن صحيح.

---

(١) الترمذى (٢٩٢٦) بلفظ : « من شغله القرآن عن ذكرى » فى فضائل القرآن ، باب (٢٥) ، وقال : « حسن غريب » ، والدارمى (٢/ ٤٤١) فى فضائل القرآن ، باب: فضل كلام الله على سائر الكلام . كلاهما عن أبى سعيد الخدرى . وضعفه الألبانى .

(٢) الترمذى (٣٤٦٢) فى الدعوات ، باب (٥٩) ،وصححه الألبانى .

(٣) الترمذى (٢٤٦٤) فى الدعوات ، باب (٦٠) ،وقال : « حسن صحيح غريب ». و(٢٤٦٥) وقال :«حسن غريب » .

الثالثة والثلاثون :أن العطاء والفضل الذى رتب عليه لم يرتب على غيره من الأعمال.

ففى « الصحيحين » عن أبى هريرة رضي الله عنه ،أن رسول الله ﷺ قال:« من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ،فى يوم مائة مرة كانت له عدل عشر رقاب، وكتبت له مائة حسنة ،ومحيت عنه مائة سيئة،وكانت له حرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى،ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه،ومن قال:سبحان الله وبحمده فى يوم مائة مرة حطت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر» (١).

وفى صحيح مسلم » عن أبى هريرة قال:قال رسول الله ﷺ: « لأن أقول : سبحان الله والحمد لله ،ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، أحب إلى مما طلعت عليه الشمس » (٢).

وفى الترمذى من حديث أنس ،أن رسول الله ﷺ قال:« من قال حين يصبح أو يمسى:اللهم إنى أصبحت أشهدك وأشهد حملة عرشك ،وملائكك ،وجميع خلقك ، أنك أنت الله لا إله إلا أنت ،وأن محمد عبدك ورسولك ،أعتق الله ربعه من النار ،ومن قالها مرتين أعتق الله نصفه من النار،ومن قالها ثلاثا، أعتق الله ثلاثة أرباعه من النار،ومن قالها أربعا ،أعتقه الله تعالى من النار »(٣).

وفيه عن ثوبان، أن رسول الله ﷺ قال:« من قال حين يمسى وإذا أصبح: رضيت بالله ربًا وبالإسلام دينا ،وبمحمد ﷺ رسولا ، كان حقا على الله أن يرضيه » (٤).

وفى الترمذى :« من دخل السوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد يحيى ويميت ،وهو حى لا يموت بيده الخير، وهو على كل شىء قدير ،كتب الله له ألف ألف حسنة ،ومحا عنه ألف ألف سيئة ، ورفع له ألف ألف درجة » (٥).

الرابعة والثلاثون : أن دوام ذكر الرب تبارك وتعالى يوجب الأمان من نسيانه الذى هو

---

(١) البخارى (٦٤٠٣) فى الدعوات ،باب : فضل التهليل ، ومسلم (٢٦٩١ / ٢٨) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، واللفظ له .

(٢) مسلم (٢٦٩٥ / ٣٢) فى الكتاب والباب السابقين .

(٣) أبو داود (٥٠٦٩) فى الأدب، باب :ما يقول إذا أصبح ،ورواية الترمذى غير الرواية المذكورة وهى بلفظ:«من قال حين يصبح : اللهم أصبحنا نشهدك ونشهد عرشك وملائكتك وجميع خلقك بأنك لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك وأن محمدا عبدك ورسولك ،إلا غفر له ما أصاب فى يومه ذلك ، وإن قالها حين يمسى غفر الله له ما أصاب فى تلك الليلة من ذنب » .

(٤) الترمذى (٣٣٨٩) فى الدعوات ،باب : ما جاء فى الدعوات إذا أصبح وإذا أمسى وقال : «حسن غريب » ، وضعفه الألبانى .

(٥) الترمذى (٣٤٢٨) فى الدعوات ، باب : ما يقول إذا دخل السوق ، وقال: « غريب » .

سبب شقاء العبد فى معاشه ومعاده ، فإن نسيان الرب ـ سبحانه وتعالى ـ يوجب نسيان نفسه ومصالحها ،قال تعالى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنسَاهُمْ أَنفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩)﴾ [الحشر] .

وإذا نسى العبد نفسه ،أعرض عن مصالحها ونسيها،واشتغل عنها ،فهلكت وفسدت ولا بد، كمن له زرع أو بستان أو ماشية أو غير ذلك مما صلاحه وفلاحه بتعاهده والقيام عليه ، فأهمله ونسيه ، واشتغل عنه بغيره ، وضيع مصالحه ، فإنه يفسد ولا بد .

هذا مع إمكان قيام غيره مقامه فيه ، فكيف الظن بفساد نفسه وهلاكها وشقائها إذا أهملها ونسيها ، واشتغل عن مصالحها ، وعطّل مراعاتها ، وترك القيام عليها بما يصلحها ؟ فما شئت من فساد وهلاك وخيبة وحرمان، وهذا هو الذى صار أمره كله فرطاً فانفرط عليه أمره، وضاعت مصالحه ، وأحاطت به أسباب القطوع والخيبة والهلاك، ولا سبيل إلى الأمان من ذلك إلا بدوام ذكر الله تعالى واللهج به، وألا يزال اللسان رطبا به ،وأن ينزله منزلة حياته التى لا غنى له عنها ،ومنزلة غذائه الذى إذا فقده فسد جسمه وهلك ، وبمنزلة الماء عند شدة العطش ، وبمنزلة اللباس فى الحر والبرد ، وبمنزلة الكن فى شدة الشتاء والسموم .

فحقيق بالعبد أن ينزل ذكر الله منه بهذه المنزلة وأعظم ،فأين هلاك الروح والقلب وفسادهما من هلاك البدن وفساده ؟ هذا هلاك لا بد منه ، وقد يعقبه صلاح الأبد ،وأما هلاك القلب والروح ،فهلاك لا يرجى معه صلاح ولا فلاح ،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

ولو لم يكن فى فوائد الذكر وإدامته إلا هذه الفائدة وحدها ، لكفى بها فمن نسى الله تعالى أنساه نفسه فى الدنيا ،ونسيه فى العذاب يوم القيامة . قال تعالى: ﴿ وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ (١٢٥) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَىٰ وَقَدْ كُنتُ بَصِيرًا (١٢٥) قَالَ كَذَٰلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَٰلِكَ الْيَوْمَ تُنسَىٰ (١٢٦)﴾[طه]، أى تنسى فى العذاب كما نسيت آياتنا : فلم تذكرها ولم تعمل بما فيها .

وإعراضه عن ذكره يتناول إعراضه عن الذكر الذى أنزله ،وهو كتابه ،وهو المراد بتناول إعراضه عن أن يذكر ربه بكتابه ،وأسمائه وصفاته وأوامره وآلائه ،ونعمه فإن هذه كلها توابع إعراضه عن كتاب ربه تعالى ، فإن الذكر فى الآية إما مصدر مضاف إلى معموله الذى هو المذكور ،وإما اسم مضاف إلى الفاعل ، أو مضاف إضافة الأسماء المحضة ، أى: من

أعرض عن كتابى ولم يتله،ولم يعمل به ،ولا فهمه ،فإن حياته ومعيشته لا تكون إلامضيقة عليه منكدة معذبا فيها .

والضنك : الضيق والشدة والبلاء .ووصف المعيشة نفسها بالضنك مبالغة ، وفسرت هذه المعيشة بعذاب البرزخ ، والصحيح: أنها تتناول معيشته فى الدنيا وعذابه فى البرزخ ، فإنه يكون فى ضنك فى الدارين ،وهو شدة وجهد وضيق .وفى الآخرة ينسى فى العذاب. وهذا عكس أهل السعادة والفلاح، فإن حياتهم فى الدنيا أطيب الحياة،ولهم فى البرزخ وفى الآخرة أفضل الثواب .

قال تعالى: ﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّن ذَكَرٍ أَوْ أُنثَىٰ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً ﴾[النحل: ٩٧] ، فهذا فى الدنيا ، ثم قال: ﴿وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُم بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ (٩٧)﴾[النحل] ، فهذا فى البرزخ والآخرة . قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي اللَّهِ مِن بَعْدِ مَا ظُلِمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَأَجْرُ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ (٤١)﴾[النحل]،وقال تعالى: ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ ،فهذا فى الدنيا، قال: ﴿وَيُؤْتِ كُلَّ ذِي فَضْلٍ فَضْلَهُ ﴾ [هود : ٣]، فهذا فى الآخرة .

وقال تعالى: ﴿ قُلْ يَا عِبَادِ الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَٰذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةٌ وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُم بِغَيْرِ حِسَابٍ (١٠) ﴾ [الزمر] .

فهذه أربعة مواضع ذكر تعالى فيها أنه يجزى المحسن بإحسانه جزاءين :جزاءً فى الدنيا، وجزاءً فى الآخرة . فالإحسان له جزاءٌ معجَّل ولا بد ،والإساءة لها جزاء معجل ولا بد .

ولو لم يكن إلا ما يجازى به المحسن : من انشراح صدره وانفساح قلبه وسروره، ولذته بمعاملة ربه عز وجل ، وطاعته ، وذكره ، ونعيم روحه بمحبته وذكره ، وفرحه بربه ـ سبحانه وتعالى ـ أعظم مما يفرح القريب من السلطان الكريم عليه بسلطانه .

وما يجازى به المسىء :من ضيق الصدر ، وقسوة القلب،وتشتته ،وظلمته،وحزازته ، وغمه .وهمه،وحزنه ، وخوفه، وهذا أمر لا يكاد من له أدنى حس وحياة يرتاب فيه ، بل الغموم والهموم والأحزان والضيق : عقوبات عاجلة ،ونار دنيوية ، وجهنم حاضرة.

والإقبال على الله تعالى ،والإنابة إليه ، والرضا به وعنه ، وامتلاء القلب من محبته، واللهج بذكره ،والفرح والسرور بمعرفته : ثواب عاجل ، وجنة، وعيش لا نسبة لعيش الملوك إليه البتة .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس الله روحه ـ يقول : إن فى الدنيا جنة من لم يدخلها لا يدخل جنة الآخرة .

وقال لى مرة : ما يصنع أعدائى بى ؟ أنا جنتى وبستانى فى صدرى ، إن رحت فهى معى لا تفارقنى ، إن حبسى خلوة ، وقتلى شهادة ، وإخراجى من بلدى سياحة .

وكان يقول فى محبسه فى القلعة : لو بذلت لهم ملء هذه القلعة ذهبا ما عدل عندى شكر هذه النعمة ، أو قال: ما جزيتهم على ما تسببوا لى فيه من الخير ، ونحو هذا .

وكان يقول فى سجوده وهو محبوس : « اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » ما شاء الله .

وقال لى مرة : المحبوس من حبس قلبه عن ربه تعالى،والمأسور من أسره هواه .

ولما دخل إلى القلعة وصار داخل سورها نظر إليه وقال: ﴿ **فَضُرِبَ بَيْنَهُم بِسُورٍ لَّهُ بَابٌ بَاطِنُهُ فِيهِ الرَّحْمَةُ وَظَاهِرُهُ مِن قِبَلِهِ الْعَذَابُ** ﴿١٣﴾ ﴾ [الحديد] .

وعلم الله ما رأيت أحدا أطيب عيشا منه قط،مع ما كان فيه من ضيق العيش ، وخلاف الرفاهية والنعيم ،بل ضدها ، ومع ما كان فيه من الحبس والتهديد والإرهاق، وهو مع ذلك من أطيب الناس عيشا ، وأشرحهم صدرا ، وأقواهم قلبا، وأسرَّهم نفسا ، تلوح نضرة النعيم على وجهه .

وكنا إذا اشتد بنا الخوف ، وساءت منا الظنون ،وضاقت بنا الأرض، أتيناه ، فما هو إلا أن نراه ، ونسمع كلامه ، فيذهب ذلك كله عنا وينقلب انشراحا وقوة ويقينا وطمأنينة .

فسبحان من أشهد عباده جنته قبل لقائه ، وفتح لهم أبوابها فى دار العمل ، فأتاهم من روحها ونسيمها وطيبها ما استفرغ قواهم لطلبها والمسابقة إليها .

وكان بعض العارفين يقول :لو علم الملوك وأبناء الملوك ما نحن فيه ، لجالدونا عليه بالسيوف .

وقال آخر: مساكين أهل الدنيا ، خرجوا منها وما ذاقوا أطيب ما فيها؟ قيل: وما أطيب ما فيها؟ قال : محبة الله تعالى ومعرفته وذكره ، أو نحو هذا .

وقال آخر : إنه لتمر بالقلب أوقات يرقص فيها طربا .

وقال آخر : إنه لتمر بى أوقات أقول: إن كان أهل الجنة فى مثل هذا إنهم لفى عيش طيب .

فمحبة اللّه تعالى معرفته،ودوام ذكره ،والسكون إليه ،والطمأنينة إليه،وإفراده بالحب، والخوف ،والرجاء ،والتوكل ،والمعاملة ، بحيث يكون هو وحده المستولى على هموم العبد وعزماته وإرادته ، هو جنة الدنيا ، والنعيم الذى لا يشبهه نعيم ،وهو قرة عين المحبين ، وحياة العارفين .

وإنما تقر أعين الناس بهم على حسب قرة أعينهم بالله عز وجل، فمن قرت عينه ، باللّه ، قرت به كل عين ، ومن لم تقر عينه باللّه ، تقطعت نفسه على الدنيا حسرات .

وإنما يصدق بهذه الأمور من فى قلبه حياة ،وأما ميت القلب، فيوحشُك ما له ثم ، فاستأنس بغيبته ما أمكن ، فإنك لا يوحشك إلا حضوره عندك، فإذا ابتليت به فأعطه ظاهرك ، وترحل عنه بقلبك ، وفارقه بسرك ،ولا تشغل به عما هو أولى بك .

واعلم أن الحسرة كل الحسرة الاشتغال بمن لا يجر عليك الاشتغال به إلا فوت نصيبك وحظك من اللّه عز وجل ، وانقطاعك عنه وضياع وقتك عليك وشتات قلبك ، وضعف عزيمتك ، وتفرق همك .

فإذا بليت بهذا ـ ولا بد لك منه ـ فعامل الله تعالى فيه ، واحتسب عليه ما أمكنك، وتقرب إلى اللّه تعالى بمرضاته فيه ، واجعل اجتماعك به متجرا لك ، لا تجعله خسارة ، وكن معه كرجل سائر فى طريقه عرض له رجل أوقفه عن سيره ، فاجتهد أن تأخذه معك وتسير به ، فتحمله ولا يحملك ، فإن أبى ولم يكن فى سيره مطمع ، فلا تقف معه بل اركب الدرب ، ودعه ولا تلتفت إليه ،فإنه قاطع الطريق ولو كان من كان ، فانج بقلبك ، وضن بيومك وليلتك ، لا تغرب عليك الشمس قبل وصول المنزلة ،فتؤخذ أو يطلُعُ عليك الفجر وأنت فى المنزلة ، فتسير الرفاق فتصبح وحدك ، وأنى لك بلحاقهم .

الخامسة والثلاثون : أن الذكر يسير العبد وهو قاعد على فراشه، وفى سوقه ، وفى حال صحته وسقمه ،وفى حال نعيمه ولذته ، ومعاشه وقيامه وقعوده واضطجاعه وسفره وإقامته ،فليس فى الأعمال شىء يعم الأوقات والأحوال مثله،حتى إنه يسير العبد وهو نائم على فراشه ، فيسبق القائم مع الغفلة ، فيصبح هذا النائم وقد قطع الركب وهو مستلق على فراشه ، ويصبح ذلك القائم الغافل فى ساقة الركب ،وذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء.

وحكى : عن رجل من العُباد أنه نزل برجل من العباد ضيفا ، فقام العابد ، ليله يصلى، وذلك الرجل مستلق على فراشه ، فلما أصبحا قال له العابد : سبقك الركب ، أو كما قال ، قال: ليس الشأن فيمن بات مسافراً وأصبح مع الركب ،الشأن فيمن بات على فراشه وأصبح قد قطع الركب .

وهذا ونحوه له محمل صحيح، ومحمل فاسد ، فمن حمله على أن الراقد المضطجع على فراشه يسبق القائم القانت ، فهو باطل ، وإنما محمله أن هذا المستلقى على فراشه علق قلبه بربه عز وجل ، وألصق حبة قلبه بالعرش ، وبات قلبه يطوف حول العرش مع الملائكة ، قد غاب عن الدنيا ومن فيها ، وقد عاقه عن قيام الليل عائق من وجع أو برد يمنعه القيام ، أو خوف على نفسه من رؤية عدو يطلبه ، أو غير ذلك من الأعذار ، فهو مستلق على فراشه ، وفى قلبه ما اللّه تعالى به عليم .

وآخر قائم يصلى ويتلو ،وفى قلبه من الرياء والعجب ، وطلب الجاه ،والمحمدة عند الناس ، ما اللّه به عليم ، أو قلبه فى وادٍ ،وجسمه فى واد ، فلا ريب أن ذلك الراقد يصبح وقد سبق هذا القائم بمراحل كثيرة ، فالعمل على القلوب ، لا على الأبدان ، والمعوّل على الساكن ، لا على الأطلال ، والاعتبار بالمحرك الأول ، فالذكر يثير العزم الساكن ، ويهيج الحب المتوارى ، ويبعث الطلب المبيت .

السادسة والثلاثون : أن الذكر نور للذاكر فى الدنيا ،ونور له فى قبره ، ونور له فى معاده ، يسعى بين يديه على الصراط ، فما استنارت القلوب والقبور بمثل ذكر اللّه تعالى .

قال اللّه تعالى : ﴿ **أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾ [الانعام: ١٢٢] . فالأول هو المؤمن استنار بالإيمان باللّه ومحبته ومعرفته وذكره ، والآخر هو الغافل عن اللّه تعالى ،المعرض عن ذكره ومحبته ، والشأن كل الشأن ، والفلاح كل الفلاح ، فى النور، والشقاء كل الشقاء فى فواته .

ولهذا كان النبى ﷺ يبالغ فى سؤال ربه تبارك وتعالى حين يسأله أن يجعله فى لحمه ، وعظامه ، وعصبه ، وشعره ، وبشره ، وسمعه ، وبصره ، ومن فوقه ،ومن تحته ، وعن يمينه ، وعن شماله ، وخلفه، وأمامه ، حتى يقول: « واجعلنى نورا» [(١)]، فسأل ربه تبارك وتعالى أن يجعل النور فى ذراته الظاهرة والباطنة،وأن يجعله محيطا به من جميع جهاته ، وأن يجعل ذاته ،وجملته نوراً .

---

(١) مسلم (٧٦٣ / ١٨٧) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء فى صلاة الليل وقيامه .

فدين اللّه عز وجل نور ، وكتابه نور ، ورسوله نور ،وداره التى أعدها لأوليائه نور يتلألأ ، وهو تبارك وتعالى نور السموات والأرض، ومن أسمائه النور ، وأشرقت الظلمات لنور وجهه.

وفى دعاء النبى ﷺ يوم الطائف:« أعُوذ بنور وجهك الذى أشرقت له الظلمات ، وصلح عليه أمر الدنيا والآخرة ،أن يحل علىّ غضبك ، أو ينزل بى سخطك ،لك العتبى حتى ترضى ، ولا حول ولا قوة إلا بك »(١).

وقال ابن مسعود رضي الله عنه :ليس عند ربكم ليل ولا نهار ، نور السموات والأرض من نور وجهه،وفى بعض ألفاظ هذا الأثر: نور السموات من نور وجهه ،ذكره عثمان الدارمى، وقد قال تعالى :﴿ وَأَشْرَقَتِ الأَرْضُ بِنُورِ رَبِّهَا ﴾ [الزمر :٦٩].

فإذا جاء تبارك وتعالى يوم القيامة للفصل بين عباده ،وأشرقت بنوره الأرض ، وليس إشراقها يومئذ بشمس ولا قمر ،فإن الشمس تكوّر ،والقمر يخسف ،ويذهب نورهما ، وحجابه تبارك وتعالى النور .

قال أبو موسى ؛ قام فينا رسول اللّه ﷺ بخمس كلمات فقال:« إن اللّه لا ينام ولا ينبغى له أن ينام ، ولكنه يخفض القسط ويرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار، وعمل النهار قبل عمل الليل ، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سُبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه »(٢) .

ثم قرأ أبو عبيدة : ﴿ أَن بُورِكَ مَن فِي النَّارِ وَمَنْ حَوْلَهَا ﴾ [النمل : ٨] .

فاستنارة ذلك الحجاب بنور وجهه ،ولولاه لأحرقت سبحات وجهه ونوره ما انتهى إليه بصره . ولهذا لما تجلى تبارك وتعالى للجبل ،وكشف من الحجاب شيئا يسيراً ، ساخ الجبل فى الأرض ، وتدكدك ،ولم يقم لربه تبارك وتعالى .

وهذا معنى قول ابن عباس فى قوله سبحانه وتعالى:﴿ لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ ﴾[الأنعام: ١٠٣] قال : ذلك الله عز وجل ،إذا تجلى بنوره لم يقم له شىء . وهذا من بديع فهمه رضى اللّه تعالى عنه،ودقيق فطنته،كيف لا ؟! وقد دعا له رسول اللّه ﷺ أن يعلمه اللّه التأويل .

---

(١) الطبرانى فى الكبير ٢٥ /٣٤٦ ، وقال الهيثمى فى المجمع (٦/ ٣٥) فى المغازى والسير ، باب خروج النبى ﷺ إلى الطائف وعرضه نفسه على القبائل : « فيه ابن إسحاق ، وهو مدلس ثقة، وبقية رجاله ثقات» .

(٢) مسلم (١٧٩/ ٢٩٣) فى الإيمان ، باب : قى قوله :« نور أنى أراه » ،وابن ماجه (١٩٥) فى المقدمة ، باب: فيما أنكرت الجهمية ، وأحمد (٤/ ٤٠٥) .

فالرب تبارك وتعالى يرى يوم القيامة بالأبصار عيانا ،ولكن يستحيل إدراك الأبصار له وإن رأته، فالإدراك أمر وراء الرؤية ، وهذه الشمس ـ ولله المثل الأعلى ـ نراها ندركها كما هي عليه ،ولا قريبا من ذلك، ولذلك قال ابن عباس لمن سأله عن الرؤية وأورد عليه ﴿ **لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَار** ﴾ فقال :ألست ترى السماء قال: بلى،قال : أفتدركها ؟قال: لا، قال : فالله تعالى أعظم وأجل .

وقد ضرب سبحانه وتعالى النور فى قلب عبده مثلا لا يعقله إلا العالمون ، فقال سبحانه وتعالى : ﴿ **اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ كَمِشْكَاةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ الْمِصْبَاحُ فِي زُجَاجَةٍ الزُّجَاجَةُ كَأَنَّهَا كَوْكَبٌ دُرِّيٌّ يُوقَدُ مِن شَجَرَةٍ مُبَارَكَةٍ زَيْتُونَةٍ لاَّ شَرْقِيَّةٍ وَلا غَرْبِيَّةٍ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ نُّورٌ عَلَىٰ نُورٍ يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ وَيَضْرِبُ اللَّهُ الأَمْثَالَ لِلنَّاسِ وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣٥﴾** ﴾[النور] .

قال أبى بن كعب : مثل نوره فى قلب المسلم ،وهذا هو النور الذى أودعه فى قلبه من معرفته ومحبته والإيمان به وذكره ،وهو نوره الذى أنزله إليهم ، فأحياهم به ، وجعلهم يمشون به بين الناس،وأصله فى قلوبهم ،ثم تقوى مادته ، فتزايد حتى يظهر على وجوههم وجوارحهم وأبدانهم ، بل وثيابهم ودورهم ، يبصره من هو من جنسهم ، وسائر الخلق له منكرون ، فإذا كان يوم القيامة برز ذلك النور ، وصار بإيمانهم يسعى بين أيديهم فى ظلمة الجسر حتى يقطعوه، وهم فيه على حسب قوته وضعفه فى قلوبهم فى الدنيا ، فمنهم من نوره كالشمس ، وآخر كالقمر ،وآخر كالنجم ، وآخر كالسراج ، وآخر يعطى نورا على إبهام قدمه ، يضىء مرة ، ويطفأ أخرى ، إذا كانت هذه حال نوره فى الدنيا ، فأعطى على الجسر بمقدار ذلك ، بل هو نفس نوره ظهر له عيانا ، ولما لم يكن للمنافق نور ثابت فى الدنيا ، بل كان نوره ظاهراً ، لا باطناً ، أعطى نوراً ظاهراً مآله إلى الظلمة والذهاب .

وضرب الله عز وجل لهذا النور ،ومحله ، وحامله ،ومادته مثلا بالمشكاة ،وهى الكُوّة فى الحائط ، فهى مثل الصدر ،وفى تلك المشكاة زجاجة من أصفى الزجاج ، وحتى شبّهت بالكوكب الدُّرِّىّ فى بياضه وصفائه ،وهى مثل القلب ،وشبهت بالزجاجة ؛ لأنها جمعت أوصافا هى فى قلب المؤمن ،وهى : الصفاء ، والرقة ، والصلابة ، فيرى الحق والهدى بصفائه ،وتحصل منه الرأفة والرحمة ،والشفقة برقّته ،ويجاهد أعداء الله تعالى ، ويغلظ عليهم،ويشتد فى الحق ،ويصلب فيه بصلابته ،ولا تبطل صفة منه صفة أخرى،ولا

تعارضها ،بل تساعدها وتعاضدها ﴿ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ﴾[الفتح: ٢٩]، وقال تعالى: ﴿ فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ اللَّهِ لِنتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ ﴾[آل عمران: ١٥٩] ، وقال تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ ﴾ [التوبة: ٧٣] .

وفى أثر :« القلوب آنية اللّه تعالى فى أرضه ، فأحبها إليه أرقها وأصلبها وأصفاها ».

وبإزاء هذا القلب مذمومان فى طرفى نقيض . أحدهما : قلب حجرى قاس لا رحمة فيه ، ولا إحسان ولا برّ ، ولا له صفاء يرى به الحق ، بل هو جبار جاهل . لا عالم بالحق .ولا راحم بالخلق .وبإزائه قلب ضعيف مائى ، لا قوة فيه ، ولا استمساك ، بل يقبل كل صورة ، وليس له قوة حفظ تلك الصور ، ولا قوة التأثير فى غيره ،وكل ما خالطه أثر فيه ، من قوى وضعيف ، وطيب وخبيث . وفى الزجاجة مصباح ، وهو النور الذى فى الفتيلة ، وهى حاملته ، ولذلك النور مادة ، وهو زيت قد عصر من زيتونة فى أعدل الأماكن تصيبها الشمس أول النهار وآخره فزيتها من أصفى الزيت وأبعده من الكدر،حتى إنه ليكاد من صفائه يضىء بلا نار ، فهذه مادة نور المصباح .

وكذلك مادة نور المصباح الذى فى قلب المؤمن ، هو من شجرة الوحى التى هى أعظم الأشياء بركة ، وأبعدها من الانحراف ، بل هى أوسط الأمور وأعدلها وأفضلها ،لم تنحرف انحراف النصرانية ،ولا انحراف اليهودية ، بل هى وسط بين الطرفين المذمومين فى كل شىء ، فهذه مادة مصباح الإيمان فى قلب المؤمن .

ولما كان ذلك الزيت قد اشتد صفاؤه حتى كاد أن يضىء بنفسه ، ثم خالط النار ، فاشتدت بها إضاءته، وقويت مادة ضوء النار به ، كان ذلك نوراً على نور .

وهكذا المؤمن قلبه مضىء يكاد يعرف الحق بفطرته وعقله ، ولكن لا مادة له من نفسه، فجاءت مادة الوحى ، فباشرت قلبه، وخالطت بشاشته ، فازداد نوراً بالوحى على نوره الذى فطره اللّه تعالى عليه ، فاجتمع له نور الوحى إلى نور الفطرة ، فصار نورا على نور ،فيكاد ينطق بالحق وإن لم يسمع فيه أثرا ، ثم يسمع الأثر مطابقا لما شهدت به فطرته، فيكون نوراً على نور ، فهذا شأن المؤمن يدرك الحق بفطرته مجملا ، ثم يسمع الأثر جاء به مفصلا ، فينشأ إيمانه عن شهادة الوحى والفطرة .

فليتأمل اللبيب هذه الآية العظيمة ، ومطابقتها لهذه المعانى الشريفة، فذكر ـ سبحانه

وتعالى ـ نوره فى السموات والأرض ، ونوره فى قلوب عباده المؤمنين ، النور المعقول المشهود بالبصائر والنور الذى استنارت به البصائر والقلوب ،والنور المحسوس المشهود بالأبصار الذى استنارت به أقطار العالم العلوى والسفلى ، فهما نوران عظيمان ، أحدهما أعظم من الآخر ، وكما أنه إذا فقد أحدهما من مكان أو موضع ، لم يعش فيه آدمى ولا غيره ؛ لأن الحيوان إنما يتكون حيث النور ، ومواضع الظلمة التى لا يشرق عليها نور ، لا يعيش فيها حيوان ،ولا يتكون البتة ، فكذلك أمة فقد فيها نور الوحى والإيمان ، وقلب فقد منه هذا النور ميت ولا بد، لا حياة له البتة،كما لا حياة للحيوان فى مكان لا نور فيه .

واللّه ـ سبحانه وتعالى ـ يقرن بين الحياة والنور ،كما فى قوله عز وجل: ﴿ **أَوَمَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا** ﴾[الانعام: ١٢٢]،وكذلك قوله عز وجل: ﴿**وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلَا الْإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا** ﴾ [الشورى: ٥٢].

وقد قيل: إن الضمير فى ﴿ **جَعَلْنَاه** ﴾ عائد إلى الأمر، وقيل : إلى الكتاب ، وقيل : إلى الإيمان ، والصواب: أنه عائد إلى الروح أى : جعلنا ذلك الروح الذى أوحيناه إليك نوراً: فسماه روحاً لما يحصل به من الحياة ، وجعله نوراً لما يحصل به من الإشراق والإضاءة ،وهما متلازمان ، فحيث وجدت هذه الحياة بهذا الروح ،وجدت الإضاءة والاستنارة ،وحيث وجدت الاستنارة والإضاءة وجدت الحياة ، فمن لم يقبل قلبه هذا الروح ، فهو ميت مظلم ،كما أن من فارق بدنه روح الحياة فهو هالك مضمحل .

فلهذا يضرب ـ سبحانه وتعالى ـ المثلين : المائى والنارى معا ، لما يحصل بالماء من الحياة وبالنار من الإشراق والنور ، كما ضرب ذلك فى أول سورة البقرة فى قوله تعالى : ﴿ **مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ وَتَرَكَهُمْ فِي ظُلُمَاتٍ لَّا يُبْصِرُونَ ﴿١٧﴾** ﴾[البقرة]، وقال: ﴿ **ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِمْ** ﴾ولم يقل: بنارهم، لأن النار فيها الإحراق والإشراق ، فذهب بما فيه الإضاءة والإشراق ،وأبقى عليهم ما فيه الأذى والإحراق .

وكذلك حال المنافقين:ذهب نور إيمانهم بالنفاق ،وبقى فى قلوبهم حرارة الكفر والشكوك والشبهات تغلى فى قلوبهم ،وقلوبهم قد صليت بحرّها وأذاها وسمومها ووهجها فى الدنيا ،فأصلاها اللّه تعالى إياها يوم القيامة ناراً موقدة تطّلع على الأفئدة .

فهذا مثل من لم يصحبه نور الإيمان فى الدنيا ، بل خرج منه وفارقه بعد أن استضاء به،وهو حال المنافق عرف ثم أنكر ، وأقر ثم جحد ، فهو فى ظلمات أصم أبكم أعمى، كما قال تعالى فى حق إخوانهم من الكفار : ﴿ **وَالَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِنَا صُمٌّ وَبُكْمٌ فِي الظُّلُمَاتِ**﴾ [الأنعام: ٣٩]،وقال تعالى: ﴿ **وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا كَمَثَلِ الَّذِي يَنْعِقُ بِمَا لا يَسْمَعُ إِلاَّ دُعَاءً وَنِدَاءً صُمٌّ بُكْمٌ عُمْيٌ فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ** (١٧١) ﴾[البقرة :١٧١]،وشبه تعالى حال المنافقين فى خروجهم من النور بعد أن أضاء لهم بحال مستوقد النار وذهاب نورها عنه بعد أن أضاءت ما حوله ؛ لأن المنافقين بمخالطتهم المسلمين وصلاتهم معهم،وصيامهم معهم،وسماعهم القرآن، ومشاهدتهم أعلام الإسلام ومناره، قد شاهدوا الضوء ،ورأوا النور عياناً ؛ ولهذا قال تعالى فى حقهم: ﴿ **فَهُمْ لا يَرْجِعُونَ** (١٨)﴾ [البقرة] إليه ،لأنهم فارقوا الإسلام بعد أن تلبسوا به واستناروا ، فهم لا يرجعون إليه .

وقال تعالى فى حق الكفار :﴿**فَهُمْ لا يَعْقِلُونَ** ﴾ ؛لأنهم لم يعقلوا الإسلام ،ولا دخلوا فيه ،ولا استناروا به ،بل لا يزالون فى ظلمات الكفر ،صم بكم عمى ،فسبحان من جعل كلامه لأدواء الصدور شافيا، وإلى الإيمان وحقائقه مناديا ، وإلى الحياة الأبدية والنعيم المقيم داعيا، وإلى طريق الرشاد هاديا . لقد أسمع منادى الإيمان لو صادف آذانا واعية ، وشفت مواعظ القرآن لو وافقت قلوبا من غيها خالية ،ولكن عصفت على القلوب أهوية الشبهات والشهوات ، فأطفأت مصابيحها ،وتمكنت منها أيدى الغفلة والجهالة ، فأغلقت أبواب رشدها ، وأضاعت مفاتيحها ،وران عليها كسبها ، فلم ينفع فيها الكلام ، وسكرت بشهوات الغى وشبهات الباطل ، فلم تصغ بعده إلى الملام ،ووعظت بمواعظ أنكى فيها من الأسنة والسهام ،ولكن ماتت فى بحر الجهل والغفلة ، وأسر الهوى والشهوة، و «ما لجرح بميت إيلام » .

والمثل الثانى المائى : قوله تعالى :﴿ **أَوْ كَصَيِّبٍ مِنَ السَّمَاءِ فِيهِ ظُلُمَاتٌ وَرَعْدٌ وَبَرْقٌ يَجْعَلُونَ أَصَابِعَهُمْ فِي آذَانِهِمْ مِنَ الصَّوَاعِقِ حَذَرَ الْمَوْتِ وَاللَّهُ مُحِيطٌ بِالْكَافِرِينَ** (١٩) ﴾[البقرة] . الصيب: المطر الذى يصوب من السماء، أى: ينزل منها بسرعة ،وهو مثل القرآن الذى به حياة القلوب ،كالمطر الذى به حياة الأرض والنبات والحيوان ،فأدرك المؤمنين ذلك منه ،وعلموا ما يحصل به من الحياة التى لا خطر لها ، فلم يمنعهم منها ما فيه من الرعد والبرق، وهو الوعيد والتهديد ،والعقوبات والمثلاث التى حذر الله بها من خالف أمره، وأخبر أنه منزلها بمن كذب رسول الله ﷺ ،أو ما فيه من الأوامر الشديدة ، كجهاد الأعداء ، والصبر على

اللأواء ، أو الأوامر الشاقة على النفوس التى هى بخلاف إرادتها ، فهى كالظلمات والرعد والبرق ، ولكن من علم مواقع الغيث وما يحصل به من الحياة لم يستوحش لما معه من الظلمة والرعد والبرق ، بل يستأنس لذلك ، ويفرح به لما يرجو من الحياة والخصب .

وأما المنافق ، فإنه لعمى قلبه، لم يجاوز بصره الظلمة ، ولم ير إلا برقا يكاد يخطف البصر ، ورعدا عظيما وظلمة ، فاستوحش من ذلك وخاف منه ، فوضع أصابعه فى أذنيه لئلا يسمع صوت الرعد ، وهاله مشاهدة ذلك البرق، وشدة لمعانه ، وعظم نوره ، فهو خائف أن يختطف معه بصره ؛ لأن بصره أضعف أن يثبت معه ، فهو فى ظلمة يسمع أصوات الرعد القاصف ، ويرى ذلك البرق الخاطف ، فإن أضاء له ما بين يديه مشى فى ضوئه ، وإن فقد الضوء قام متحيرا لا يدرى أين يذهب ،ولجهله لا يعلم أن ذلك من لوازم الصيب الذى به حياة الأرض والنبات،وحياته هو فى نفسه، بل لا يدرك إلا رعداً، وبرقاً ، وظلمة ، ولا شعور له بما وراء ذلك ،فالوحشة لازمة له ، والرعب والفزع لا يفارقه .

وأما من أنس بالصيّب ، وعلم ما يحصل به من الخيرات والحياة والنفع أنه لا بد فيه من رعد وبرق وظلمة بسبب الغيم ، استأنس بذلك ولم يستوحش منه ،ولم يقطعه ذلك عن أخذه بتصيبه من الصيب .

فهذا مثل مطابق للصيِّب الذى نزل به جبريل ﷺ من عند رب العالمين تبارك وتعالى على قلب رسول الله ﷺ ليحيى به القلوب والوجود أجمع ، اقتضت حكمته أن يقارنه من الغيم والرعد والبرق ما يقارن الصيِّب من الماء حكمة بالغة وأسبابا منتظمة نظمها العزيز الحكيم.

فكان حظ المنافق من ذلك الصيِّب سحابه ورعوده وبروقه فقط ، لم يعلم ما وراءه ، فاستوحش بما أنس به المؤمنون ، وارتاب بما اطمأن به العالمون ،وشك فيما تيقّنه المبصرون العارفون ، فبصره فى المثل النارى كبصر الخفاش نحو الظهيرة ،وسمعه فى المثل المائى كسمع من يموت من صوت الرعد . وقد ذكر عن بعض الحيوانات أنها تموت من صوت الرعد.

وإذا صادف هذه العقول والأسماع والأبصار شبهات شيطانية ، وخيالات فاسدة ، وظنون كاذبة ،جالت فيها وصالت ،وقامت بها وقعدت، واتسع فيها مجالها ،وكثر بها قيلها وقالها ، فملأت الأسماع من هذيانها ،والأرض من دويانها ،وما أكثر المستجيبين لهؤلاء ، والقابلين منهم ، والقائمين بدعوتهم ،والمحامين عن حوزتهم ،والمقاتلين تحت ألويتهم ،

والمُكثِّرين لسوادهم عدداً ،وما أقلهم عند الله وأوليائه قدراً .

ولعموم البلية بهم،وضرر القلوب بكلامهم،هتك الله أستارهم فى كتابه غاية الهتك، وكشف أسرارهم غاية الكشف ، وبين علاماتهم وأعمالهم وأقوالهم ،ولم يزل عز وجل يقول:(ومنهم... ومنهم ... ومنهم ...) حتى انكشف أمرهم ، وبانت حقائقهم، وظهرت أسرارهم .

وقد ذكر الله سبحانه وتعالى فى أول سورة (البقرة) أوصاف المؤمنين والكفار والمنافقين ،فذكر فى أوصاف المؤمنين ثلاث آيات ،وفى أوصاف الكفار آيتين ، وفى أوصاف هؤلاء بضع عشرة آية ، لعموم الابتلاء بهم وشدة المصيبة بمخالطتهم فإنهم من الجلدة ، مظهرون الموافقة والمناصرة ، بخلاف الكافر الذى قد تأبد بالعداوة ، وأظهر السريرة ، ودعاك بما أظهره إلى مزايلته ومفارقته .

ونظير هذين المثلين المذكوران فى سورة (الرعد) فى قوله تعالى: ﴿**أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا**﴾ [الرعد: ١٧] ، فهذا هو المثل المائى ، شبَّه الوحى الذى أنزله بحياة القلوب ، بالماء الذى أنزله من السماء ، وشبه القلوب الحاملة له ، بالأودية الحاملة للسيل .

فقلب كبير يسع علمًا عظيمًا كوادٍ كبير يسع ماءً كثيراً ،وقلب صغير كوادٍ صغير يسع علماً قليلاً ، فحملت القلوب من هذا العلم بقدرها ،كما سالت الأودية بقدرها .

ولما كنت الأودية ومجارى السيول فيها الغثاء ونحوها مما يمر عليه السيل فيحتمله السيل فيطفو على وجه الماء زبدًا عاليًا يمر عليه متراكباً ،ولكن تحته الماء الفرات الذى به حياة الأرض فيقذف الوادى ذلك الغثاء إلى جنبتيه حتى لا يبقى منه شىء ويبقى الماء الذى تحت الغثاء يسقى الله به الأرض فيحيى به البلاد والعباد،والشجر والدواب ، والغثاء يذهب جفاءً يجفى ، ويطرح على شفير الوادى .

فكذلك العلم والإيمان الذى أنزله من السماء فى القلوب فاحتملته ، فأثار منها بسبب مخالطته لها ما فيها من غثاء الشهوات وزبد الشبهات الباطلة ، فطفا فى أعلاها ،واستقر العلم والإيمان والهدى فى جذر القلب وهو أصله ومستقره ،كما قال النبى ﷺ:« نزل الإيمان فى جذر قُلُوب الرجال » رواه البخارى من حديث حذيفة ، فلا يزال ذلك الغثاء والزبد يذهب جفاء ،ويزول شيئا فشيئا،حتى يزول كله،ويبقى العلم النافع والإيمان الخالص فى جذر القلب يرده الناس ، فيشربون ويسقون ويمرعون.

وفى « الصحيح » من حديث أبى موسى عن النبى ﷺ قالك :« مثل ما بعثنى اللّه تعالى به من الهدى والعلم كمثل غيث أصاب أرضا، فكان منها طائفة طيبة ، قبلت الماء ، فأنبتت الكلأ والعُشب الكثير ، وكان منها طائفة أجادب أمسكت الماء ، فسقى الناس وزرعوا ، وأصاب منها طائفة أخرى ،إنما هى قيعان ، لا تُمسك ماء ،ولا تنبت كلأ ، فذلك مثل من فقه فى دين الله تعالى ، ونفعه بما بعثنى اللّه به ، فعلم وعلم ، ومثل من لم يرفع بذلك رأسا ،ولم يقبل هدي اللّه الذى أرسلتُ به » (١).

فجعل النبى ﷺ الناس بالنسبة إلى الهدى والعلم ثلاث طبقات :

الطبقة الأولى : ورثة الرسل وخلفاء الأنبياء عليهم الصلاة والسلام،وهم الذين قاموا بالدين علماً وعملاً ودعوة إلى اللّه عز وجل ورسوله ﷺ ،فهؤلاء أتباع الرسل ـ صلوات اللّه عليهم وسلامه ـ حقا ، وهم بمنزلة الطائفة الطيبة من الأرض التى زكت ، فقبلت الماء، فأنبتت الكلأ والعشب الكثير،فزكت فى نفسها ، وزكا الناس بها .

وهؤلاء هم الذين جمعوا بين البصيرة فى الدين والقوة على الدعوة، ولذلك كانوا ورثة الأنبياء صلى الله عليهم وسلم الذين قال اللّه تعالى فيهم: ﴿ **وَاذْكُرْ عِبَادَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ أُولِي الأَيْدِي وَالأَبْصَارِ** ﴿٤٥﴾ ﴾ [ص] ،فالأيدى: القوة فى أمر اللّه ، والأبصار : البصائر فى دين اللّه عز وجل : فالبصائر يدرك الحق ويعرف ، وبالقوة يتمكن من تبليغه وتنفيذه والدعوة إليه ،فهذه الطبقة كان لها قوة الحفظ والفهم فى الدين والبصر بالتأويل، ففجَّرت من النصوص أنهار العلوم ، واستنبطت منها كنوزها ،ورزقت فيها فهما خاصا، كما قال أمير المؤمنين على بن أبى طالب وقد سئل : هل خصكم رسول اللّه ﷺ بشىء دون الناس؟ فقال:لا والذى فلق الحبة وبرأ النسمة ، إلا فهْما يؤتيه اللّه عبدا فى كتابه (٢).

فهذا الفهم هو بمنزلة الكلأ والعشب الكثير الذى أنبتته الأرض ، وهو الذى تميزت به هذه الطبقة عن الطبقة الثانية .

فإنها(٣) حفظت النصوص ، وكان همها حفظها وضبطها ، فوردها الناس وتلقَّونها منهم،فاستنبطوا منها ، واستخرجوا كنوزها ، واتجروا فيها ،وبذروها فى أرض قابلة للزرع

---

(١) البخارى (٧٩) فى العلم ، باب : فضل من علم وعلم ، ومسلم (٢٢٨٢ / ١٥) فى الفضائل ، باب : بيان ما بعث النبى ﷺ من الهدى والعلم ، وأحمد ٤/ ٣٩٩ .

(٢) البخارى (٣٠٤٧) فى الجهاد ، باب : فكاك الأسير ، والترمذى (١٤١٢) فى الديات ، باب: ما جاء لا يقتل مسلم بكافر ،والنسائى (٤٧٤٤) فى القسامة ، باب: سقوط القود من المسلم للكافر،وأحمد ١/ ٧٩.

(٣) أى الطبقة الثانية .

والنبات، فاستخرجوا غوامضها وأسرارها، ووردوها كلّ بحسبه ﴿ قَدْ عَلِمَ كُلُّ أُنَاسٍ مَّشْرَبَهُمْ ﴾ [البقرة: ٦٠]وهؤلاء هم الذين قال فيهم النبى ﷺ : « نضر الله امرأ سمع مقالتى فوعاها، ثم أداها كما سمعها ، فرب حامل فقه غير فقيه ، ورب حامل فقه إلى من هو أفقه منه»(١).

وهذا عبد الله بن عباس حبْر الأمة وترجمان القرآن ، مقدار ما سمع من النبى ﷺ لم يبلغ نحو العشرين حديثاً الذى يقول فيه :سمعت ،ورأيت ،وسمع الكثير من الصحابة، وبورك فى فهمه والاستنباط منه حتى ملأ الدنيا علمًا وفقها .

قال أبو محمد ابن حزم : وجمعت فتاويه فى سبعة أسفار كبار وهى بحسب ما بلغ جامعها ، وإلا فعلم ابن عباس كالبحر ، وفقهه واستنباطه وفهمه فى القرآن بالموضع الذى فاق به الناس،وقد سمع كما سمعوا ،وحفظ القرآن كما حفظوا ، ولكن أرضه كانت من أطيب الأراضى وأقبلها للزرع ، فبذر فيها النصوص ، فأنبتت من كل زوج كريم: ﴿ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ ﴿٤﴾ ﴾[الجمعة] .

وأين تقع فتاوى ابن عباس ،وتفسيره،واستنباطه، من فتاوى أبى هريرة وتفسيره ؟ وأبو هريرة أحفظ منه ، بل هو حافظ الأمة على الإطلاق : يؤدى الحديث كما سمعه ، ويدرسه بالليل درسا، فكانت همته مصروفة إلى الحفظ وتبليغ ما حفظه كما سمعه،وهمة ابن عباس مصروفة إلى التفقُّه والاستنباط وتفجير النصوص ، وشق الأنهار منها ، واستخراج كنوزها.

وهكذا الناس بعده قسمان :

قسم حفاظ معتنون بالضبط ،والحفظ ،والأداء ،كما سمعوا ،ولا يستنبطون ولا يستخرجون كنوز ما حفظوه .

وقسم معتنون بالاستنباط واستخراج الأحكام من النصوص ، والتفقُّه فيها .

فالأول كأبى زرعة،وأبى حاتم، وابن دارة. وقبلهم :كبندار محمد بن بشار، وعمرو الناقد ،وعبد الرزاق ،وقبلهم كمحمد بن جعفر غنندر ، وسعيد بن أبى عُروبة ،وغيرهم من أهل الحفظ ، والإتقان والضبط لما سمعوه من غير استنباط وتصرف ، واستخراج الأحكام من ألفاظ النصوص .

---

(١) ابن ماجه (٣٠٥٦) فى المناسك باب : الخطبة يوم النحر ، قال فى الزوائد : «هذا إسناد فيه محمد بن إسحاق، وهو مدلس وقد رواه بالعنعنة ، والإسناد على حاله صحيح » . وأحمد ٤/ ٨٠ ، ٨٢ ، والحاكم (١/ ٨٧) فى العلم ، باب : ثلاث لا يغل عليهن قلب مؤمن ، وقال: « صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

والقسم الثانى: كمالك ، والليث ،وسفيان ، وابن المبارك ، والشافعى ، والأوزاعى، وإسحاق ، والإمام أحمد بن حنبل ، والبخارى ، وأبى داود ، ومحمد بن نصر المروزى ،وأمثالهم ممن جمع الاستنباط والفقه إلى الرواية ، فهاتان الطائفتان هما أسعد الخلق بما بعث اللّه تعالى به رسوله ﷺ، وهم الذين قبلوه ورفعوا به رأساً .

الطبقة الثالثة :وأما الطائفة الثالثة وهم أشقى الخلق الذين لم يقبلوا هدى اللّه ولم يرفعوا به رأساً ،فلا حفظ ، ولا فهم ، ولا رواية ، ولا دراية ،ولا رعاية .

فالطبقة الأولى :أهل رواية ورعاية ودراية .

والطبقة الثانية : أهل رواية ورعاية ، ولهم نصيب من الدراية ، بل حظهم من الرواية أوفر .

والطبقة الثالثة : الأشقياء ، لا رواية ،ولا دراية ،ولا رعاية .

﴿ **إِنْ هُمْ إِلاَّ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلاً** ﴿٤٤﴾﴾ [الفرقان]، فهم الذين يضيقون الديار ، ويغلون الأسعار ، إن همة أحدهم إلا بطنُه وفرجه ، فإن ترقَّت همته كان همه ـ مع ذلك ـ لباسه وزينته ، فإن ترقت همّته فوق ذلك ، كان فى داره وبستانه ومركوبه ، فإن ترقت همته فوق ذلك ، كان همه فى الرياسة والانتصار للنفس الكلبية، فإن ارتفعت همته عن نصرة النفس الكلبية ، كان همه فى نصرة النفس السبعية ،وأما النفس الملكية فلم يعطها أحد من هؤلاء .

فإن النفوس كلبية وسبعية وملكية .

فالكلبية : تقنع بالعظم ، والكسرة ، والجيفة ، والعذرة .

والسبعية : لا تقنع بذلك ، بل بقهر النفوس ، والاستعلاء عليها بالحق والباطل .

وأما الملكية : فقد ارتفعت عن ذلك ، وشمَّرت إلى الرفيق الأعلى ، فهمتّها العلم والإيمان ،ومحبة اللّه تعالى ، والإنابة إليه ، والطمأنينة به ، والسكون إليه ، وإيثار محبته ومرضاته، وإنما تأخذ من الدنيا ما تأخذ لتستعين به على الوصول إلى فاطرها وربّها ووليِّها، لا لتنقطع به عنه .

ثم ضرب ـ سبحانه وتعالى ـ مثلاً ثانيا، وهو المثل النارى ، فقال: ﴿ **وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ أَوْ مَتَاعٍ زَبَدٌ مِّثْلُه** ﴾[الرعد:١٧] ،وهو الحديد والنحاس ، والفضة والذهب وغيرها ،فإنها تدخل الكير لتمحص وتخلص من الخبث ، فيخرج خبثها فيرمى به ويطرح ،

ويبقى خالصها ، فهو الذى ينفع الناس .

ولما ضرب الله ـ سبحانه وتعالى ـ هذين المثلين ذكر حكم من استجاب له ، ورفع بهداه رأساً ، وحكم من لم يستجب له ، ولم يرفع بهداه رأساً ، فقال: ﴿ **لِلَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمُ الْحُسْنَىٰ وَالَّذِينَ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُ لَوْ أَنَّ لَهُم مَّا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ سُوءُ الْحِسَابِ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ** (١٨) ﴾[الرعد] .

والمقصود : أن الله تعالى جعل الحياة حيث النور ،والموت حيث الظلمة ، فحياة الوجودين ، الروحى والجسمى بالنور ، وهو مادة الحياة، كما أنه مادة الإضاءة ، فلا حياة بدونه ، كما لا إضاءة بدونه ، وكما أنه به حياة القلب ،فبه انفساحه وانشراحه وسعته ، كما فى الترمذى عن النبى ﷺ :« إذا دخل النُّور القلب انفسخ وانشرح » قالوا:وما علامة ذلك ؟ قال: « الإنابة إلى دار الخُلود ، والتجافى عن دار الغُرور ، والاستعداد للموت قبل نزوله » (١).

ونور العبد هو الذى يصعد عمله وكلمه إلى الله تعالى ، فإن الله تعالى لا يصعد إليه من الكلم إلى الطيب ،وهو نور ومصدر عن النور ، ولا من العمل إلا الصالح ،ولا من الأرواح إلا الطيبة ،وهى أرواح المؤمنين التى استنارت بالنور الذى أنزله على رسوله ﷺ والملائكة الذين خلقوا من نور ،كما فى « صحيح مسلم »، عن عائشة ﵂ عن النبى ﷺ قال:« خلقت الملائكة من نور ،وخلقت الشياطين من نار ،وخُلق آدم مما وصف لكُم»(٢).

فلما كانت مادة الملائكة من نور ، كانوا هم الذين يعرجون إلى ربهم تبارك وتعالى ، وكذلك أرواح المؤمنين هى التى تعرج إلى ربها وقت قبض الملائكة لها ، فيفتح لها باب السماء الدنيا ، ثم الثانية ، ثم الثالثة ، ثم الرابعة ، إلى أن ينتهى بها إلى السماء السابعة، فتوقف بين يدى الله عز وجل ، ثم يأمر أن يكتب كتابه فى أهل عليين . فلما كانت هذه الروح روحاً زاكية طيبة نيّرة مشرقة صعدت إلى الله عز وجل مع الملائكة .

وأما الروح المظلمة الخبيثة الكدرة ،فإنها لا تفتح لها أبواب السماء،ولا تصعد إلى الله تعالى ، بل ترد من السماء الدنيا إلى عالمها وعنصرها ؛ لأنها أرضية سفلية ،والأولى علوية

---

(١) نوادر الأصول ص ١٢٥ ، ١٢٦ ، والحاكم فى المستدرك (٤/ ٣١١) فى الرقاق ، باب : إعلام النور فى الصدر ، وضعفه الألبانى .

(٢) مسلم (٢٩٩٦ / ٦٠) فى الزهد ، باب: فى أحاديث متفرقة ، وفيه : « وخلق الجان من مارج من نار » .

سماوية ، فرجعت كل روح إلى عنصرها وما هى منه ، وهذا مبين فى حديث البراء بن عازب الطويل الذى رواه الإمام أحمد،وأبو عوانة الإسفراييني فى « صحيحه » ،والحاكم وغيرهم ،وهو حديث صحيح (١).

والمقصود : أن الله عز وجل لا يصعد إليه من الأعمال والأقوال والأرواح إلا ما كان منها نوراً ،وأعظم الخلق نوراً أقربهم إليه وأكرمهم عليه .

وفى « المسند » من حديث عبد الله بن عمرو عن النبى ﷺ: « إن الله تعالى خلق خلْقه فى ظُلمة ، وألْقى عليهم من نوره ، فمن أصاب من ذلك النُّور اهتدى ، ومن أخطأ ضل ، فلذلك أقول : جفَّ القلمُ على علْم الله تعالى » (٢).

وهذا الحديث العظيم أصل من أصول الإيمان ، وينفتح به باب عظيم من أبواب سر القدر وحكمته ، والله تعالى الموفق .

وهذا النور الذى ألقاه عليهم ـ سبحانه وتعالى ـ هو الذى أحياهم وهداهم ، فأصاب الفطرة منه حظَّها ،ولكن لما لم يستقل بتمامه وكماله ، أكمله لهم ،وأتمه بالروح الذى ألقاه على رسله عليهم الصلاة والسلام،والنور الذى أوحاه إليهم، فأدركته الفطرة بذلك النور السابق الذى حصل لها يوم إلقاء النور ، فانضاف نور الوحى والنبوة إلى نور الفطرة ، نور على نور ، فأشرقت منه القلوب ، واستنارت به الوجوه ، وحييت به الأرواح ، وأذعنت به الجوارح للطاعات طوعاً واختياراً ، فازدادت به القلوب حياة إلى حياتها .

ثم دلها ذلك النور على نور آخر هو أعظم منه وأجل ،وهو نور الصفات العليا الذى يضمحل فيه كل نور سواه ، فشاهدته ببصائر الإيمان مشاهدة نسبتها إلى القلب كنسبة المرئيات إلى العين ، ذلك لاستيلاء اليقين عليها ، وانكشاف حقائق الإيمان لها ، حتى كأنها تنظر إلى عرش الرحمن تبارك وتعالى بارزاً ، وإلى استوائه عليه ، كما أخبر به سبحانه وتعالى فى كتابه ، وكما أخبر به عنه رسوله ﷺ ،يدبِّر أمر الممالك ، ويأمر وينهى ، ويخلق ويرزق ، ويميت ويحيى ،ويقضى وينفذ ،ويعزّ ويذلُّ ،ويقلب الليل والنهار ، ويداول الأيام بين الناس ، ويقلب الدول ، فيذهب بدولة،ويأتى بأخرى .

والرسل من الملائكة عليهم الصلاة والسلام بين صاعد إليه الأمر ، ونازل من عنده به،

---

(١) أبو داود (٤٧٥٣) فى السنة ، باب : فى المسألة فى القبر وعذاب القبر ، والنسائى (٢٠٥٧) فى الجنائز ، باب: عذاب القبر ، وأحمد ٤/ ٢٨٧ ، ٢٨٨ ،والحاكم فى المستدرك (١/ ٣٧ ـ ٤٠) فى الإيمان ، باب: مجىء ملك الموت عند قبض الروح، وقال: هذه الأسانيد التى ذكرتها صحيحة على شرط الشيخين »، ووافقه الذهبى.

(٢) أحمد ٢/ ١٧٦ ، ١٩٧ ، وصححه الشيخ شاكر (٦٦٤٤) .

وأوامره ومراسيمه متعاقبة على تعاقب الأوقات ، نافذة بحسب إرادته ومشيئته ، فما شاء كان كما شاء فى الوقت الذى يشاء على الوجه الذى يشاء ، من غير زيادة ولا نقصان، ولا تقدُّم ولا تأخُّر ،وأمره وسلطانه نافذ فى السموات وأقطارها ، وفى الأرض وما عليها وما تحتها ، وفى البحار والجو ،وفى سائر أجزاء العالم وذرَّاته ، يقلِّبها ويصرفها ، ويحدث فيها ما يشاء ، وقد أحاط بكل شىء علماً ، وأحصى كل شىء عدداً ، ووسع كل شىء رحمة وحكمة ،ووسع سمعه الأصوات ،فلا تختلف عليه ولا تشتبه عليه ، بل يسمع ضجيجها باختلاف لغاتها على تفنن حاجاتها ،فلا يشغله سمع عن سمع ، ولا تغلطه كثرة المسائل ، ولايتبرم بإلحاح الملحين ذوى الحاجات ،وأحاط بصره بجميع المرئيات ،فيرى دبيب النملة السوداء على الصخرة الصمَّاء فى الليلة الظلماء ،فالغيب عنده شهادة ،والسر عنده علانية، يعلم السر وأخفى من السر .

فالسر ما انطوى عليه ضمير العبد ، وخطر بقلبه ،ولم تتحرك به شفتاه ،وأخفى منه ما لم يخطر بقلبه بعد ،فيعلم أنه سيخطر بقلبه كذا وكذا فى وقت كذا وكذا له الخلق والأمر ،وله الملك وله الحمد وله الدنيا والآخرة ،وله النعمة ،وله الفضل،وله الثناء الحسن،وله الملك كله ،وله الحمد ، وبيده الخير كله ، وإليه يرجع الأمر كله ، شملت قدرته كل شىء ،ووسعت رحمته كل شىء ،وسعت نعمته إلى كل حى ﴿ **يَسْأَلُهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِي شَأْنٍ** ﴿٢٩﴾ ﴾ [الرحمن] : يغفر ذنباً ، ويفرِّج هماً ،ويكشف كرباً، ويجبر كسيرا ،ويغنى فقيرا ،ويُعلم جاهلا،ويهدى ضالا ، ويرشد حيراناً ،ويغيث لهْفانا ، ويفكُّ عانيا، ويُشبع جائعاً ،ويكسو عاريا ،ويشفى مريضا ، ويُعافى مبتلى ،ويقيل تائباً ،ويجزى مُحسنا ،وينصر مظلوما ، ويقصم جبارا ،ويُقبل عثرة، ويستر عورة ، ويؤمِّن روعة ،ويرفع أقواما ،ويضع آخرين ،لا ينام ،ولا ينبغى له أن ينام ،يخفض القسط ويرفعه ، يرفع إليه عمل الليل قبل النهار ،وعمل النهار قبل الليل، حجابه النور ، لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه ، يمينه ملأى، لا تغيضها نفقة، سحاء الليل والنهار .

أرأيتم ما أنفق منذ خلق الخلق ، فإنه لم يغض ما فى يمينه، قلوب العباد ونواصيهم بيده، وأزمَّة الأمور معقودة بقضائه وقدره ، الأرض جميعاً قبضته يوم القيامة ، والسموات مطويات بيمينه ، يقبض سمواته كلها بيده الكريمة ، والأرض باليد الأخرى ، ثم يهزُّهن ، ثم يقول :أنا الملك ، أنا الذى بدأت الدنيا ولم تكن شيئا ،وأنا الذى أعيدها كما بدأتها.ولا يتعاظمه ذنب يغفره ، ولا حاجة يسألها أن يعطيها.

لو أن أهل سماواته ، وأهل أرضه ،وأول خلقه وآخرهم ،وإنسهم وجنهم كانوا على أتقى قلب رجل منهم ، ما زاد فى ملكه شيئا، ولو أن أول خلقه وآخرهم ، وإنسهم وجنهم ، كانوا على أفجر قلب رجل منهم ، ما نقص ذلك من ملكه شيئاً ،ولو أن أهل سمواته ،وأهل أرضه،وإنسهم وجنهم،وحيهم وميتهم ويابسهم ، قاموا فى صعيد واحد ، فسألوه ، فأعطى كلا منهم، ما سأله ، ما نقص ذلك مما عنده مثقال ذرة .

ولو أن أشجار الأرض كلها من حين وجدت إلى أن تنقضى الدنيا أقلام ،والبحر وراءه سبعة أبحر تمده من بعده مداد ، فكتب بتلك الأقلام وذلك المداد ،لفنيت الأقلام ، ونفد المداد،ولم تنفد كلمات الخالق تبارك وتعالى. وكيف تفنى كلماته جل جلاله وهى لا بداية لها ولا نهاية ، والمخلوق له بداية ونهاية ، فهو أحق بالفناء والنفاد وكيف يفنى المخلوق غير المخلوق .

هو الأول الذى ليس قبله شىء ،والآخر ليس بعده شىء ، والظاهر الذى ليس فوقه شىء ، والباطن الذى ليس دونه شىء .

تبارك وتعالى ، أحق من ذكر ، وأحق من عبد ،وأحق من حمد ،وأولى من شكر، وأنصر من ابتغى، وأرأف من ملك ،وأجود من سئل ،وأعفى من قدر ،وأكرم من قصد، وأعدل من انتقم ، حكمه بعد علمه ،وعفوه بعد قدرته،ومغفرته عن عزته ،ومنعه عن حكمته،وموالاته عن إحسانه ورحمته .

ما للعباد عليه حق واجبٌ كلا ولا سعْى لديه ضائعُ
إن عذّبوا فبعدلِه أو نُعّموا فبفضْله ،وهو الكريم الواسعُ

هو الملك الذى لا شريك له ، والفرد فلا ندَ له ،والغنى فلا ظهير له ، والصمد فلا ولد له ، ولا صاحبة له ، والعلى فلا شبيه له ، ولا سميَّ له ،كلُّ شىء هالك إلا وجهه ، وكلُّ ملك زائل إلا ملكه ،وكل ظل قالص إلا ظله ، وكل فضل منقطع إلا فضله ، لن يطاع إلا بإذنه ورحمته ، ولن يعصى إلا بعلمه وحكمته ، يُطاع فيشكر ،ويعصى فيتجاوز ويغفر ، كل نقمة منه عدل ، وكل نعمة منه فضل، أقرب شهيد ، وأدنى حفيظ ، حال دون النفوس ،وأخذ بالنواصى ،وسجَّل الآثار ، وكتب الآجال ، فالقلوب له مفضية ؛ والسر عنده علانية ، والغيب عنده شهادة ، عطاؤه كلام، وعذابه كلام ،﴿ **إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ** ﴿٨٢﴾ ﴾[يس] .

فإذا أشرقت على القلب أنوار هذه الصفات ، اضمحل عندها كل نور ،ووراء هذا ما

لا يخطر بالبال ،ولا تناله عبارة .والمقصود : أن الذكر ينوِّر القلب والوجه والأعضاء، وهو نور العبد فى دنياه ،وفى البرزخ ،وفى القيامة .

وعلى حسب نور الإيمان فى قلب العبد ، تخرج أعماله وأقواله، ولها نور وبرهان ، حتى إن من المؤمنين من يكون نور أعماله إذا صعدت إلى اللّه تبارك وتعالى كنُور الشمس ، وهكذا نور روحه إذا قدم بها على اللّه عز وجل،وهكذا يكون نوره الساعى بين يديه على الصراط، وهكذا يكون نور وجهه فى القيامة ، واللّه تعالى المستعان وعليه الاتكال .

السابعة والثلاثون : أن الذكر رأس الأمور ،وطريق عامة الطائفة ،ومنشور الولاية ، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على اللّه عز وجل ، فليتطهر وليدخل على ربه عز وجل يجد عنده كل ما يريد ، فإن وجد ربه عز وجل وجد كل شىء ، وإن فاته ربه عز وجل فاته كل شىء .

الثامنة والثلاثون :أن فى القلب خلّة وفاقة لا يسدُّها شىء البتة إلا ذكر اللّه عز وجل، فإذا صار الذكر شعار القلب ،بحيث يكون هو الذاكر بطريق الأصالة ،واللسان تبع له، فهذا هو الذكر الذى يسد الخلة،ويغنى الفاقة،فيكون صاحبه غنيا بلا مال،عزيزًا بلا عشيرة، مهيبا بلا سلطان ، فإذا كان غافلا عن ذكر اللّه عز وجل ، فهو بضد ذلك ، فقير مع كثرة جدته، ذليل مع سلطانه ، حقير مع كثرة عشيرته .

التاسعة والثلاثون : أن الذكر يجمع المتفرّق ، ويفرّق المجتمع ،ويقرّب البعيد ، ويبعد القريب .

فيجمع ما تفرَّق على العبد من قلبه وإرادته ، همومه وعزومه ، والعذاب كل العذاب فى تفرقتها وتشتتها عليه، وانفراطها له .

والحياة والنعيم فى اجتماع قلبه وهمه ، وعزمه وإرادته ،ويفرق ما اجتمع عليه من الهموم ، والغموم ،والأحزان ، والحسرات على فوت حظوظه ،ومطالبه، ويفرق أيضاً ما اجتمع عليه من ذنوبه وخطاياه وأوزاره، حتى تتساقط عنه وتتلاشى وتضمحل ،ويفرق أيضا ما اجتمع على حربه من جند الشيطان ، فإن إبليس لا يزال يبعث له سرية بعد سرية، وكلما كان أقوى طلبا للّه سبحانه وتعالى ، وأشد تعلقا به وإرادة له ، كانت السرية أكثف وأكثر وأعظم شوكة ، بحسب ما عند العبد من مواد الخير والإرادة ولا سبيل إلى تفريق هذا الجمع إلا بدوام الذكر .

وأما تقريبه البعيد ، فإنه يقرب إليه الآخرة التى يبعدها منه الشيطان والأمل، فلا يزال

يلهج بالذكر حتى كأنه قد دخلها وحضرها، فحينئذ تصغر فى عينه الدنيا ، وتعظم فى قلبه الآخرة .

ويبعد القريب إليه وهى الدنيا التى هى أدنى إليه من الآخرة ، فإن الآخرة متى قربت من قلبه بعدت منه الدنيا ، كلما قرب من هذه مرحلة بعد من هذه مرحلة ، ولا سبيل إلى هذا إلا بدوام الذكر والله المستعان .

الأربعون: أن الذكر ينبه القلب من نومه ، ويوقظه من سنته ، والقلب إذا كان نائما فاتته الأرباح والمتاجر ، وكان الغالب عليه الخسران، فإذا استيقظ وعلم ما فاته فى نومته شد المئزر،وأحيا بقية عمره ،واستدرك ما فاته ، ولا تحصل يقظته إلا بالذكر ، فإن الغفلة نوم ثقيل .

الحادية والأربعون : أن الذكر شجرة تثمر المعارف والأحوال التى شمر إليها السالكون، فلا سبيل إلى نيل ثمارها إلا من شجرة الذكر، وكلما عظمت تلك الشجرة ورسخ أصلها، كان أعظم لثمرتها ، فالذكر يثمر المقامات كلها من اليقظة إلى التوحيد ، وهو أصل كل مقام، وقاعدته التى ينبنى ذلك المقام عليها ، كما يبنى الحائط على أُسِّه ، وكما يقوم السقف على حائطه ، وذلك أن العبد إن لم يستيقظ ، لم يمكنه قطع منازل السير ،ولا يستيقظ إلا بالذكر كما تقدم ، فالغفلة نوم القلب أو موته .

الثانية والأربعون:أن الذاكر قريب من مذكوره،ومذكوره معه،وهذه المعية معية خاصة غير معية العلم والإحاطة العامة ،فهى معية بالقرب والولاية والمحبة والنصرة والتوفيق ، كقوله تعالى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوا**﴾[النحل : ١٢٨] ، ﴿ **وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ (٢٤٩)**﴾ [البقرة]، ﴿ **وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ (٦٩)** ﴾ [العنكبوت] ﴿**لا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا** ﴾ [التوبة : ٤٠]. وللذاكر من هذه المعية نصيب وافر ، كما فى الحديث الإلهى:« أنا مع عبدى ما ذكرنى وتحركت بى شفتاه »(١).

وفى أثر آخر:« أهل ذكرى أهل مجالستى ،وأهل شكرى أهل زيادتى، وأهل طاعتى أهل كرامتى ،وأهل معصيتى لا أقنطهم من رحمتى،إن تابوا فأنا حبيبهم،فإنى أحب التوابين، وأحب المتطهرين، وإن لم يتوبوا ،فأنا طبيبهم ،أبتليهم بالمصائب،لأطهرهم من المعائب » .

---

(١) البخارى تعليقاً (فتح ١٣ / ٤٩٩) فى التوحيد ، باب : قول الله تعالى : ﴿ **لا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ (١٦)** ﴾ [القيامة] ، وابن ماجه (٣٧٩٢) فى الأدب ، باب : فضل الذكر ، والحاكم فى المستدرك(١/٤٩٦) فى الدعاء، باب : أنا مع عبدى إذا هو ذكرنى ، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ،ووافقه الذهبى .

والمعية الحاصلة للذاكر معية لا يشبهها شيء ،وهى أخص من المعية الحاصلة للمحسن والمتقى ، وهى معية لا تدركها العبارة ، ولا تنالها الصفة ، وإنما تعلم بالذوق : وهى مزلة أقدام إن لم يصحب العبد فيها تمييز بين القديم والمحدث ، بين الرب والعبد، بين الخالق والمخلوق ، بين العابد والمعبود ، وإلا وقع فى حلول يضاهى به النصارى ، أو اتحاد يضاهى به القائلين بوحدة الوجود ،وأن وجود الرب عين وجود هذه المخلوقات، بل ليس عندهم رب وعبد ، ولاخلق وحق ، بل الرب هو العبد ، والعبد هو الرب ،والخلق المشبَّه هو الحق المنزه ، تعالى اللّه عما يقول الظالمون والجاحدون علواً كبيراً .

والمقصود : أنه إن لم يكن مع العبد عقيدة صحيحة ، وإلا فإذا استولى عليه سلطان الذكر ، وغاب بمذكوره عن ذكره وعن نفسه،ولج فى باب الحلول والاتحاد ولا بد .

الثالثة والأربعون :أن الذكر يعدل عتق الرقاب ،ونفقة الأموال،والحمل على الخيل فى سبيل اللّه عز وجل ، ويعدل الضرب بالسيف فى سبيل اللّه عز وجل،وقد تقدم أن«من قال فى يوم مائة مرة : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكُتبت له مائة حسنة ، ومُحيت عنه مائة سيئة، وكانت لهُ حِرزاً من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى . . . » الحديث [1].

وذكر ابن أبى الدنيا ،عن الأعمش ، عن سالم بن أبى الجعد قال : قيل لأبى الدرداء: إن رجلا أعتق مائة نسمة. قال : إن مائة نسمة من مال رجل كثير ، وأفضل من ذلك إيمان ملزُوم بالليل والنهار ، وألا يزال لسان أحدكم رطبا من ذكر الله عز وجل .

وقال ابن مسعود : لأن أسبح الله تسبيحات أحب إلى من أنفق عددهن دنانير فى سبيل الله عز وجل .

وجلس عبد اللّه بن عمرو، وعبد اللّه بن مسعود، فقال عبد اللّه بن مسعود: لأن آخذ فى طريق أقول فيه: سبحان الله ، والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر أحب إلىَّ من أن أنفق عددهن دنانير فى سبيل اللّه عز وجل، فقال عبد اللّه بن عمرو : لأن آخذ فى طريق ، فأقولهن أحبُّ إلى من أن أحمل عددهن على الخيل فى سبيل اللّه عز وجل.

وقد تقدَّم حديث أبى الدرداء قال: قال رسول اللّه ﷺ: « ألا أنبِّئكُم بخيْرِ أعمالكم، وأزكاها عند مليككم وأرفعها فى درجاتكم ،وخيرٍ لكم من إنفاق الورق والذهب،وخيرٍ لكم من أن تلقوا عدوَّكُم فتضربوا أعناقكم،ويضربوا أعناقكم »؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه،

(١) سبق تخريجه ص ١٨٧ .

قال: « ذكرُ اللّه » (١) رواه ابن ماجه والترمذى ، وقال الحاكم: صحيح الإسناد .

الرابعة والأربعون : أن الذكر رأس الشكر ،فما شكر اللّه تعالى من لم يذكره.

وذكر البيهقى عن زيد بن أسلم، أن موسى عليه السلام قال: ربّ قد أنعمت علىَّ كثيراً ، فدلنى على أن أشكرك كثيراً ، قال: اذكرنى كثيراً ،فإذا ذكرتنى كثيرا فقد شكرتنى كثيراً ، وإذا نسيتنى فقد كفرتنى .

وقد ذكر البيهقى أيضاً فى شعب الإيمان،عن عبد اللّه بن سلام قال: قال موسى عليه السلام: يا رب ،ما الشكر الذى ينبغى لك ؟ فأوحى اللّه تعالى إليه ألا يزال لسانك رطباً من ذكرى، قال: يا رب إنى أكون على حال أجلك أن أذكرك فيها .قال :وما هى ؟ قال: أكون جنباً، أو على الغائط ، أو إذا بلت . فقال: وإن كان . قال: يا رب ،فما أقول؟ قال : تقول: «سبحانك وبحمدك وجنبنى الأذى ، وسبحانك وبحمدك فقنى الأذى » .

قلت: قالت عائشة : كان رسول اللّه ﷺ يذكرُ اللّه تعالى على كل أحيانه (٢).

ولم تستثن حالة من حاله ،وهذا يدل على أنه كان يذكر ربه تعالى فى حال طهارته وجنابته . وأما فى حال التخلى ، فلم يكن يشاهده أحد يحكى عنه ، ولكن شرع لأمته من الأذكار قبل التخلى وبعده ما يدل على مزيد الاعتناء بالذكر ، وأنه لا يخل به عند قضاء الحاجة وبعدها ، وكذلك شرع لأمته من الذكر عند الجماع أن يقول أحدكم :«بسم اللّه ، اللهم جنبنا الشيطان ، وجنب الشيطان ما رزقتنا »(٣) . وأما الذكر عند نفس قضاء الحاجة ، وجماع الأهل ، فلا ريب أنه لا يكره بالقلب ؛ لأنه لا بد لقلبه من ذكر ، ولا يمكنه صرف قلبه عن ذكر من هو أحب شىء إليه ، فلو كلّف القلب نسيانه لكان تكليفه بالمحال ، كما قال القائل :

يُراد من القلب نِسيانكُم وتأبى الطِّباع على الناقل

---

(١) الترمذى (٣٣٧٧) فى الدعوات ، باب (٦) ، وابن ماجه (٣٧٩) فى الأدب ،باب: فضل الذكر ، والحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٦) فى الدعاء ، باب : «أنا مع عبدى إذا ذكرنى وتحركت بى شفتاه » .

(٢) مسلم (٣٧٣ / ١١٧) فى الحيض ، باب : ذكر اللّه تعالى فى حال الجنابة وغيرها ، وأبو داود (١٨) فى الطهارة ، باب : فى الرجل يذكر اللّه تعالى على غير طهر ، والترمذى (٣٣٨٤) فى الدعوات ، باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، وقال: «غريب » ؛ وابن ماجه (٣٠٢) فى الطهارة ، باب: ذكر اللّه عز وجل على الخلاء والخاتم فى الخلاء ، وأحمد ٦/ ٧٠، ١٥٣ .

(٣) البخارى (١٤١) فى الوضوء ،باب : التسمية على كل حال وعند الوقاع،ومسلم(١٤٣٤/١١٦)فى النكاح، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع ؛ وأبو داود (٢١٦١) فى النكاح ، باب :جامع النكاح ، وابن ماجه (١٩١٩) فى النكاح ، باب :ما يقول الرجل إذا دخلت عليه امرأته ، وأحمد ١/ ٢١٧ .

فأما الذكر باللسان على هذه الحالة، فليس مما شرع لنا ، ولا ندبنا إليه رسول الله ﷺ، ولا نقل عن أحد من الصحابة رضي الله عنهم .

وقال عبد الله بن أبى الهذيل : إن الله تعالى ليُحبُّ أن يُذكر فى السوق ، ويحبُّ أن يذكر على كُلِّ حال ، إلا على الخلاء .

ويكفى فى هذه الحال استشعار الحياء ، والمراقبة ، والنعمة عليه فى هذه الحالة ، وهى من أجل الذكر ، فذكر كل حال بحسب ما يليق بها . واللائق بهذه الحال ، التقنُّع بثوب الحياء من الله تعالى ، وإجلاله، وذكر نعمته عليه ، وإحسانه إليه فى إخراج هذا القذر المؤذى له الذى لو بقى فيه لقتله . فالنعمة فى تيسير خروجه ، كالنعمة فى التغذى به .

وكان على بن أبى طالب إذا خرج من الخلاء ، مسح بطنه وقال: يا لها نعْمةٌ لو يعلمُ الناسُ قدرها .

وكان بعض السلف يقول: الحمد لله الذى أذاقنى لذّته، وأبقى فى منفعته ، وأذهب عنى مضرته .

وكذلك ذكره حال الجماع ذكر النعمة التى من بها عليه، وهى أجل نعم الدنيا . فإذا ذكر نعمة الله تعالى عليه بها ، هاج من قلبه هائج الشكر ، فالذكر رأس الشكر .

وقال النبى ﷺ لمعاذ : « والله يا معاذ إنى لأحبك ، فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة: اللهم أعنى على ذكرك وشكرك ، وحسن عبادتك » (١).

جمع بين الذكر والشكر ، كما جمع سبحانه وتعالى بينهما فى قوله تعالى : ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ ﴿١٥٢﴾﴾ [البقرة] فالذكر والشكر جماع السعادة والفلاح .

الخامسة والأربعون: أن أكرم الخلق على الله تعالى من المتقين من لا يزال لسانه رطباً بذكره ، فإنه اتقاه فى أمره ونهيه ، وجعل ذكره شعاره .

فالتقوى أوجبت له دخول الجنة والنجاة من النار ، وهذا هو الثواب والأجر.

والذكر يوجب له القرب من الله عز وجل والزلفى لديه ، وهذه هى المنزلة .

وعمال الآخرة على قسمين : منهم من يعمل على الأجر والثواب، ومنهم من يعمل على المنزلة والدرجة ، فهو ينافس غيره فى الوسيلة والمنزلة عند الله تعالى ، ويسابق إلى

---

(١) سبق تخريجه ص ١٨٢ .

القرب منه، وقد ذكر الله تعالى النوعين فى سورة الحديد فى قول الله تعالى: ﴿ إِنَّ الْمُصَّدِّقِينَ وَالْمُصَّدِّقَاتِ وَأَقْرَضُوا اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا يُضَاعَفُ لَهُمْ وَلَهُمْ أَجْرٌ كَرِيمٌ ﴿١٨﴾ ﴾[الحديد]، فهؤلاء أصحاب الأجور والثواب، ثم قال: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ أُولَئِكَ هُمُ الصِّدِّيقُونَ ﴾ [الحديد: ١٩] ، فهؤلاء أصحاب المنزلة والقرب ، ثم قال: ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾[الحديد: ١٩] فقيل: هذا عطف على الخبر من ﴿ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرُسُلِهِ ﴾ أخبر عنهم بأنهم هم الصديقون ، وأنهم الشهداء الذين يشهدون على الأمم ، ثم أخبر بخبر آخر: أن لهم أجراً ، وهو قوله تعالى: ﴿ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ ﴾، فيكون قد أخبر عنهم بأربعة أمور:

أنهم صديقون، وشهداء . فهذه هى المرتبة والمنزلة . قيل: تم الكلام عند قوله تعالى: ﴿الصِّدِّيقُونَ ﴾ ، ثم ذكر بعد ذلك حال الشهداء، فقال: ﴿ وَالشُّهَدَاءُ عِندَ رَبِّهِمْ لَهُمْ أَجْرُهُمْ وَنُورُهُمْ﴾، فيكون قد ذكر المتصدقين أهل البر والإحسان، ثم المؤمنين الذين قد رسخ الإيمان فى قلوبهم وامتلؤوا منه ، فهم الصديقون ، وهم أهل العلم والعمل ، والأولون أهل البر والإحسان ، ولكن هؤلاء أكمل صدِّيقيَّة منهم .

ثم ذكر ـ سبحانه ـ الشهداء ، وأنه تعالى يجرى عليهم رزقهم ونورهم ؛ لأنهم لما بذلوا أنفسهم لله تعالى أثابهم الله تعالى عليها ، أن جعلهم أحياء عنده يرزقون ، فيجرى عليهم رزقهم ونورهم ، فهؤلاء السعداء .

ثم ذكر الأشقياء فقال: ﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ ﴿١٠﴾ ﴾ [المائدة]

والمقصود : أنه ـ سبحانه وتعالى ـ ذكر أصحاب الأجور والمراتب ، وهذان الأمران هما اللذان وعدهما فرعون السحرة إن غلبوا موسى عليه الصلاة والسلام فقالوا: ﴿ أَئِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ الْغَالِبِينَ ﴿٤١﴾ قَالَ نَعَمْ وَإِنَّكُمْ إِذًا لَّمِنَ الْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٢﴾ ﴾ [الشعراء] أى : أجمع لكم بين الأجر ، والمنزلة عندى والقرب منى .

فالعمال عملوا على الأجور ، والعارفون عملوا على المراتب المنزلة والزلفى عند الله ، وأعمال هؤلاء القلبية أكثر من أعمال أولئك ، وأعمال أولئك البدنية قد تكون أكثر من أعمال هؤلاء .

وذكر البيهقى عن محمد بن كعب القرظى رحمه الله تعالى قال: قال موسى عليه السلام: يا رب ، أى خلقك أكرَم عليك ؟ قال: الذى لا يزال لسانُه رطباً بذكرى . قال: يارب، فأىُّ خلقك أعلَم ؟ قال: الذى يلتمسُ إلى علمه علم غيْره . قال : يا ربِّ ، أىُّ خلقك أعدلُ ؟ قال: الذى يقضى على نفسه مثلما يقضى على الناس . قال : يا ربِّ ، أىّ خلقك أعظم ذنباً ؟ قال: الذى يتَّهمُنى . قال: يا ربِّ وهلّ يتهمك أحدٌ ؟ قال: الذى يستخيرنى ولا يرضى بقضائى .

وذكر أيضا عن ابن عباس قال: لما وفد موسى عليه السلام إلى طور سيناء قال: يا ربِّ ، أىُّ عبادك أحبُّ إليك ؟ قال: الذى يذكُرنى ولاينسانى .

وقال كعب: قال موسى عليه السلام : يا رب ، أقريبٌ أنت فأناجيك ، أم بعيدٌ فأناديك ؟ فقال تعالى : يا موسى ، أنا جليس منّ ذكرنى . قال : إنى أكون على حال أجلّك عنها . قال: ما هى يا موسى ؟ قال: عند الغائط والجنابة . قال : اذكرنى على كلِّ حال .

وقال عبيد بن عمير : تسبيحة بحمد الله فى صحيفة مؤمن خير له من جبال الدنيا تجرى معه ذهباً .

وقال الحسن : إذا كان يوم القيامة نادى مناد : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين الذين كانت : ﴿ **تَتَجَافَىٰ جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ** (١٦) ﴾ [السجدة] ،قال: فيقومون فيتخطون رقاب الناس . قال: ثم ينادى مناد : سيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين كانت: ﴿ **لاَّ تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلا بَيْعٌ عَن ذِكْرِ اللَّهِ** ﴾ [النور : ٣٧] ، قال : فيقومون فيتخطون رقاب الناس ، قال : ثم ينادى مناد : وسيعلم أهل الجمع من أولى بالكرم ، أين الحمَّادون لله على كل حال؟ قال: فيقومون وهم كثير ، ثم تكون التبعة والحساب فيمن بقى .

وأتى رجل أبا مسلم الخولانى فقال له : أوصنى يا أبا مسلم ، قال :اذكر الله تعالى تحت كل شجرة ومدرة ، فقال : زدنى، فقال : اذكر الله تعالى حتى يحسبك الناس من ذكر الله تعالى مجنوناً ، قال:وكان أبو مسلم يكثر ذكر الله تعالى ، فرآه رجل وهو يذكر الله تعالى ، فقال : أمجنون صاحبكم هذا؟ فسمعه أبو مسلم فقال: ليس هذا بالجنون يابن أخى ، ولكن هذا دواء الجنون .

السادسة والأربعون: أن فى القلب قسوة لا يذيبها إلا ذكر الله تعالى ، فينبغى للعبد أن يداوى قسوة قلبه بذكر الله تعالى .

وذكر حماد بن زيد ،عن المعلى بن زياد ، أن رجلاً قال للحسن : يا أبا سعيد، أشكو

إليك قسوة قلبي ، قال: أذِبهُ بالذكر . وهذا لأن القلب كلما اشتدت به الغفلة ،اشتدت به القسوة ، فإذا ذكر الله تعالى ذابت تلك القسوة كما يذوب الرصاص فى النار،فما أذيبت قسوة القلوب بمثل ذكر الله عز وجل .

السابعة والأربعون :أن الذكر شفاءُ القلب ودواؤه ،والغفلة مرضه ،فالقلوب مريضة، وشفاؤها ،ودواؤها فى ذكر الله تعالى .

قال مكحول: ذكر الله تعالى شفاء ، وذكر الناس داءٌ .

وذكر البيهقى عن مكحول مرفوعاً ومرسلاً : فإذا ذَكَرْتهُ شفاها وعافاها، فإذا غفلت عنه انتكست ،كما قيل :

إذا مرضنا تداوينا بذكرِكُمُ فنتركُ الذكر أحيانا فنتكسُ

الثامنة والأربعون :أن الذكر أصل موالاة الله عز وجل ورأسها ،والغفلة أصل معاداته ورأسها ،فإن العبد لا يزال يذكر ربه عز وجل حتى يحبه فيواليه ،ولا يزال يغفل عنه حتى يبغضه فيعاديه .

قال الأوزاعى : قال حسان بن عطية : ما عادى عبد ربه بشيء أشد عليه من أن يكره ذكره أو من يذكره .

فهذه المعاداة سببها الغفلة ،ولا تزال بالعبد حتى يكره ذكر الله ويكره من يذكره ، فحينئذ يتخذه عدوا كما اتخذ الذاكر وليا .

التاسعة والأربعون : أنه ما استجلبت نعم الله عز وجل واستدفعت نقمه بمثل ذكر الله تعالى ، فالذكر جلاب للنعم ، دافع للنقم ، قال سبحانه وتعالى :﴿ **إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا** ﴾، وفى القراءة الأخرى: ﴿ **إِنَّ اللَّهَ يَدْفَعُ** ﴾ [الحج : ٣٨] ، فدفعه ودفاعه عنهم بحسب قوة إيمانهم وكماله ، ومادّة الإيمان وقوته بذكر الله تعالى ، فمن كان أكمل إيماناً ، وأكثر ذكراً ،كان دفع الله تعالى عنه ودفاعه أعظم ، ومن نقص نقص ذكراً بذكر ،ونسياناً بنسيان ،وقال سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِذْ تَأَذَّنَ رَبُّكُمْ لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ** ﴾ [إبراهيم : ٧] .

واالذكر رأس الشكر ، والشكر جلاب النعم ،وموجب للمزيد .

قال بعض السلف ـ رحمة الله عليهم :ما أقبح الغفلة عن ذكر من لا يغْفل عن ذكرك.

الخمسون :أن الذكر يوجب صلاة اللّه عز وجل وملائكته على الذاكر،ومن صلى الله تعالى عليه وملائكته فقد أفلح كل الفلاح ،وفاز كل الفوز ،قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا (٤٢) هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا (٤٣)** ﴾ [الأحزاب].

فهذه الصلاة منه تبارك وتعالى ومن ملائكته ، إنما هى على الذاكرين له كثيرا ، وهذه الصلاة منه ومن الملائكة هى سبب الإخراج لهم من الظلمات إلى النور ، وإذا حصلت لهم الصلاة من اللّه تبارك وتعالى وملائكته ،وأخرجوهم من الظلمات إلى النور، فأى خير لم يحصل لهم بذلك ، وأى شر لم يدفع عنهم ؟ فيا حسرة الغافلين عن ربهم ماذا حرموا من خيره وفضله ، وباللّه والتوفيق .

الحادية والخمسون : أن من شاء اللّه أن يسكن رياض الجنة فى الدنيا ، فليستوطن مجالس الذكر ، فإنها رياض الجنة .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا وغيره من حديث جابر بن عبد اللّه قال: خرج علينا رسول اللّه ﷺ فقال:« يا أيها الناس ارتعوا فى رياض الجنة » قلنا : يا رسول اللّه ، وما رياض الجنة؟ قال :« مجالس الذكر » ،ثم قال : « اغدوا وروحوا واذكروا ، فمن كان يحب أن يعلم منزلته عند الله تعالى ؛ فلينظر كيف منزلة الله تعالى عنده ، فإن الله تعالى ينزل العبد منه حيث أنزله من نفسه »(١).

الثانية والخمسون :أن مجالس الذكر مجالس الملائكة ، فليس من مجالس الدنيا لهم مجلس إلا مجلس يذكر الله تعالى فيه ، كما أخرجا فى « الصحيحين » من حديث الأعمش، عن أبى صالح ، عن أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ :« إن للّه ملائكة فضلا عن كتاب الناس يطوفون فى الطرق يلتمسون أهل الذكر ، فإذا وجدوا قوماً يذكرون اللّه تعالى تنادوا : هلموا إلى حاجتكم ، قال: فيحفونهم بأجنحتهم إلى السماء الدنيا ، قال: فيسألهم ربهم تعالى ـ وهو أعلم بهم : ما يقول عبادى ؟ قال: يقولون: يسبحونك ويكبرونك ،ويحمدونك، ويمجدونك . قال: فيقول : هل رأونى ؟ قال : فيقولون: لا والله ما رأوك ، قال: فيقول : كيف لو رأونى ؟ قال: فيقولون: لو رأوك كانوا أشد لك

---

(١) الحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٤) فى الدعاء ؛ باب : من كان يحب أن يعلم منزلته عند الله فلينظر كيف منزلة الله عنده ، وقال :صحيح الإسناد ولم يخرجاه ، وتعقبه الذهبى فقال : « عمر ـ أى ابن عبد الله مولى غُفْرة ـ ضعيف » .

عبادة ،وأشد لك تحميدا وتمجيدا ، وأكثر لك تسبيحا. قال: فيقول : ما يسألونى ؟ قال: يسألونك الجنة . قال: فيقول: وهل رأوها ؟ قال: يقولون : لا والله يا رب ، ما رأوها. قال: فيقول : فكيف لو أنهم رأوها ؟ قال: يقولون: لو أنهم رأوها كانوا أشد عليها حرصا، وأشد لها طلبا ، وأعظم فيها رغبة . قال : فيقول: فمم يتعوذون ؟ قال: من النار. قال: يقول:وهل رأوها ؟ قال: يقولون:لا والله يا رب ، ما رأوها . قال : يقول : فكيف لو رأوها ، قال : يقولون: لو رأوها كانوا أشد منها فرارا،وأشد لها مخافة. قال: يقول: فأشهدكم أنى قد غفرت لهم . قال : فيقول ملك من الملائكة: فيهم فلان ليس منهم ، إنما جاء لحاجة . قال : هم الجلساء لا يشقى به جليسهم » (١).

فهذا من بركتهم على نفوسهم وعلى جليسهم ، فلهم نصيب من قوله: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ﴾ [مريم:٣١] ، فهكذا المؤمن مبارك أين حل ، والفاجر مشؤوم أين حل .

فمجالس الذكر : مجالس الملائكة ، ومجالس الغفلة : مجالس الشياطين،وكل مضاف إلى شكله وأشباهه ، وكل امرئ يصير إلى ما يناسبه .

الثالثة والخمسون : أن الله عز وجل يباهى بالذاكرين ملائكته ، كما روى مسلم فى «صحيحه» عن أبى سعيد الخدرى قال : خرج معاوية على حلقة فى المسجد ، فقال : ما أجلسكم ؟ قالوا : جلسنا نذكر الله تعالى . قال : آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ قالوا : والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، وما كان أحد بمنزلتى من رسول الله ﷺ أقل عنه حديثا منى ، وإن رسول الله ﷺ خرج على حلقة من أصحابه ، فقال: «ما أجلسكم ؟ » قالوا: جلسنا نذكر الله تعالى ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا. قال: « آلله ما أجلسكم إلا ذاك ؟ » قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك . قال : «أما إنى لم أستحلفكم تهمة لكم ، ولكنه أتانى جبريل فأخبرنى : أن الله تبارك وتعالى يباهى بكم الملائكة » (٢) .

فهذه المباهاة من الرب تبارك وتعالى دليل على شرف الذكر عنده ،ومحبته له، وأن له

---

(١) البخارى (٦٤٠٨) فى الدعوات، باب : فضل ذكر الله عز وجل ،ومسلم (٢٦٨٩ / ٢٥) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،باب : فضل مجالس الذكر .

(٢) مسلم (٢٧٠١/ ٤٠) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: فضل الاجتماع على تلاوة القرآن وعلى الذكر .

مزية على غيره من الأعمال .

الرابعة والخمسون: أن مُدمن الذكر يدخل الجنة وهو يضحك ،لما ذكر ابن أبى الدنيا عن عبد الرحمن بن مهدى ، عن معاوية بن صالح، عن عبد الرحمن بن جبير بن نفير الحضرمى عن أبيه ،عن أبى الدرداء قال: الذين لا تزال ألسنتهم رطبة من ذكر الله عز وجل يدخل أحدهم الجنة وهو يضحك .

الخامسة والخمسون: أن جميع الأعمال إنما شرعت إقامة لذكر اللّه تعالى ، والمقصود بها تحصيل ذكر اللّه تعالى .

قال سبحانه وتعالى: ﴿**وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي** ﴿١٤﴾﴾ [طه] . قيل : المصدر مضاف إلى الفاعل ،أى : لأذكرك بها ،وقيل :مضاف إلى المذكور ،أى:لتذكرونى بها .واللام فى هذا لام التعليل. وقيل:هى اللام الوقتية ، أى: أقم الصلاة عند ذكرى .كقوله: ﴿ **أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ** ﴾[الإسراء:٧٨]،وقوله تعالى: ﴿**وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ الْقِسْطَ لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ**﴾ [الأنبياء: ٤٧]،وهذا المعنى يراد بالآية ، لكن تفسيرها به يجعل معناها فيه نظر ؛ لأن هذه اللام الوقتية يليها أسماء الزمان والظروف ،والذكر مصدر إلا أن يقدر زمان محذوف ، أى: عند وقت ذكرى ، وهذا محتمل .

والأظهر :أنها لام التعليل ، أى : أقم الصلاة لأجل ذكرى ، ويلزم من هذا أن تكون إقامتها عند ذكره ،وإذا ذكر العبد ربه ، فذكر الله تعالى سابق على ذكره، فإنه لما ذكره ألهمه ذكره ، فالمعانى الثلاثة حق .

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ **اتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ** ﴾[العنكبوت:٤٥] .

فقيل: المعنى : إنكم فى الصلاة تذكرون الله ، وهو ذاكر من ذكره ،ولذكر اللّه تعالى إياكم أكبر من ذكركم إياه. وهذا يروى عن ابن عباس ،وسلمان ،وأبى الدرداء،وابن مسعود ﷺ .

وذكر ابن أبى الدنيا عن فضيل بن مرزوق عن عطية : ﴿ **وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ**﴾ قال:هو قوله تعالى : ﴿ **فاذكرونى أذكركم** ﴾ فذكراللّه تعالى لكم أكبر من ذكركم إياه .

وقال ابن زيد وقتادة :معناه : وذكر الله أكبر من كل شىء .

وقيل : لسلمان : أى الأعمال أفضل ؟ فقال: أما تقرأ القرآن: ﴿ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ ﴾. ويشهد لهذا حديث أبى الدرداء: « ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليككم ،وخير لكم من إنفاق الذهب والورق . . . » الحديث [١].

وكان شيخ الإسلام أبو العباس ـ قدس الله روحه ـ يقول: الصحيح : أن معنى الآية: أن الصلاة فيها مقصودان عظيمان ، وأحدهما أعظم من الآخر ، فإنها تنهى عن الفحشاء والمنكر ،وهى مشتملة على ذكر الله تعالى، ولما فيها من ذكر الله أعظم من نهيها عن الفحشاء والمنكر.

وذكر ابن أبى الدنيا عن ابن عباس أنه سئل :أى العمل أفضل؟ قال: ذكر الله أكبر .

وفى « السنن » عن عائشة ،عن النبى ﷺ قال: « إنما جُعل الطواف بالبيت وبين الصفا والمروة ورمى الجمار لإقامة ذكر الله تعالى ». رواه أبو داود والترمذى وقال :حديث حسن صحيح [٢].

السادسة والخمسون:أن أفضل أهل كل عمل أكثرهم فيه ذكرا لله عز وجل ،فأفضل الصوام ،أكثرهم ذكرا لله عز وجل فى صومهم،وأفضل المتصدقين ،أكثرهم ذكرًا لله عز وجل، وأفضل الحجاج ، أكثرهم ذكرا لله عز وجل . وهكذا سائر الأعمال .

وقد ذكر ابن أبى الدنيا حديثاً مرسلا فى ذلك : أن النبى ﷺ سئل : أى أهل المسجد خير؟ قال:« أكثرهُم ذكرا لله عز وجل » قيل: أى أهل الجنازة خير ؟ قال: « أكثرهم ذكرا لله عز وجل ». قيل : فأى المجاهدين خير ؟ قال: « أكثرهم ذكرا لله عز وجل » . قيل: فأى الحجاج خير ؟ قال : « أكثرهم ذكرا لله عز وجل » قيل : وأى العواد خير ؟ قال : «أكثرهم ذكرا لله عز وجل » . قال أبو بكر : ذهب الذاكرون بالخير كله [٣].

وقال عبيد بن عمير :إن أعظمكم هذا الليل أن تكابدوه ، وبخلتم بالمال أن تنفقوه، وجبنتم عن العدو أن تقاتلوه ، فأكثروا من ذكر الله عز وجل .

---

(١) سبق تخريجه ص ٢١٠ .

(٢) أبو داود (١٨٨٨) فى المناسك ، باب : فى الرمل ، والترمذى (٩٠٢) فى الحج باب: ما جاء كيف يرمى الجمار .

(٣) أحمد (٣ / ٤٣٨) والطبرانى فى الكبير ٢٠ / ١٨٦ (٤٠٧) . وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٧٧) فى الأذكار ، باب : فضل ذكر الله تعالى والإكثار منه : « فيه زبان بن فائد وهو ضعيف ،وقد وثق،وكذلك ابن لهيعة ،وبقية رجال أحمد ثقات » .

السابعة والخمسون :أن إدامة الذكر تنوب عن التطوعات ،وتقوم مقامها ، سواء كانت بدنية ، أومالية ، أو بدنية مالية ، كحج التطوع .

وقد جاء ذلك صريحا فى حديث أبى هريرة : أن فقراء المهاجرين أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول اللّه ،ذهب أهل الدثور من الأموال بالدرجات العلى ،والنعيم المقيم، يصلون كما نصلى ويصومون كما نصوم ،ولهم فضل أموالهم ، يحجون بها ،ويعتمرون ، ويجاهدون ويتصدقون . فقال: « ألا أعلمكم شيئا تدركون به من سبقكم ،وتسبقون به من بعدكم ،ولا أحد يكون أفضل منكم إلا من صنع ما صنعتم » ؟ قالوا: بلى يا رسول اللّه. قال: « تسبحون،وتحمدون ، وتكبرون خلف كل صلاة . . » الحديث متفق عليه(١) .

فجعل الذكر عوضاً لهم عما فاتهم من الحج والعمرة والجهاد، وأخبر أنهم يسبقونهم بهذا الذكر ، فلما سمع أهل الدُّثُور بذلك عملوا به ، فازدادوا ـ إلى صدقاتهم وعبادتهم بمالهم ـ التعبد بهذا الذكر ، فحازوا الفضيلتين ،فنافسهم الفقراء ،وأخبروا رسول اللّه ﷺ بأنهم قد شاركوهم فى ذلك ، فانفردوا عنهم بما لا قدرة لهم عليهم ، فقال:« ذلك فضل اللّه يؤتيه من يشاء » (٢).

وفى حديث عبد الله بن بسر قال: جاء أعرابى فقال: يا رسول الله، كثرت على خلال الإسلام وشرائعه ،فأخبرنى بأمر جامع يكفينى .قال:« عليك بذكر الله تعالى» قال: ويكفينى يا رسول اللّه ؟ قال :« نعم ،ويفضل عنك » (٣).

فدله الناصح ﷺ على شىء يعينه على شرائع الإسلام والحرص عليها والاستكثار منها،فإنه إذا اتخذ ذكر الله تعالى شعاره أحبه وأحب ما يحب ، فلا شىء أحب من التقرب بشرائع الإسلام ،فدله ﷺ على ما يتمكن به من شرائع الإسلام،وتسهل به عليه، وهو ذكر الله عز وجل ، توضحه :

الثامنة والخمسون : أن ذكر اللّه عز وجل من أكبر العون على طاعته، فإنه يحببها

---

(١) البخارى (٨٤٣) فى الصلاة ، باب : الذكر بعد الصلاة ، ومسلم (٥٩٥/١٤٢) فى المساجد ومواضع الصلاة ، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة .

(٢) مسلم (٥٩٥/ ١٤٢) فى الكتاب والباب السابقين .

(٣) رواه بمعناه الترمذى (٣٣٧٦) فى الدعوات ، باب (٥) ،وقال : « غريب » ،وابن ماجه (٣٧٩٣) فى الأدب،باب : فضل الذكر ، والحاكم (١/ ٤٩٤) فى الدعاء، باب: مداومة الذكر وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

إلى العبد، ويسهلها عليه ،ويلذذها له، ويجعل قرة عينه فيها ، ونعيمه وسروره بها ، بحيث لا يجد لها من الكلفة والمشقة والثقل ما يجد الغافل، والتجربة شاهدة بذلك ، توضحه :

الستون :أن ذكر اللّه عز وجل يذهب عن القلب مخاوفه كلها ، وله تأثير عجيب فى حصول الأمن، فليس للخائف الذى قد اشتد خوفه أنفع من ذكر الله عز وجل ، إذ بحسب ذكره يجده الأمن ويزول خوفه ، حتى كأن المخاوف التى يجدها أمانا له ،والغافل خائف مع أمنه حتى كأن ما هو فيه من الأمن كله مخاوف ،ومن له أدنى حسن قد جرب هذا وهذا .والله المستعان.

الحادية والستون : أن الذكر يعطى الذاكر قوة ،حتى إنه ليفعل مع الذكر ما لم يطق فعله بدونه ، وقد شاهدت من قوة شيخ الإسلام ابن تيمية فى مشيته ،وكلامه ، وإقدامه وكتابته ، أمرا عجيباً ، فكان يكتب فى اليوم من التصنيف ما يكتبه الناسخ فى جمعة وأكثر، وقد شاهد العسكر من قوته فى الحرب أمراً عظيماً .

وقد علم النبى ﷺ ابنته فاطمة وعليا رضى اللّه تعالى عنهما أن يسبِّحا كل ليلة إذا أخذا مضاجعهما ثلاثا وثلاثين ، ويحمدا ثلاثا وثلاثين ، ويكبرا أربعا وثلاثين ، لما سألته الخادم ، وشكت إليه ما تقاسيه من الطحْن والسعى والخدمة ، فعلمها ذلك وقال: « إنه خير لكما من خادم » .

فقيل : إن من داوم على ذلك وجد قوة فى بدنه مغنية عن خادم .

وسمعت شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رحمه اللّه تعالى ـ يذكر أثراً فى هذا الباب ويقول: إن الملائكة لما أمروا بحمل العرش قالوا: يا ربنا ،كيف نحمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ؟ فقال : قولوا: لا حول ولا قوة إلا بالله ، فلما قالوا ، حملوه ، حتى رأيت ابن أبى الدنيا قد ذكر هذا الأثر بعينه عن الليث بن سعد ، عن معاوية بن صالح قال: حدثنا مشيختنا أنه بلغهم : أن أول ما خلق الله عز وجل ـ حين كان عرشه على الماء ـ حملة العرش ، قالوا : ربنا ،لم خلقتنا ؟ قال : خلقتكم لحمل عرشى . قالوا : ربنا ، ومن يقوى على حمل عرشك وعليه عظمتك وجلالك ووقارك ؟ قال: لذلك خلقتكم . فأعادوا عليه ذلك مراراً ، فقال لهم : قولوا : لا حول ولا قوة إلا بالله ، فحملوه .

وهذه الكلمة لها تأثير عجيب فى معاناة الأشغال الصعبة ،وتحمل المشاق والدخول على الملوك ،ومن يخاف ، وركوب الأهوال . ولها أيضاً تأثير عجيب فى دفع الفقر ، كما روى

ابن أبى الدنيا عن الليث بن سعد، عن معاوية بن صالح،عن أسد بن وداعة ـ رحمه الله ـ قال: قال رسول الله ﷺ :« من قال : لا حول ولا قوة إلا بالله ، مائة مرة فى كل يوم ، لم يصبه فقر أبدا » (١) .

وكان حبيب بن سلمة يستحب إذا لقى عدوا ،أو ناهض حصنا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ،وإنه ناهض يوما حصنا للروم، فانهزم فقالها المسلمون وكبروا ، فانهدم الحصن.

الثانية والستون : أن عمال الآخرة كلهم فى مضمار السباق، والذاكرون هم أسبقهم فى ذلك المضمار، ولكن القَتَرة والغبار يمنع من رؤية سبقهم ، فإذا انجلى الغبار وانكشف ؛ رآهم الناس وقد حازوا قصب السبق .

قال الوليد بن مسلم : حدثنا محمد بن عجلان : سمعت عمر مولى غفرة يقول : إذا انكشف الغطاء للناس يوم القيامة عن ثواب أعمالهم ، لم يروا عملا أفضل ثوابا من الذاكرين، فيتحسر عند ذلك أقوام فيقولون : ما كان شيء أيسر علينا من الذكر .

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ:« سيروا ، سبق المفرِّدون » قالوا: وما المفرِّدون قال:« الذين أهتروُا فى ذكر الله تعالى يضع الذكر عنهم أوزارهم » (٢). اهتروا بالشيء وفيه : أولعوا به ولزموه وجعلوه دأبهم . فى بعض ألفاظ الحديث: « المستهترون بذكر الله » (٣).

ومعناه : الذين أولعوا به ،يقال :استهتر فلان بكذا : إذا أولع به .

وفيه تفسير آخر : أن « أهتروا فى ذكر الله » أى : كبروا ، وهلك أقرانُهم وهم فى ذكر الله تعالى. يقال : أهْتر الرجل ، فهو مُهتر : إذا سقط فى كلامه من الكبر ، والهتر : السقط من الكلام ، كأنه بقى فى ذكر الله تعالى حتى خرف وأنكر عقله ،والهتر:الباطل أيضا، ورجل مستهتر : إذا كان كثير الأباطيل . وفى حديث ابن عمر : أعوذ بالله أن أكون من المستهترين .

وحقيقة اللفظ : أن الاستهتار : الإكثار من الشيء،والولوع به ، حقا؛كان أو باطلا ، وغلب فى عرف الناس استعماله على المبطل، حتى إذا قيل : فلان مستهتر ، لايفهم منه إلا

---

(١) الترغيب والترهيب (٢ / ٤٤٩) ، وقال: « رواته ثقات إلا أسدًا ».

(٢) أحمد (٢ / ٣٢٣) .

(٣) الترمذى (٣٥٩٦) فى الدعوات ، باب: (١٢٨) ، وقال: « حسن غريب » ، وضعفه الألبانى .

الباطل ،وإنما إذا قيد بشيء تقيد به، نحو : هو مستهتر ،وقد اهتر فى ذكر الله تعالى، أى: أولع به وأُغرِى به .

ويقال : استُهتر فيه وبه. وتفسير هذا فى الأثر الآخر : « أكثروا ذكر الله تعالى حتى يقال: مجنون » (١) .

الثالثة والستون: أن الذكر سبب لتصديق الرب عز وجل عبده ،فإنه أخبر عن اللّه تعالى بأوصاف كماله ونعوت جلاله ، فإذا أخبر بها العبد صدَّقه ربه ،ومن صدقه اللّه تعالى ،لم يحشر مع الكاذبين ، ورجى له أن يحشر مع الصادقين .

روى أبو إسحاق عن الأغرّ أبى مسلم،أنه شهد على أبى هريرة وأبى سعيدالخدرى رضي الله عنهما أنهما شهدا على رسول اللّه ﷺ أنه قال:« إذاقال العبد :لا إله إلا اللّه واللّه أكبر، قال: يقول اللّه تبارك وتعالى: صدق عبدى. لا إله إلا أنا وأنا أكبر ، وإذا قال : لا إله إلا اللّه وحده ، قال: صدق عبدى ،لا إله إلا أنا وحدى ، وإذا قال:لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، قال:صدق عبدى لا إله إلا أنا ،لا شريك لى ،وإذا قال : لا إله إلا الله له الملك وله الحمد ،قال : صدق عبدى ، لا إله إلا أنا ، لى الملك ولى الحمد ،وإذا قال : لا إله إلا اللّه ،ولا حول ولا قوة إلا باللّه، قال :صدق عبدى لا إله إلا أنا ،ولا حول ولا قوة إلا بى » قال أبو إسحاق : ثم قال الأغر شيئا لم أفهمه ، قلت لأبى جعفر : ما قال ؟ قال: « من رزقهن عند موته لم تمسه النار »(٢) .

الرابعة والستون : أن دور الجنة تبنى بالذكر ، فإذا أمسك الذاكر عن الذكر ، أمسكت الملائكة عن البناء . فإذا أخذ فى الذكر أخذوا فى البناء .

وذكر ابن أبى الدنيا فى كتابه ، عن حكيم بن محمد الأخنسى قال: بلغنى أن دور الجنة تبنى بالذكر، فإذا أمسك عن الذكر أمسكوا عن البناء ، فيقال لهم، فيقولون : حتى تأتينا نفقة.

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال:« من قال سبحان الله

---

(١) سبق تخريجه ص١٨١ .

(٢) الترمذى (٣٤٣٠) فى الدعوات ، باب: ما يقول العبد إذا مرض ،وقال « حسن غريب »،والنسائى فى الكبرى (٩٨٥٨) فى عمل اليوم والليلة ، باب : ثواب من قال: لا إله إلا الله والله أكبر . .إلخ ،وابن ماجه(٣٧٩٤) فى الأدب ، باب: فضل لا إله إلا اللّه .

وبحمده، سبحان الله العظيم ـ سبع مرات ـ بنى له بُرج فى الجنة » (١).

وكما أن بناءها بالذكر ، فغراس بساتينها بالذكر كما تقدم فى حديث النبى ﷺ عن إبراهيم الخليل عليه السلام : « أن الجنة طيبة التربة ، عذبة الماء ، وأنها قيعان ،وأن غراسها : سبحان الله ، والحمد لله ،ولا إله إلا الله ،والله أكبر » (٢) .فالذكر غراسها وبناؤها .

وذكر ابن أبى الدنيا من حديث عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ، أن رسول الله ﷺ قال : « أكثروا من غراس الجنة » ، قالوا : يارسول الله ، وما غراسها ؟ قال : « ما شاء الله ، لاحَول ولا قوة إلا بالله » (٣).

الخامسة والستون : أن الذكر سد بين العبد وبين جهنم ،فإذا كانت له إلى جهنم طريق من عمل من الأعمال ،كان الذكر سدا فى تلك الطريق ، فإذا كان ذكرا دائما كاملا ، كان سدا محكما لامنفذ فيه ، وإلا فبحسبه .

قال عبد العزيز بن أبى روّاد:كان رجل بالبادية قد اتخذ مسجدا ، فجعل فى قبلته سبعة أحجار،كان إذا قضى صلاته قال: يا أحجار ، أشهدكم أنه لا إله إلا الله ،قال:فمرض الرجل ، فعُرج بروحه ،قال: فرأيت فى منامى أنه أمر بى إلى النار ،قال: فرأيت حجراً من تلك الأحجار أعرفه قد عظم ، فسدَّ عنى بابا من أبواب جهنم ، ثم أتى إلى الباب الآخر ، فإذا حجر من تلك الأحجار أعرفه قد عظم ، فسد عنى باباً من أبواب جهنم ، حتى سد عنى بقية الأحجار أبواب جهنم .

السادسة والستون :أن الملائكة تستغفر للذاكر كما تستغفر للتائب ،كما روى حسين المعلم عن عبد الله بن بريدة ، عن عامر الشعبى ، عن عبد الله بن عمرو بن العاص قال: أجد فى كتاب الله المنزل : أن العبد إذا قال:« الحمد لله » قالت الملائكة :« رب العالمين»، وإذا قال : « الحمد لله رب العالمين » ، قالت الملائكة : « اللهم اغفر لعبدك » ،وإذا قال:«سبحان الله وبحمده » ، قالت الملائكة :« اللهم اغفر لعبدك » ، وإذا قال :« سبحان الله » ، قالت الملائكة : « وبحمده » وإذا قال: « لا إله إلا الله» قالت الملائكة:« والله

---

(١) لم أقف عليه ،ويغنى عنه حديث الترمذى الذى سبق ص ١٤ .

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٦ .

(٣) روى بنحوه الطبرانى فى الكبير ١٢/ ٣٦٤(١٣٣٥٤)، وقال الهيثمى فى المجمع(١٠/ ١٠١) فى الأذكار، باب: ما جاء فى لا حول ولا قوة إلا بالله : فيه عقبة بن على وهو ضعيف » ، وقال محققه : « فيه أيضا عبد الله بن عمر » .

أكبر »،وإذا قال: «لا إله إلا الله والله أكبر» قالت الملائكة: « اللهم اغفر لعبدك » .

السابعة والستون : إن الجبال والقِفار تتباهى ، وتستبشر بمن يذكر الله عز وجل عليها.

قال ابن مسعود: إن الجبل لينادى الجبل باسمه: أمرَّ بك اليوم أحد يذكر الله عز وجل؟ فإذا قال: نعم ، استبشر .

قال عون بن عبد الله: إن البقاع لينادى بعضها بعضا: يا جارتاه، أمرّ بك اليوم أحد يذكر الله؟ فقائلة :نعم ، وقائلة : لا ،فقال الأعمش عن مجاهد : إن الجبل لينادى الجبل باسمه :يا فلان هل مر بك اليون ذاكر لله عز وجل؟ فمن قائل : لا ، ومن قائل : نعم .

الثامنة والستون : أن كثرة ذكر الله عز وجل أمان من النفاق ، فإن المنافقين قليلو الذكر لله عز وجل .

قال الله عز وجل فى المنافقين : ﴿ **وَلَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ إِلَّا قَلِيلًا** (١٤٢) ﴾[النساء] .

وقال كعب : من أكثر ذكر الله عز وجل برئ من النفاق . ولهذا ـ والله أعلم ـ ختم الله تعالى سورة المنافقين بقوله تعالى :﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تُلْهِكُمْ أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ عَن ذِكْرِ اللَّهِ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ** (٩)﴾ [المنافقون]،فإن فى ذلك تحذيرا من فتنة المنافقين الذين غفلوا عن ذكر الله عز وجل، فوقعوا فى النفاق.

وسئل بعض الصحابة ﷺ عن الخوارج : منافقون هم ؟ قال : المنافقون لا يذكرون الله إلا قليلاً .

فهذا من علامة النفاق :قلة ذكر الله عز وجل ،وكثرة ذكره أمان من النفاق ،والله عز وجل أكرم من أن يبتلى قلباً ذاكراً بالنفاق،وإنما ذلك لقلوب غفلت عن ذكر الله عز وجل .

التاسعة والستون : أن للذكر من بين الأعمال لذة لا يشبهها شيء،فلو لم يكن للعبد من ثوابه إلا اللذة الحاصلة للذاكرة. والنعيم الذى يحصل لقلبه،لكفى به؛ ولهذا سميت مجالس الذكر رياض الجنة .

قال مالك بن دينار:ما تلذَّذ المتلذِّذون بمثل ذكر الله عز وجل، فليس شيء من الأعمال أخف مؤونة منه ،ولا أعظم لذة، ولا أكثر فرحة .وابتهاجا للقلب .

السبعون : أنه يكسو الوجه نضرة فى الدنيا ، ونوراً فى الآخرة، فالذاكرون أنضر الناس وجوهًا فى الدنيا ،وأنورهم فى الأخرة .

ومن المراسيل عن النبى ﷺ قال:« من قال كل يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا

شريك له ، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، بيده الخير ، وهو على كل شيء قدير ، أتى الله تعالى يوم القيامة ،ووجهه أشد بياضاً من القمر ليلة البدر » (١).

الحادية والسبعون :أن فى دوام الذكر فى الطريق ،والبيت،والحضر،والسفر، والبقاع، تكثيراً لشهود العبد يوم القيامة،فإن البقعة ، والدار ،والجبل ، والأرض ، تشهد للذاكر يوم القيامة.

قال تعالى : ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الأَرْضُ زِلْزَالَهَا ① وَأَخْرَجَتِ الأَرْضُ أَثْقَالَهَا ② وَقَالَ الإِنسَانُ مَا لَهَا ③ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④ بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا﴾ [الزلزله] .

فروى الترمذى فى « جامعه » ، من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال : قرأ رسول الله ﷺ هذه الآية : ﴿ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ④﴾ ،قال : « أتدرون ما أخبارها ؟ » قالوا : الله ورسوله أعلم، قال : « فإن أخبارها أن تشهد على كل عبد أو أمة بما عمل على ظهرها، تقول:عمل يوم كذا ؛كذا وكذا » قال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح (٢).

والذاكر لله عز وجل فى سائر البقاع مكثر شهوده ،ولعلهم أو أكثرهم أن يقبلوه يوم القيامة يوم قيام الأشهاد،وأداء الشهادات ، فيفرح ويغتبط بشهادتهم .

الثانية والسبعون:أن فى الاشتغال بالذكر اشتغالاً عن الكلام الباطل من الغيبة، والنميمة،واللغو ،ومدح الناس ، وذمهم ،وغير ذلك ، فإن اللسان لا يسكت البتة .

فإما لسان ذاكر ، وإما لسان لاغ ، ولا بد من أحدهما ، فهى النفس إن لم تشغلها بالحق ، شغلتك بالباطل ، وهو القلب إن لم تسكنه محبة الله عز وجل ،سكنته محبة المخلوقين ولا بد،وهو اللسان ،إن لم تشغله بالذكر،شغلك باللغو ، وهو عليك ولا بد ، فاختر لنفسك إحدى الخطتين ، وأنزلها فى إحدى المنزلتين .

الثالثة والسبعون : وهى التى بدأنا بذكرها ،وأشرنا إليها إشارة ،فنذكرها ها هنا مبسوطة لعظيم الفائدة بها ،وحاجة كل أحد،بل ضرورته إليها،وهى أن الشياطين قد احتوشت العبد وهم أعداؤه ،فما ظنك برجل قد احتوشه أعداؤه المحنقون عليه غيظاً ، وأحاطوا به،وكل منهم يناله بما يقدر عليه من الشر والأذى، ولاسبيل إلى تفريق جمعهم عنه إلا بذكر الله عز وجل .

---

(١) لم أقف عليه بهذا اللفظ .

(٢) الترمذى (٣٣٥٣) فى التفسير ، باب : من سورة إذا زلزلت ، وضعفه الألبانى .

وفى هذا الحديث العظيم ، الشريف القدر ، الذى ينبغى لكل مسلم أن يحفظه ، فنذكره بطوله لعموم فائدته، وحاجة الخلق إليه ،وهو حديث سعيد بن المسيب ،عن عبد الرحمن بن سمرة بن جندب قال:

خرج علينا رسول الله ﷺ يوما ،وكنا فى صفه بالمدينة، فقام علينا وقال:« إنى رأيت البارحة عجبا :رأيت رجلا من أمتى أتاه ملك الموت ليقبض روحه ، فجاءه برُّه بوالديه ، فرد ملك الموت عنه ، ورأيت رجلا من أمتى قد بسط عليه عذاب القبر ، فجاءه وضوؤه فاستنقذه من ذلك،ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الشياطين،فجاءه ذكر الله عز وجل ، فطرد الشيطان عنه،ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته ملائكة العذاب ، فجاءته صلاته فاستنقذته من أيديهم ، ورأيت رجلا من أمتى يلهب وفى رواية : يلهث عطشا ، كلما دنا من حوض منع وطرد،فجاءه صيام شهر رمضان ، فاسقاهُ وأرواه ،ورأيت رجلا من أمتى ، ورأيت النبيين جلوساً حلقاً حلقاً ، كلما دنا إلى حلقة طرد ، فجاءه غسله من الجنابة ، فأخذ بيده فأقعده إلى جنبى ،ورأيت رجلا من أمتى بين يديه ظلمة ، ومن خلفه ظلمة ، وعن يمينه ظلمة،وعن يساره ظلمة،ومن فوقه ظلمة ، ومن تحته ظلمة ، وهو متحير فيها ، فجاء حجه وعمرته ، فاستخرجاه من الظلمة ،وأدخلاه فى النور ، ورأيت رجلا من أمتى يتقى بيده وهج النار وشرره ، فجاءته صدقته ، فصارت سترة بينه وبين النار ،وظلت على رأسه ، ورأيت رجلا من أمتى يكلم المؤمنين ولا يكلمونه،فجاءته صلته لرحمه فقالت: يا معشر المسلمين ، إنه كان وصُولا لرحمه فكلّموه فكلمه المؤمنون وصافحوه وصافحهم .

ورأيت رجلا من أمتى قد احتوشته الزبانية ، فجاءه أمره بالمعروف ونهيه عن المنكر ، فاستنقذه من أيديهم ،وأدخله فى ملائكة الرحمة ورأيت رجلا من أمتى جاثيا على ركبتيه ، وبينه وبين الله عز وجل حجاب،فجاءه حسن خلقه،فأخذه بيده،فأدخله على الله عز وجل، ورأيت رجلا من أمتى قد ذهبت صحيفته من قبل شماله ، فجاءه خوفه من الله عز وجل ، فأخذ صحيفته فوضعها فى يمينه ، ورأيت رجلاً من أمتى خف ميزانه ، فجاءه أفراطه فثقلوا ميزانه،ورأيت رجلاً من أمتى قائما على شفير جهنم ، فجاءه رجاؤه فى اللّه عز وجل ، فاستنقذه من ذلك ومضى ، ورأيت رجلا من أمتى قد أهوى فى النار ، فجاءته دمعته التى بكى من خشية اللّه عز وجل ، فاستنقذته من ذلك ، ورأيت رجلاً من أمتى قائماً على الصراط يرعدُ كما ترعد السعفة فى ريح عاصف ، فجاءه حُسن ظنه باللّه عز وجل ، فسكن رعدته ومضى ، ورأيت رجلاً من أمتى يزحف على الصراط ، ويحبو أحيانا ، ويتعلق أحيانا ، فجاءته صلاته علىَّ فأقامته على قدميه ، وأنقذته ، ورأيت رجلاً من أمتى انتهى إلى أبواب الجنة فغلقت الأبواب دونه ، فجاءته شهادة أن لا إله إلا اللّه ، ففتحت له الأبواب ،وأدخلته الجنة ». ورواه الحافظ أبو موسى المدينى فى كتاب « الترغيب فى الخصال

المنجية ،والترهيب من الخلال المردية»[١]، بنى كتابه عليه وجعله شرحا له ، وقال :هذا حديث حسن جدا ،ورواه عن سعيد بن المسيب: عمر بن ذر، وعلى بن زيد بن جدعان،وهلال أبو جبلة .وكان شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللّه روحه يعظم شأن هذا الحديث،وبلغنى عنه أنه كان يقول :شواهد الصحة عليه .

والمقصود منه قوله ﷺ :« ورأيت رجلاً من أمتى قد احتوشه الشياطين، فجاءه ذكر اللّه عز وجل، فطرد الشياطين عنه» فهذا مطابق لحديث الحارث الأشعرى الذى شرحناه فى هذه الرسالة . وقوله فيه : « وآمركم بذكر الله عز وجل ، وإن مثل ذلك كمثل رجل طلبه العدوّ ، فانطلقوا فى طلبه سراعا ،وانطلق حتى أتى حصنا حصينا ،فأحرز نفسه فيه »[٢] .

فكذلك الشيطان لا يحرز العباد أنفسهم منه إلا بذكر الله عز وجل ،وفى الترمذى عن أنس بن مالك قال: قال رسول الله ﷺ :« من قال ـ يعنى: إذا خرج من بيته ـ بسم الله، توكلت على اللّه ،لا حول ولا قوة إلا بالله ،يقال له: كُفيت وهديت ووقيت، وتنحى عنه الشيطان ، فيقول لشيطان آخر : كيف لك برجل قد هُدى وكفى ووقى ؟ » رواه أبو داود والنسائى والترمذى وقال :حديث حسن [٣].

وقد تقدم قوله ﷺ : « من قال فى يوم مائة مرة : لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شىء قدير ، كانت له حرزاً من الشيطان حتى يُمسى»[٤].

وذكر سفيان عن أبى الزبير ، عن عبد الله بن ضمرة ، عن كعب قال: إذا خرج الرجل من بيته فقال: بسم الله، قال الملك : هُديت ، وإذا قال: توكلت على الله ، قال الملك : كفيت ،وإذا قال: لا حول ولا قوة إلا بالله ،قال الملك : حُفظت . فيقول الشياطين بعضهم لبعض : ارجعوا ،ليس لكم عليه سبيل ، كيف لكم بمن كُفى وهُدى وحفظ ؟

وقال أبو خلاد المصرى : من دخل فى الإسلام ، دخل فى حصن ،ومن دخل

---

(١) الطبرانى فى الأحاديث الطوال (٣٩) باختصار ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ١٨١) فى التعبير ، باب : فيما رآه النبى ﷺ فى المنام : « رواه الطبرانى بإسنادين فى أحدهما سليمان بن أحمد الواسطى ، وفى الآخر خالد بن عبد الرحمن المخزومى ، وكلاهما ضعيف »

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

(٣) أبو داود (٥٠٩٥) فى الأدب ، باب: ما يقول إذا خرج من بيته ، والترمذى (٣٤٢٦) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا خرج من بيته : « حسن صحيح غريب » ، والنسائى فى الكبرى (٩٩١٧) فى عمل اليوم والليلة ، باب: ما يقول إذا خرج من بيته .

(٤) سبق تخريجه ص ١٨٧ .

المسجد، فقد دخل فى حصنين، ومن جلس فى حلقة يذكر الله عز وجل فيها، فقد دخل فى ثلاثة حصون .

وقد روى الحافظ أبو موسى فى كتابه من حديث أبى عمران الجونى، عن أنس ، عن النبى ﷺ قال: « إذا وضع العبد جنبه عن فراشه، فقال: بسم الله ، وقرأ فاتحة الكتاب، أمن من شر الجن والإنس ، ومن شر كل شىء » (١).

وفى « صحيح البخارى » عن محمد بن سيرين ، عن أبى هريرة ، قال : ولانى رسول الله ﷺ زكاة رمضان أن أحتفظ بها، فأتانى آتى، فجعل يحثو من الطعام ، فأخذته ، فقال : دعنى فإنى فإنى لا أعود . . . فذكر الحديث ، وقال : فقال له فى الثالثة : أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ، إذا أويت إلى فراشك، فاقرأ آية الكرسى من أولها إلى آخرها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ، ولا يقربك شيطان حتى تصبح، فخلى سبيله ، فأصبح، فأخبر النبى ﷺ بقوله ، فقال: « صدقك ، وهو كذوب»(٢).

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبى الزبير عن جابر قال: قال رسول الله ﷺ : «إذا أوى الإنسان إلى فراشه، ابتدره ملك وشيطان ، فيقول الملك: اختم بخير ، ويقول الشيطان: اختم بشر. فإذا ذكر الله تعالى حتى يغلبه - يعنى النوم - طرد الملك الشيطان وبات يكلؤه ، فإذا استيقظ ، ابتدره ملك وشيطان، فيقول الملك ، افتح بخير ، ويقول الشيطان ، افتح بشر، فإن قال: الحمد لله الذى أحيا نفسى بعد موتها ولم يمتها فى منامها ، الحمد لله الذى يُمسك التى قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى، الحمد لله الذى يمسك السموات والأرض أن تزولا ، ولئن زالتا إن أمسكهما من أحد من بعده ، الحمد لله الذى يمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه ، طرد الملك الشيطان وظل يكلؤه» (٣).

وفى « الصحيحين »: من حديث سالم بن أبى الجعد ، عن كريب ، عن ابن عباس قال: قال رسول الله ﷺ : « أما لو إن أحدكم إذا أتى أهله قال: بسم الله، اللهم جنبنا الشيطان وجنب الشيطان ما رزقتنا ، فيولد بينهما ولد لا يضره شيطان أبدا » (٤).

---

(١) كنز العمال (٤١٢٩٩) وعزاه للديلمى عن أنس ، بزيادة : ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ ، وانظر: ضعيف الجامع (٨٢٢).

(٢) البخارى (٣٢٧٥) فى بدء الخلق ، باب: صفة إبليس وجنوده .

(٣) أبو يعلى (١٧٩١) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٢٣) فى الأذكار ، باب: ما يقول إذا أوى إلى فراشه وإذا انتبه : « رجاله رجال الصحيح غير إبراهيم بن الحجاج الشامى ، وهو ثقة » .

(٤) سبق تخريجه ص ٢١٠ .

وذكر الحافظ أبو موسى ،عن الحسن بن على قال: أنا ضامن لمن قرأ هذه العشرين الآية أن يعصمه الله تعالى من كل شيطان ظالم، ومن كل شيطان مريد ، ومن كل سبع ضار ،ومن كل لص عاد : آية الكرسى ، وثلاث آيات من الأعراف: ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ﴾ [الأعراف: ٥٤ ـ ٥٧]، وعشرا من الصافات [١ـ ١٠] ،وثلاث آيات من الرحمن ﴿ يَا مَعْشَرَ الْجِنِّ وَالإِنسِ... ﴾ [الرحمن ٣٣ ـ ٣٤]، وخاتمة سورة الحشر ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ ...﴾[الحشر: ٢١] .

وقال محمد بن أبان : بينما رجل يصلى فى المسجد ،إذا هو بشىء إلى جنبه ، فجفل منه ، فقال : ليس عليك منى بأس،إنما جئتك فى الله تعالى، اثت عروة فسله : ما الذى يتعوذ به ؟ يعنى من إبليس الأباليس ، قال : قل آمنت بالله العظيم وحده ،وكفرت بالجبت والطاغوت ، واعتصمت بالعروة الوثقى لا نفصام لها ،والله سميع عليم ، حسبى الله وكفى ، سمع الله لمن دعا ، ليس وراء الله منتهى .

وقال بشر بن منصور : عن وهب بن الورد قال: خرج رجل إلى الجبانة بعد ساعة من الليل ، قال: فسمعت حسا أو أصواتا شديدة ،وجىء بسرير حتى وضع ، وجاء شىء حتى جلس عليه ، قال: واجتمعت إليه جنوده ،ثم صرخ فقال : من لى بعروة بن الزبير ؟ فلم يجبه أحد حتى تتابع ما شاء الله عز وجل من الأصوات ،فقال واحد: أنا أكفيكه . قال: فتوجه نحو المدينة وأنا ناظر ،ثم أوشك الرجعة، فقال لا سبيل إلى عروة، قال: ويلك لم؟ قال: وجدته يقول كلمات إذا أصبح وإذا أمسى ، فلا نخلص إليه معهن ، قال الرجل ، فلما أصبحت ، قلت لأهلى: جهزونى ، فأتيت المدينة ، فسألت عنه حتى دللت عليه ، فإذا شيخ كبير ، فقلت : أشيئًا تقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت ؟ فأبى أن يخبرنى، فأخبرته بما رأيت وما سمعت ، فقال: ما أدرى، غير أنى أقول إذا أصبحت : آمنت بالله العظيم ، وكفرت بالجبت والطاغوت ، واستمسكت بالعروة الوثقى التى لا انفصام لها ، والله سميع عليم. إذا أصبحت قلت ثلاث مرات ،وإذا أمسيت قلت ثلاث مرات .

وذكر أبو موسى عن مسلم البطين قال: قال جبريل للنبى ﷺ: إن عفريتا من الجن يكيدك ،فإذا أويت إلى فراشك فقل : أعوذ بكلمات الله التامات التى لا يجاوزهن برٌ ولا فاجر ،من شر ما ينزل من السماء وما يعرج فيها ،ومن شر ما ذرأ فى الأرض وما يخرج منها ،ومن شر فتن الليل والنهار،ومن شر طوارق الليل والنهار، إلا طارقا يطرق بخير يا رحمن (١).

---

(١) النسائى فى الكبرى (١٠٧٩٢) فى عمل اليوم والليلة ، باب:ذكر ما يكب العفريت ويطفئ شعلته، موصولا،=

وقد ثبت فى « الصحيحين » أن الشيطان يهرب من الأذان.

قال سهيل بن أبى صالح : أرسلنى أبى إلى بنى حارثة ومعى غلام أو صاحب لنا ، فنادى مناد من حائط باسمه، فأشرف الذى معى على الحائط ،فلم ير شيئاً ، فذكرت ذلك لأبى، فقال: لو شعرت أنك تلقى هذا لم أرسلك ،ولكن إذا سمعت صوتا فناد بالصلاة، فإنى سمعت أبا هريرة يحدث عن رسول الله ﷺ أنه قال: « إن الشيطان إذا نودى بالصلاة، ولى وله حصاص » (١).

وفى رواية : « إذا سمع النداء ولى وله ضراط ، حتى لا يسمع التأذين . . . » (٢) الحديث.

وذكر الحافظ أبو موسى من حديث أبى رجاء ، عن أبى بكر الصديق قال : قال رسول الله ﷺ : « استكثروا من قول لا إله إلا الله والاستغفار ، فإن الشيطان قال : قد أهلكتهم بالذنوب ،وأهلكونى بقول لا إله إلا الله والاستغفار، فلما رأيت ذلك منهم، أهلكتهم بالأهواء حتى يحسبون أنهم مهتدون ، فلا يستغفرون »(٣).

وذكر أيضا عن إبراهيم بن الحكم ،عن أبيه ،عن عكرمة قال: بينا رجل مسافر ، إذ مر برجل نائم،ورأى عنده شيطانين، فسمع المسافر أحد الشيطانين يقول لصاحبه : اذهب فأفسد على هذا النائم قلبه ، فلما دنا منه رجع إلى صاحبه فقال : لقد نام على آية مالنا إليه سبيل ، فذهب إلى النائم ،فلما دنا منه رجع قال: صدقت ،فذهب ، ثم إن المسافر أيقظه وأخبره بما رأى من الشيطانين ، فقال : أخبرنى على أى آية نمت ؟ قال على هذه الآية : ﴿ **إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ يَطْلُبُهُ حَثِيثًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ بِأَمْرِهِ أَلا لَهُ الْخَلْقُ وَالأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ** ﴿٥٤﴾ ﴾ [الأعراف] .

وقال أبو النضر هاشم بن القاسم: كنت أرى فى دارى فقيل: يا أبا النضر ، تحول عن

= ومالك ٢/ ٩٥١ ، ٩٥٢ (١٠) ، فى الشعر ، باب :ما يؤمر به التعوذ مرسلاً .

(١) مسلم (١٨/٣٨٩) فى الصلاة ،باب: فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه .

(٢) البخارى (٦٠٨) فى الأذان ، باب : فضل التأذين ،ومسلم (١٩/٣٨٩). فى الصلاة ، باب : فضل الأذان وهرب الشيطان عند سماعه ،وأبو داود (٥١٦) فى الصلاة ،باب : رفع الصوت بالأذان ،والنسائى (٦٧٠) فى الأذان ، باب: فضل التأذين .

(٣) أبو يعلى (١٣٦) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢١٠) فى التوبة ، باب: ما جاء فى الاستغفار : « فيه عثمان ابن مطر وهو ضعيف » .

جوارنا ،قال: فاشتدّ ذلك علىّ ، فكتبت إلى الكوفة إلى ابن إدريس ، والمحاربى ،وأبى أسامة ،فكتب إلى المحاربى: إن بئرا بالمدينة كان يقطع رشاؤها ،فنزل بهم ركب ،فشكوا ذلك إليهم ،فدعوا بدلْو من ماء، ثم تكلموا بهذا الكلام،فصبوه فى البئر ، فخرجت نار من البئر ،فطفئت على رأس البئر،قال أبو النضر: فأخذت تورا من ماء ،ثم تكلمت فيه بهذا الكلام ،ثم تتبعت به زوايا الدار ،فرششته ،فصاحوا بى :أحرقتنا ، نحن نتحول عنك. وهو: بسم الله ،أمسينا بالله الذى ليس منه شىء ممتنع،وبعزة الله التى لا ترام ولا تضام ، وبسلطان اللّه المنيع نحتجب ، وبأسمائه الحسنى كلها عائذ من الأبالسة ،ومن شر شياطين الإنس والجن،ومن شر كل معلن أو مسر،ومن شر ما يخرج بالليل ويكمن بالنهار، ويكمن بالليل ويخرج بالنهار ،ومن شر ما خلق وذرأ وبرأ،ومن شر إبليس وجنوده،ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها إن ربى على صراط مستقيم ، أعوذ بالله بما استعاذ به موسى وعيسى وإبراهيم الذى وفى من شر ما خلق وذرأ وبرأ ، ومن شر إبليس وجنوده ومن شر ما يبغى .أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم ، بسم الله الرحمن الرحيم : ﴿**وَالصَّافَّاتِ صَفًّا ﴿١﴾ فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا ﴿٢﴾ فَالتَّالِيَاتِ ذِكْرًا ﴿٣﴾ إِنَّ إِلَهَكُمْ لَوَاحِدٌ ﴿٤﴾ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ ﴿٥﴾ إِنَّا زَيَّنَّا السَّمَاءَ الدُّنْيَا بِزِينَةٍ الْكَوَاكِبِ ﴿٦﴾ وَحِفْظًا مِنْ كُلِّ شَيْطَانٍ مَارِدٍ ﴿٧﴾ لَا يَسَّمَّعُونَ إِلَى الْمَلَإِ الْأَعْلَى وَيُقْذَفُونَ مِنْ كُلِّ جَانِبٍ ﴿٨﴾ دُحُورًا وَلَهُمْ عَذَابٌ وَاصِبٌ ﴿٩﴾ إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ ﴿١٠﴾**﴾ [الصافات] .

فهذا بعض ما يتعلق بقوله ﷺ لذلك العبد :« لا يحرز نفسه من الشيطان إلا بذكر الله تعالى » (١) (٢) .

باب منه

إذا أصبح العبد وأمسى وليس همه إلا اللّه وحده تحمل الله ـ سبحانه ـ حوائجه كلها، وحمل عنه كل ما أهمه،وفرغ قلبه لمحبته، ولسانه لذكره،وجوارحه لطاعته . وإن أصبح وأمسى والدنيا همه حمله الله همومها وغمومها وانكادها،ووكله إلى نفسه ،فشغل قلبه عن محبته بمحبة الخلق،ولسانه عن ذكره بذكرهم،وجوارحه عن طاعته بخدمتهم وأشغالهم،فهو يكدح كدح الوحش فى خدمة غيره ، كالكير ينفخ بطنه يعصر أضلاعه فى نفخ غيره. فكل من أعرض عن عبودية الله وطاعته ومحبته بلى بعبودية المخلوق ومحبته وخدمته. قال تعالى: ﴿**وَمَنْ يَعْشُ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ**﴾ [الزخرف: ٣٦] .

(١) الوابل الصيب (٨٤ ـ ١٧٧) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٧٧ .

قال سفيان بن عيينة : لا تأتون بمثل مشهور للعرب إلا جئتكم به من القرآن . فقال له قائل: فأين فى القرآن: « أعط أخاك تمرة، فإن لم يقبل فأعطه جمرة؟» فقال: فى قوله: ﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا ﴾الآية [الزخرف: ٣٦] (١).

فصل
فى أن الذكر من أسباب انشراح الصدر

من أسباب شرح الصدر دوام ذكره على كل حال وفى كل موطن، فللذكر تأثير عجيب فى انشراح الصدر ونعيم القلب ، وللغفلة تأثير عجيب فى ضيقه وحبسه وعذابه (٢).

فصل
فى أن الذاكر يحب ربه عز وجل

محبة ذكره ـ سبحانه وتعالى ـ من علامة محبته ، فإن المحب لا يشبع من ذكر محبوبه بل لا ينساه فيحتاج إلى من يذكره به (٣) .

فصل
فى بيان حَمْد العبد وشكره لله عز وجل على نعمه

قال أبو المليح :قال موسى: يا رب ،ما أفضل الشكر؟ قال: أن تشكرنى على كل حال.

وقال بكر بن عبد الله :قلت لأخ لى: أوصنى ، فقال: ما أدرى ما أقول غير أنه ينبغى لهذا العبد ألا يفتر من الحمد والاستغفار ؛ فإن ابن آدم بين نعمة وذنب، ولا تصلح النعمة إلا بالحمد والشكر، ولا يصلح الذنب إلا بالتوبة والاستغفار، فأوسعنى علماً ما شئت.

وقال عبد العزيز بن أبى داود: رأيت فى يد محمد بن واسع قرحة، فكأنه رأى ما شق علىّ منها ، فقال لى: أتدرى ماذا لله علىّ فى هذه القرحة من نعمة حين لم يجعلها فى حدقتى ،ولا طرف لسانى ،ولا على طرف ذكرتى ؛ فهانت علىّ قرحته .

---

(١) الفوائد (١٤ / ١١٥) .
(٢) زاد المعاد (٢/ ٢٥) .
(٣) روضة المحبين (٢٠١) .

وروى الجريرى ، عن أبى الورد ، عن اللجلاج ، عن معاذ بن جبل ﷺ : أن رسول الله ﷺ أتى علىّ رجل وهو يقول : اللهم إنى أسألك تمام النعمة فقال: « ابن آدم، هل تدرى ما تمام النعمة ؟ » قال: يا رسول الله ، دعوت دعوة أرجو بها الخير ،فقال: «إن تمام النعمة فوز من النار ودخول فى الجنة » (١) .

وقال سهم بن سلمة : حدثت أن الرجل إذا ذكر اسم الله على أول طعامه وحمده على آخره ، لم يُسأل عن نعيم ذلك الطعام .

ويدل على فضل الشكر على الصبر،أن الله سبحانه يحب أن يسأل العافية، وما يسأل شيئا أحب إليه من العافية، كما فى المسند عن أبى صالح ،عن أبى هريرة ﷺ ، قال: قام أبو بكر ﷺ على المنبر ، ثم قال: سلوا الله العافية؛ فإنه لم يعط عبدا بعد اليقين خيرا من العافية .

وفى حديث آخر : « إن الناس لم يعطوا فى هذه الدنيا شيئا أفضل من العفو والعافية؛ فسلوهما الله عز وجل » (٢).

وقال لعمه العباس:« يا عم، أكثر من الدعاء بالعافية » (٣). وفى الترمذى ، قلت : يا رسول الله ،علمنى شيئا أسأل الله ؟ قال:« سل الله العافية»،فمكثت أياما ثم جئت فقلت:علمنى شيئا أسأله الله ؟فقال لى:« يا عباس ،يا عم رسول الله ﷺ ، سل الله العافية فى الدنيا والآخرة » (٤).

وقال فى دعائه يوم الطائف:« إن لم يكن بك علىّ غضب فلا أبالى ، غير أن عافيتك أوسع لى » (٥) ،فلاذ بعافيته ،كما استعاذ بها فى قوله:« أعوذ برضاك من سخطك، أعوذ بمعافاتك من عقوبتك، وأعوذ بك منك » (٦).

وفى حديث آخر:« سلوا العفو والعافية والمعافاة » (٧).وهذا السؤال يتضمن العفو عما مضى ، والعافية فى الحال ،والمعافاة فى المستقبل بدوام العافية واستمرارها .

---

(١) الترمذى (٣٥٢٧) فى الدعوات ، باب: (٩٤) ،وقال: « حسن » . وأحمد (٥/ ٢٣١) .

(٢) أحمد (١/ ٧) ،وقال الشيخ شاكر (٣٤): « إسناده صحيح » .

(٣، ٤) الترمذى (٣٥١٤) فى الدعوات ، باب(٨٥) ، وقال: « صحيح » ، وأحمد (١/ ٢٠٩) .

(٥) سبق تخريجه ص١٩٣ .

(٦) أبو داود (٨٧٩) فى الصلاة ، باب: فى الدعاء فى الركوع والسجود ، والترمذى (٣٤٩٣) فى الدعوات، باب: (٧٦) ، وقال : « حسن » ، والنسائى (١٦٩) فى الطهارة ، باب: ترك الوضوء من مس الرجل امرأته من غير شهوة .

(٧) أحمد (١/ ٨) .

وكان عبد الأعلى التيمى يقول : أكثروا من سؤال الله العافية ؛ فإن المبتلى وإن اشتد بلاؤه ليس بأحق بالدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء،وما المبتلون اليوم إلا من أهل العافية بالأمس ، وما المبتلون بعد اليوم إلا من أهل العافية اليوم، ولو كان البلاء يجر إلى خير ما كنا من رجال البلاء ؛ إنه رب بلاء قد أجهد فى الدنيا وأخزى فى الآخرة؛ فما يؤمن من أطال المقام على معصية الله أن يكون قد بقى له فى بقية عمره من البلاء ما يجهده فى الدنيا ويفضحه فى الآخرة ، ثم يقول بعد ذلك : الحمد لله الذى إن نعد نعمه لا نحصيها، وإن ندأب له عملاً لا نجزيها ،وإن نعمر فيها لا نبليها .

ومر رسول الله ﷺ برجل يسأل الله الصبر ، فقال : « لقد سألت البلاء فاسأل العافية» (١). وفى صحيح مسلم : أنه ﷺ عاد رجلا قد هفت ـ أى هزل ـ فصار مثل الفرخ ؛ فقال ﷺ : « هل كنت تدعو الله بشىء أو تسأله إياه؟» قال :نعم ،كنت أقول اللهم ما كنت معاقبنى به فى الآخرة فعجله لى فى الدنيا . فقال رسول الله ﷺ :« سبحانه لا تطيقه ولا تستطيعه، أفلا قلت : اللهم ربنا آتنا فى الدنيا حسنة وفى الآخرة حسنة وقنا عذاب النار» ،فدعا الله له فشفاه (٢).

وقال الترمذى،من حديث أبى هريرة رضي الله عنه ،قال: دعاء حفظته من رسول الله لا أدعه : « اللهم اجعلنى أعظم شكرك ، وأكثر ذكرك ، وأتبع نصيحتك ، وأحفظ وصيتك » (٣).

وقال شيبان : كان الحسن إذا جلس مجلساً يقول: لك الحمد بالإسلام، ولك الحمد بالقرآن ،ولك الحمد بالأهل والمال؛ بسطت رزقنا ، وأظهرت أمننا، وأحسنت معافاتنا ، ومن كل ما سألناك أعطيتنا ؛ فلك الحمد كثيرا كما تنعم كثيرا؛ أعطيت خيرا كثيرا ، وصرفت شرا كثيرا ؛ فلوجهك الجليل الباقى الدايم الحمد .

وكان بعض السلف يقول:اللهم ما أصبح بنا من نعمة ،أو عافية، أو كرامة فى دين ، أو دنيا جرت علينا فيما مضى وهى جارية علينا فيما بقى؛فإنها منك وحدك لا شريك لك ؛ فلك الحمد بذلك علينا ،ولك المن ولك الفضل ، ولك الحمد عدد ما أنعمت به علينا وعلى جميع خلقك لا إله إلا أنت .

وقال مجاهد :إذا كان ابن عمر فى سفر ،فطلع الفجر رفع صوته ونادى :سمع سامع

---

(١) الترمذى (٣٥٢٧) فى الدعوات ،باب : (٩٤)، وقال : « حسن » ، وأحمد (٥/ ٢٣١) ، وضعفه الألبانى.

(٢) مسلم (٢٦٨٨ / ٢٣) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: كراهة الدعاء بتعجيل العقوبة فى الدنيا.

(٣) الترمذى (٥/ ٧٨٠) وقال: غريب ،وأحمد (٢/ ٣١١، ٤٧٧)،وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٧٥): «رواه أحمد من طريق أبى سعيد المدينى،وفى رواية:عن أبى سعد الحمصى ولم أعرفها وبقية رجاله ثقات»،وضعفه الألبانى .

بحمد الله ونعمه وحسن بلائه علينا ثلاثا،اللهم صاحبنا فأفضل علينا،عائذ بالله من النار ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ثلاثاً .

وذكرالإمام أحمد: أن الله سبحانه أوحى إلى موسى بن عمران عليه السلام: « يا موسى ، كن يقظان مرتاداً لنفسك أخدانا ،وكل خدن لا يواتيك على مسرتى فلا تصحبه ؛ فإنه عدو لك ،وهو يقسى قلبك ،وأكثر من ذكرى حتى تستوجب الشكر وتستكمل المزيد.

وقال الحسن :خلق اللّه آدم حين خلقه ،فأخرج أهل الجنة من صفحته اليمنى ، وأخرج أهل النار من صفحته اليسرى ، فدبوا على وجه الأرض منهم : الأعمى والأصم المبتلى ، فقال آدم : يا رب ألا سويت بين ولدى؟ قال : يا آدم إنى أريد أن أشكر.

وفى السنن عنه ﷺ : « من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بى من نعمتك أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك ؛ فلك الحمد ولك الشكر إلا أدى شكر ذلك اليوم . ومن قال ذلك حين يمسى ،فقد أدى شكر ليلته »(١).

ويذكر عن النبى ﷺ : « من ابتلى فصبر ، وأعطى فشكر ، وظلم فغفر ، وظلم فاستغفر ؛ أولئك لهم الأمن وهم مهتدون » (٢).

ويذكر عنه ﷺ: أنه أوصى رجلاً بثلاث ،فقال:« أكثر من ذكر الموت يشغلك عما سواه،وعليك بالدعاء فإنك لا تدرى متى يستجاب لك،وعليك بالشكر فإن الشكر زيادة»(٣).

ويذكر عنه ﷺ : أنه كان إذا أكل قال : « الحمد لله الذى أطعمنى وسقانى وهدانى ، وكل بلاء حسن أبلانى ،الحمد لله الرازق ذى القوة المتين ؛اللهم لا تنزع منا صالحا أعطيتنا ولا صالحا رزقتنا ،واجعلنا لك من الشاكرين » (٤) ويذكر عنه ﷺ : أنه إذا أكل قال : «الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوغه وجعل له مخرجا »(٥).

وكان عروة بن الزبير إذا أتى بطعام لم يزل مخمرا حتى يقول هذه الكلمات: الحمد لله الذى هدانا وأطعمنا وسقانا ونعمنا ، الله أكبر . . اللهم ألفتنا نعمتك ونحن بكل شر

---

(١) أبو داود (٥٠٧٣) فى الأدب، باب:ما يقول إذا أصبح ، وموارد الظمآن (٢٣٦١) فى الأذكار ، باب: ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى وإذا أوى إلى فراشه .

(٢) شعب الإيمان (٤٤٣١) فى باب: تعديد نعم الله ،والطبرانى فى الكبير ٧/ ١٣٨ (٦٦١٣) ،وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ٢٨٧) فى الزهد ،باب: ما جاء فى الشكر والصبر:« فيه أبو داود الأعمى وهو متروك » .

(٣) حلية الأولياء (٧/ ٣٠٥) ،والمطالب العالية (٣٠٩٨) فى الرقائق، باب :ذكر الموت وقصر الأمل .

(٤) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٤٦) فى الدعاء ،باب : دعاء يقال بعد فراغ الطعام ،وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى ، وابن أبى الدنيا فى الشكر (١٦٧) .

(٥) أبو داود (٣٨٥١) فى الأطعمة ، باب: ما يقول الرجل إذا طعم .

فأصبحنا وأمسينا بخير ، نسأل تمامها وشكرها ،لا خير إلا خيرك ، ولا إله غيرك ، إله الصالحين ورب العالمين. . الحمد لله ، لا إله إلا الله ،ماشاء الله لا قوة إلا بالله. . اللهم بارك لنا فيما رزقتنا وقنا عذاب النار .

وقال وهب بن منبه : رؤوس النعم ثلاثة : فأولها: نعمة الإسلام التى لا تتم نعمة إلا بها، والثانية:العافية التى لا تطيب إلا بها ، والثالثة:نعمة الغنى التى لا يتم العيش إلا به .

وقدم سعيد الجريرى من الحج فجعل يقول: أنعم الله علينا فى سفرنا بكذا وكذا ،ثم قال: تعداد النعم من الشكر .

ومر وهب بمبتلى أعمى مجذوم ، مقعد عريان ،به وضح ،وهو يقول: الحمد لله على نعمه ، فقال رجل كان مع وهب :أى شىء بقى عليك من النعمة تحمد الله عليها؟ فقال له المبتلى: ارم ببصرك إلى أهل المدينة ،فانظر إلى كثرة أهلها ،أفلا أحمد الله أنه ليس فيها أحد يعرفه غيرى .

ويذكر عن النبى ﷺ أنه قال:« إذا أنعم الله على عبد نعمة فحمده عندها فقد أدى شكرها »(١) .

وذكر على بن أبى طالب رضي الله عنه أن بختنصر أتى بدانيال ، فأمر به فحبس فى جب وأضرى أسدين ثم خلى بينهما وبينه ،ثم فتح عليه بعد خمس أيام فوجده قائما يصلى والأسدان فى ناحية الجب لم يعرضا له ؛ فقال له : ما قلت حين دفع عنك ؟ قال : قلت: « الحمد لله الذى لا ينسى من ذكره ،والحمد لله الذى لا يخيب رجاه ،والحمد لله الذى لا يكل من توكل عليه إلى غيره ،والحمد لله الذى هو ثقتنا حين تنقطع عنا الحيل ، والحمد لله الذى هو رجاؤنا حين يسوء ظننا بأعمالنا،والحمد لله الذى يكشف عنا ضرنا بعد كربتنا ، والحمد لله الذى يجزى بالإحسان إحسانا، والحمد لله الذى يجزى بالصبر نجاة».

ويذكر عنه ﷺ أنه كان إذا نظر فى المرآة قال:« الحمد لله الذى أحسن خلقى وخُلقى، وزان منى ما شان من غيرى »(٢).

وقال ابن سيرين:كان ابن عمر يكثر النظر فى المرآة ، وتكون معه فى الأسفار ، فقلت له : ولم ؟ قال: أنظر فما كان فى وجهى زين فهو فى وجه غيرى شين أحمد الله عليه .

وسئل أبو بكر بن أبى مريم :ما تمام النعمة ؟ قال: أن تضع رجلا على الصراط ورجلا فى الجنة .

---

(١) ابن أبى الدنيا فى الشكر (١٧٢) .

(٢) ابن أبى الدنيا فى الشكر (١٧٤) .

وقال بكر بن عبد الله : يا بن آدم ،إن أردت أن تعرف قدر ما أنعم اللّه عليك فغمض عينيك .

وقال مقاتل فى قوله : ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان : ٢٠] ، قال: أما الظاهرة : فالإسلام ،وأما الباطنة : فستره عليكم المعاصى .

وقال ابن شوذب : قال عبد الله ـ يعنى ابن مسعود ﷺ : إن لله على أهل النار منّة لو شاء أن يعذبهم بأشد من النار لعذبهم .

وقال أبو سليمان الدارنى : جلساء الرحمن يوم القيامة مَنْ جعل فيه خصالاً : الكرم، والسخاء، والحلم ،والرأفة ،والرحمة ،والشكر ، والبر ، والصبر .

وقال أبو هريرة ﷺ : من رأى صاحب بلاء فقال: « الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ،وفضلنى عليك وعلى جميع خلقه تفضيلا » فقد أدى شكر تلك النعمة ، وقال عبد الله بن وهب : سمعت عبد الرحمن بن زيد يقول: الشكر يأخذ بجذم الحمد وأصله وفرعه ،قال: ينظر فى نعم الله : فى بدنه ،وسمعه ،وبصره، ويديه ،ورجليه ، وغير ذلك ، ليس من هذا شىء إلا فيه نعمة من الله ، حق على العبد أن يعمل فى النعمة التى هى فى بدنه لله فى طاعته ، ونعمة أخرى فى الرزق وحق عليه أن يعمل لله فيما أنعم عليه به من الرزق بطاعته ؛ فمن عمل بهذا كان قد أخذ بجذم الشكر وأصله وفرعه .

وقال كعب : ما أنعم الله على عبد من نعمة فى الدنيا ، فشكرها لله وتواضع بها لله، إلا أعطاه الله نفعها فى الدنيا ،ورفع له بها درجة فى الأخرى. وما أنعم الله على عبد نعمة فى الدنيا ،فلم يشكرها لله ولم يتواضع بها ،إلا منعه الله نفعها فى الدنيا ،وفتح له طبقات من النار يعذبه إن شاء أو يتجاوز عنه .

وقال الحسن : من لا يرى لله عليه نعمة إلا فى مطعم أو مشرب أو لباس، فقد قصر علمه وحضر عذابه .

وقال الحسن يوما لبكر المزنى : هات يا أبا عبد الله دعوات لإخوانك ؛ فحمد الله ، وأثنى عليه ، وصلى على النبى ﷺ ، ثم قال : والله ما أدرى أى النعمتين أفضل علىّ وعليكم: أنعمة المسلك أم نعمة المخرج إذا أخرجه منا ؟ قال الحسن: إنها لمن نعمة الطعام.

وقالت عائشة ﷺ: ما من عبد يشرب الماء القراح، فيدخل بغير أذى ويخرج الأذى، إلا وجب عليه الشكر .

قال الحسن:يا لها من نعمة تدخل كل لذة وتخرج مسرحا، لقد كان ملك من ملوك هذه القرية يرى الغلام من غلمانه يأتى الحب فيكتال منه ثم يجرجر قائما ، فيقول : يا ليتنى

مثلك ما يشرب حتى يقطع عنه العطش ،فإذا شرب كان له فى تلك الشربة موتات يا لها من نعمة .

وكتب بعض العلماء إلى أخ له: أما بعد ، فقد أصبح بنا من نعم الله ما لا تحصيه مع كثرة ما تعصيه ، فما ندرى أيهما نشكر:أجميل ما يستر أم قبيح ما ستر .

وقيل للحسن: ها هنا رجل لا يجالس الناس ، فجاء إليه فسأله عن ذلك، فقال: إنى أمسى وأصبح بين ذنب ونعمة، فرأيت أن أشغل نفسى عن الناس بالاستغفار من الذنب والشكر لله على النعمة ؛ فقال له الحسن : أنت عندى يا عبد الله أفقه من الحسن ، فالزم ما أنت عليه .

وقال ابن المبارك : سمعت علياً بن صالح يقول فى قوله تعالى : ﴿ **لَئِن شَكَرْتُمْ لأَزِيدَنَّكُم** ﴾[إبراهيم:٧] ، قال: أى من طاعتى ،والتحقيق أن الزيادة من النعم ،وطاعته من أجل نعمه .

وذكر ابن أبى الدنيا:أن محارب بن دثار ،كان يقوم بالليل ويرفع صوته أحيانا :أنا الصغير الذى ربيته فلك الحمد، وأنا الضعيف الذى قويته فلك الحمد،وأنا الفقير الذى أغنيته فلك الحمد،وأنا الصعلوك الذى مولته فلك الحمد،وأنا العزب الذى زوجته فلك الحمد ،وأنا الساغب الذى أشبعته فلك الحمد ،وأنا العارى الذى كسوته فلك الحمد ،وأنا المسافر الذى صاحبته فلك الحمد،وأنا الغائب الذى رددته فلك الحمد ،وأنا الراجل الذى حملته فلك الحمد،وأنا المريض الذى شفيته فلك الحمد ،وأنا السائل الذى أعطيته فلك الحمد، وأنا الداعى الذى أجبته فلك الحمد. . ربنا ولك الحمد حمداً كثيرا .

وكان بعض الخطباء يقول فى خطبته:اختط لك الأنف فأقامه وأتمه فأحسن تمامه،ثم أدار منك الحدقة فجعلها بجفون مطبقة ،وبأشفار معلقة، ونقلك من طبقة إلى طبقة ، وحنن عليك قلب الوالدين برقة ومقة؛ فنعمه عليك مورقة ، وأياديه بك محدقة .

وكان بعض العلماء يقول فى قوله تعالى: ﴿ **وَإِن تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لا تُحْصُوهَا** ﴾ [إبراهيم: ٣٤] ، سبحان من لم يجعل لحد معرفة نعمه إلا العلم بالتقصير عن معرفتها كما لم يجعل لحد إدراكه أكثر من العلم أنه لا يدرك،فجعل معرفة نعمه بالتقصير عن معرفتها شكراً ، كما شكر علم العالمين أنهم لا يدركونه فجعله إيماناً ، علماً منه أن العباد لا يتجاوزون ذلك .

وقال عبد الله بن المبارك : أخبرنا مثنى بن الصباح ،عن عمرو بن شعيب ، عن أبيه، عن جده قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول:« خصلتان من كانتا فيه كتبه الله صابراً شاكرا، ومن لم يكونا فيه ، لم يكتبه الله صابرا شاكرا : من نظر فى دينه إلى من هو فوقه فاقتدى به ، ومن نظر فى دنياه إلى من هو دونه فحمد الله على ما فضله به عليه ، كتبه الله صابرا

شاكرا ومن نظر فى دينه إلى من هو دونه ونظر فى دنياه إلى من هو فوقه فأسف على ما فاته منه لم يكتبه الله شاكراً ولا صابرًا » [١]، وبهذا الإسناد عن عبد الله بن عمرو موقوفا عليه : أربع خصال من كنَّ فيه بنى الله له بيتاً فى الجنة : من كان عصمة أمره لا إله إلا الله ،وإذا أصابته مصيبة قال: إنا لله وإنا إليه راجعون ،وإذا أعطى شيئا قال: الحمد لله ، وإذا أذنب قال: أستغفر الله .

وقال ابن المبارك: عن شبل ،عن أبى نجيح ،عن مجاهد فى قوله تعالى: ﴿إِنَّهُ كَانَ عَبْدًا شَكُورًا﴾[الإسراء:٣] ،قال:لم يأكل شيئا إلا حمد الله عليه،ولم يشرب شرابا قط إلا حمد الله عليه،ولم يبطش بشىء قط إلا حمد الله عليه فأثنى الله عليه أنه كان عبدا شكوراً.

وقال محمد بن كعب : كان نوح إذا أكل قال : الحمد لله ،وإذا شرب قال: الحمد لله، وإذا لبس قال: الحمد لله ، وإذا ركب قال : الحمد لله فسماه الله كان عبدا شكوراً .

وقال ابن أبى الدنيا : بلغنى عن بعض الحكماء قال: لو لم يعذب الله على معصيته لكان ينبغى ألا يعصى لشكر نعمته [٢].

فصل
فى أفضل الذكر

وأما المسألة الثانية [٣] وهى :تفضيل « سبحان الله وبحمده عدد خلقه ، ورضا نفسه، وزنة عرشه ،ومداد كلماته» [٤] على مجرد الذكر بسبحان الله أضعافا مضاعفة ،فإن ما يقوم بقلب الذاكر حين يقول:« سبحان الله وبحمده عدد خلقه » من معرفته وتنزيهه وتعظيمه من هذا القدر المذكور من العدد : أعظم مما يقوم بقلب القائل:« سبحان الله » فقط .

وهذا يُسمى : الذكر المضاعف ،وهو أعظم ثناء من الذكر المفرد .

فلهذا كان أفضل منه ، وهذا إنما يظهر فى معرفة هذا الذكر وفهمه. فإن قول المسبح: « سبحان الله وبحمده عدد خلقه » يتضمن إنشاءً وإخباراً عما يستحقه الربُّ من التسبيح

---

(١) الترمذى (٢٥١٢) فى صفة القيامة والرقائق والورع ،باب:(٥٨)،وقال:«حسن غريب » ،وضعفه الألبانى .

(٢) عدة الصابرين (١٧٧ ـ ١٨٥) .

(٣) أى من المسائل التى سئل عنها الإمام ابن القيم رحمه الله .

(٤) مسلم (٢٧٢٦ / ٧٩) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم ،وأبو داود (١٥٠٣) فى الصلاة ، باب : التسبيح بالحصى ،والترمذى (٣٥٥٥) فى الدعوات، باب(١٠٤)، والنسائى (١٣٥٢) فى السهو ، باب: نوع آخر من عدد التسبيح .

عدد كل مخلوق كان أو هو كائن ،إلى ما لا نهاية له .

فتضمّن الإخبار عن تنزيهه الربّ وتعظيمه والثناء عليه هذا العدد العظيم، الذى لا يبلغه العادُّون ، ولا يحصيه المحصون. وتضمن إنشاء العبد لتسبيح هذا شأنه ،لا أن ما أتى به العبد من التسبيح هذا قدره وعدده ، بل أخبر أن ما يستحقه الرب ـ سبحانه وتعالى ـ من التسبيح : هو تسبيح يبلغ هذا العدد الذى لو كان فى العدد ما يزيد لذكره ، فإن تجدد المخلوقات لا ينتهى عدداً ،ولا يُحصى الحاضر .

وكذلك قوله: « ورضا نفسه » فهو يتضمن أمرين عظيمين : أحدُهما: أن يكون المراد تسبيحاً هو والعظمة والجلال سيَّان ولرضا نفسه كما أنه فى الأول مخبر عن تسبيح مساوٍ لعدد خلقه، ولا ريب أن رضا نفس الرب لا نهاية له فى العظمة والوصف. والتسبيح: ثناءً عليه ـ سبحانه ـ يتضمن التعظيم والتنزيه .

فإذا كانت أوصاف كماله ونعوتُ جلاله لا نهاية لها ولا غاية، بل هى أعظم من ذلك وأجل، كان الثناء عليه بها كذلك إذا هو تابع لها إخباراً وإنشاءً . وهذا المعنى ينتظم المعنى الأول من غير عكس .

وإذا كان إحسانه ـ سبحانه ـ وثوابه وبركته وخيره لا منتهى له ، وهو من موجبات رضاه وثمرته فكيف بصفة الرضا ؟

وفى الأثر:«إذا باركتُ لم يكن لبركتى منتهى» فكيف بالصفة التى صدرت عنها البركة؟

والرضا يستلزم المحبة، والإحسان ،والجود ،والبر ، والعفو ، والصفح ،والمغفرة .

والخلق :يستلزم العلم، والقدرة ، والإرادة ،والحياة،والحكمة . وكلُّ ذلك داخل فى رضا نفسه ، وصفة خلقه .

وقوله :« وزنة عرشه » فيه إثبات للعرش ،وإضافته إلى الربّ سبحانه وتعالى وأنه أثقل المخلوقات على الإطلاق ،إذ لو كان شىء أثقل منه لوزن به التسبيح .وهذا يرد على من يقول: إن العرش ليس بثقيل ولا خفيف .وهذا لم يعرف العرش ، ولا قدره حق قدره.

فالتضعيف الأول: للعدد والكمية .والثانى:للصفة والكيفية ،والثالث:للعظم والثقل، وليس للمقدار .

وقوله :« ومداد كلماته » هذا يعمُّ الأقسام الثلاثة ويشملها . فإن مداد كلماته سبحانه وتعالى لا نهاية لقدره ،ولا لصفته ،ولا لعدده . قال تعالى:﴿ **قل لَوْ كَانَ الْبَحْرُ مِدَادًا لِكَلِمَاتِ رَبِّي لَنَفِدَ الْبَحْرُ قَبْلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ مَدَدًا** (١٠٩)﴾ [الكهف]، وقال تعالى : ﴿ **وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِن شَجَرَةٍ أَقْلَامٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِن بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَّا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ**

﴿اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٢٧﴾﴾ [لقمان] .

ومعنى هذا : أنه لو فُرِض البحرُ مداداً ،وبعده سبعة أبحر تمدُّه كلُّها مدادا ، وجميع أشجار الأرض أقلاما وهو ما قام منها على ساق من النبات،والأشجار المثمرة وغير المثمرة، وتستمد بذلك المداد لفنيت البحار والأقلام ،وكلمات الرب لا تفنى ولا تنفد. فسبحان الله وبحمده عدد خلقه، ورضا نفسه ،وزنة عرشه ،ومداد كلماته .

فأين هذا من وصف من يصفه بأنه ما تكلم ولا يتكلم ،ولا يقوم به كلام أصلا؟ وقول من وصف كلامه بأنه معنى واحد، لا ينقضى ولا يتجزأ ولا له بعضٌ ولا كلٌ، ولا هو سور وآيات، ولا حُروف وكلمات ؟

والمقصود: أن فى هذا التسبيح من صفات الكمال ونعوت الجلال ما يوجب أن يكون أفضل من غيره ،وأنه لو وزن غيره به لوزن وزاد عليه .

وهذا بعض ما فى هذه الكلمات من المعرفة بالله ،والثناء عليه بالتنزيه والتعظيم ، مع اقترانه بالحمد المتضمن لثلاثة أصول:

أحدها: إثبات صفات الكمال له سبحانه ،والثناء عليه.

الثانى:محبته والرضا به .

الثالث:فإذا انضاف هذا الحمد إلى التسبيح والتنزيه على أكمل الوجوه، وأعظمها قدرا،وأكثرها عددا ،وأجزلها وصفا ، واستحضر العبد ذلك عند التسبيح ، وقام بقلبه معناه كان له من المزية والفضل ما ليس لغيره ،وبالله التوفيق[1].

وأيضا

من الذاكرين :من يبتدئ بذكر اللسان وإن كان على غفلة، ثم لا يزال فيه حتى يحضر قلبه فيتواطآ على الذكر .ومنهم: من لا يرى ذلك ولا يبتدئ على غفلة بل يسكن حتى يحضر قلبه فيشرع فى الذكر بقلبه ،فإذا قوى استتبع لسانه فتواطآ جميعاً . فالأول : ينتقل الذكر من لسانه إلى قلبه . والثانى: ينتقل من قلبه إلى لسانه ، من غير أن يخلو قلبه منه ،بل يسكن أولاً حتى يحس بظهور الناطق فيه. فإذا أحس بذلك نطق قلبه ، ثم انتقل النطق القلبى إلى الذكر اللسانى، ثم يستغرق فى ذلك حتى يجد كل شىء منه ذاكراً .

وأفضل الذكر وأنفعه ما واطأ فيه القلب اللسان،وكان من الأذكار النبوية ، وشهد الذاكر معاينة ومقاصده [2].

---

(١) المنار المنيف (٣٤ ـ ٣٨) .

(٢) الفوائد (٢٦٠) .

فصل
فى بيان أن الذكر أفضل من الدعاء

الذكر أفضل من الدعاء ؛ لأن الذكر ثناء على الله عز وجل بجميل أوصافه وآلائه وأسمائه ،والدعاء سؤال العبد حاجته ،فأين هذا من هذا ؟

ولهذا جاء فى الحديث :« من شغله ذكرى عن مسألتى أعطيته أفضل ما أعطى السائلين» (١).

ولهذا كان المستحب فى الدعاء أن يبدأ الداعى بحمد الله تعالى، والثناء عليه بين يدى حاجته ، ثم يسأل حاجته . كما فى حديث فضالة بن عبيد :أن رسول الله ﷺ سمع رجلاً يدعو فى صلاته لم يحمد الله تعالى ولم يصل على النبى ﷺ فقال رسول اللّه ﷺ: « لقد عجل هذا » ثم دعاه فقال له أو لغيره: « إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه عز وجل والثناء عليه، ثم يصلى على النبى ﷺ ،ثم يدعو بعد بما شاء» رواه الإمام أحمد،والترمذى وقال: حديث حسن صحيح. ورواه الحاكم فى « صحيحه» (٢).

وهكذا دعاء ذى النون عليه السلام الذى قال فيه النبى ﷺ : « دعوة أخى ذى النون ، ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كُربته: لا إله إلا أنت،سبحانك إنى كنت من الظالمين » وفى الترمذى:«دعوة أخى ذى النون إذْ دعا وهو فى بطن الحوت «لا إله إلا أنت، سبحانك إنى كنت من الظالمين ، فإنه لم يدْعُ بها مُسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له»(٣).

وهكذا عامة الأدعية النبوية على قائلها أفضل الصلاة والسلام.

ومنه قوله ﷺ فى دعاء الكرب :«لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم » (٤).

---

(١) سبق تخريجه ص١٨٦ برقم (١) .

(٢) أحمد (٦ / ١٨) ،والترمذى (٣٤٧٧) فى الدعوات ، باب :(٦٥) وقال : « حسن غريب » ، والحاكم فى المستدرك (١/ ٢٣٠) فى الصلاة ، باب : إذا صلى أحدكم فليبدأ بتمجيد ربه والثناء عليه ، وقال:« صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(٣) الترمذى (٣٥٠٥) فى الدعوات، باب (٨٢) ، وأحمد (١ / ١٧٠)، وقال الشيخ شاكر (١٤٦٢) : « إسناده صحيح » ، والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٠٥) فى الدعاء ، باب:من دعا بدعوة ذى النون استجاب الله له . وقال :« صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى .

(٤) البخارى (٦٣٤٦) فى الدعوات ، باب :الدعاء عند الكرب ،مسلم (٢٧٣٠ / ٨٣) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب :دعاء الكرب ، والترمذى (٣٤٣٥) فى الدعوات ،باب:ما جاء ما يقول عند الكرب، وابن ماجه (٣٨٨٣) فى الدعاء ، باب : عند الكرب .

ومنه حديث بريدة الأسلمى الذى رواه أهل السنن ، وابن حبان فى « صحيحه » : أن رسول الله ﷺ سمع رجلا يدعو وهو يقول : اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك الله لا إله إلا أنت الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ،فقال: «والذى نفسى بيده،لقد سأل الله باسمه الأعظم ،الذى إذا دُعى به أجاب ،وإذا سئل به أعطى»(١).

وروى أبو داود،والنسائى من حديث أنس: أنه كان مع النبى ﷺ جالساً ورجل يصلى ثم دعا :اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد ،لا إله إلا أنت ،المنان،بديع السموات والأرض، يا ذا الجلال والإكرام، يا حى يا قيوم . فقال النبى ﷺ:« لقد دعا الله باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب ،وإذا سئل به أعطى » (٢).

فأخبر النبى ﷺ أن الدعاء يستجاب إذا تقدمه هذا الثناء والذكر،وأنه اسم الله الأعظم، فكان ذكر الله عز وجل والثناء عليه أنجح ما طلب به العبد حوائجه.

وهذه فائدة أخرى من فوائد الذكر والثناء ، أنه يجعل الدعاء مستجاباً .

فالدعاء الذى يتقدمه الذكر والثناء، أفضل وأقرب إلى الإجابة من الدعاء المجرد،فإن انضاف إلى ذلك إخبار العبد بحاله ومسكنته ، وافتقاره واعترافه ، كان أبلغ فى الإجابة وأفضل،فإنه يكون قد توسل المدعو بصفات كماله وإحسانه وفضله،وعرّض بل صرح بشدة حاجته وضرورته وفقره ومسكنته، فهذا المقتضى منه ،وأوصاف المسؤول مقتضى من الله ، فاجتمع المقتضى من السائل ،والمقتضى من المسؤول فى الدعاء ،وكان أبلغ وألطف موقعاً ، وأتم معرفة وعبودية .

وأنت ترى فى الشاهد ـ ولله المثل الأعلى ـ أن الرجل إذا توسل إلى من يريد معروفه بكرمه وجوده وبره،وذكر حاجته هو ،وفقره ومسكنته ،كان أعطف لقلب المسؤول،وأقرب لقضاء حاجته .

فإذا قال له : أنت جودك قد سارت به الركبان ، وفضلك كالشمس لا تنكر ، ونحو ذلك ، وقد بلغت بى الحاجةوالضرورة مبلغا لا صبر معه ونحو ذلك ، كان أبلغ فى قضاء حاجته من أن يقول ابتداء : أعطنى كذا وكذا .

---

(١) أبوداود (١٤٩٣) فى الصلاة، باب: الدعاء ،والترمذى (٣٤٧٥) فى الدعوات، باب:جامع الدعوات، وقال : حسن غريب ،وابن ماجه (٣٨٥٧) فى الدعاء ، باب: اسم الله الأعظم ،وابن حبان (٨٨٩) فى الرقائق، باب: الأدعيه.

(٢) أبو داود (١٤٩٥) فى الصلاة ، باب : الدعاء ،والنسائى (١٣٠٠) فى السهو، باب : الدعاء بعد الذكر .

فإذا عرفت هذا ، فتأمل قول موسى ﷺ فى دعائه : ﴿ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ (٢٤) ﴾ [القصص] وقول ذى النون ﷺ فى دعائه ﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ (٨٧) ﴾ [الأنبياء] ، وقول أبينا آدم ﷺ: ﴿ رَبَّنَا ظَلَمْنَا أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٢٣) ﴾ [الأعراف] .

وفى « الصحيحين » : أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال: يا رسول الله ، علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى : فقال :« قل : اللهم إنى ظلمت نفسى ظُلما كثيرًا ،وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ، إنك أنت الغفور الرحيم » (١).

فجمع فى هذا الدعاء الشريف العظيم القدر ، بين الاعتراف بحاله، والتوسل إلى ربه عز وجل بفضله وجوده ، وأنه المنفرد بغفران الذنوب ، ثم سأل حاجته بعد التوسل بالأمرين معا، فهكذا أدب الدعاء وآداب العبودية .

فصل
فى أن قراءة القرآن أفضل من الذكر

قراءة القرآن أفضل من الذكر ،والذكر أفضل من الدعاء ، هذا من حيث النظر إلى كل منهما مجرداً .

وقد يعرض للمفضول ما يجعله أولى من الفاضل، بل يعينه ، فلا يجوز أن يعدل عنه إلى الفاضل ،وهذا كالتسبيح فى الركوع والسجود ،فإنه أفضل من قراءة القرآن فيهما ، بل القراءة فيهما منهى عنها نهى تحريم أو كراهة ، وكذلك التسميع(٢) والتحميد فى محلهما أفضل من القراءة ، وكذلك التشهد ، وكذلك : « رب اغفر لى وارحمنى واهدنى وعافنى وارزقنى» بين السجدتين أفضل من القراءة، وكذلك الذكر عقيب السلام من الصلاة ـ ذكر التهليل ، والتسبيح،والتكبير ،والتحميد ـ أفضل من الاشتغال عنه بالقراءة ،وكذلك إجابة المؤذن ، والقول كما يقول أفضل من القراءة ،وإن كان فضل القرآن على كل كلام كفضل الله تعالى على خلقه،لكن لكل مقام مقال ، متى فات مقاله فيه وعدل عنه إلى غيره ، اختلت الحكمة ،وفاتت المصلحة المطلوبة منه .

وهكذا الأذكار المقيدة بمحال مخصوص أفضل من القراءة المطلقة ، والقراءة المطلقة أفضل من الأذكار المطلقة ،اللهم إلا أن يعرض للعبد ما يجعل الذكر أو الدعاء أنفع له من

(١) البخارى (٨٣٤) فى الأذان باب:الدعاء قبل السلام،ومسلم (٥ ـ ٢٧ / ٤٨) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب : استحباب خفض الصوت بالذكر .

(٢) أى :سمع الله لمن حمده .

قراءة القرآن، مثاله :

أن يتفكر فى ذنوبه، فيحدث ذلك له توبة واستغفار ، أو يعرض له ما يخاف أذاه من شياطين الإنس والجن ،فيعدل إلى الأذكار والدعوات التى تحصنه وتحوطه .

وكذلك أيضاً قد يعرض للعبد حاجة ضرورية إذا اشتغل عن سؤالها بقراءة أو ذكر لم يحضر قلبه فيهما ،وإذا أقبل على سؤالها والدعاء لها ، اجتمع قلبه كله على الله تعالى ، وأحدث له تضرعاً وخشوعا وابتهالا ، فهذا قد يكون اشتغاله بالدعاء والحالة هذه أنفع ، وإن كان كل من القراءة والذكر أفضل وأعظم أجراً .

وهذا باب نافع يحتاج إلى فقه نفس ،وفرقان بين فضيلة الشىء فى نفسه وبين فضيلته العارضة ، فيعطى كل ذى حق حقه ،ويوضع كل شىء موضعه .

فللعين موضع ،وللرِّجل موضع ،وللماء موضع،وللحم موضع ،وحفظ المراتب هو من تمام الحكمة التى هى نظام الأمر والنهى ،والله تعالى الموفق .

وهكذا الصابون والأشنان ، أنفع للثوب فى وقت ،والتجمير وماء الورد وكيُّه أنفع له فى وقت.

وقلت لشيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى يوماً : سئل بعض أهل العلم :أيما أنفع للعبد ، التسبيح أو الاستغفار ؟ فقال: إذا كان الثوب نقياً ، فالبخور وماء الورد أنفع له، وإن كان دنساً فالصابون والماء الحار أنفع له ، فقال لى رحمه الله تعالى: فكيف والثياب لا تزال دنسة ؟ .

ومن هذا الباب:أن سورة ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ [الإخلاص] تعدل ثلث القرآن ،ومع هذا فلا تقوم مقام آيات المواريث، والطلاق، والخلع ،والعدد ونحوها، بل هذه الآيات فى وقتها وعند الحاجة إليها أنفع من تلاوة سورة الإخلاص .

ولما كانت الصلاة مشتملة على القراءة والذكر الدعاء ، وهى جامعة لأجزاء العبودية على أتم الوجوه ، كانت أفضل من كل القراءة والذكر والدعاء بمفرده ،لجمعها ذلك كله مع عبودية سائر الأعضاء.

فهذا أصل نافع جدا ، يفتح للعبد باب معرفة مراتب الأعمال وتنزيلها منازلها ، لئلا يشتغل بمفضولها عن فاضلها،فيربح إبليس الفضل الذى بينهما ،أو ينظر إلى فاضلها فيشتغل به عن مفضولها وإن كان ذلك وقته ، فتفوته مصلحته بالكلية ،لظنه أن اشتغاله بالفاضل أكثر ثوابا وأعظم أجراً .

وهذا يحتاج إلى معرفة بمراتب الأعمال ،وتفاوتها ، ومقاصدها ، وفقه فى إعطاء كل

عمل منها حقه، وتنزيله فى مرتبته ،وتفويته لما هو أهم منه ،أو تفويت ما هو أولى منه وأفضل،لإمكان تداركه والعود إليه ، وهذا المفضول إن فات لا يمكن تداركه ،فالاشتغال به أولى ـ وهذا كترك القراءة لرد السلام ،وتشميت العاطس ـ وإن كان القرآن أفضل ، لأنه يمكنه الاشتغال بهذا المفضول والعود إلى الفاضل ، بخلاف ما إذا اشتغل بالقراءة فاتته مصلحة رد السلام وتشميت العاطس ،وهكذا سائر الأعمال إذا تزاحمت .والله الموفق[١].

فصل
فى أحب الكلام إلى الله عز وجل بعد القرآن

ثبت فى «صحيح مسلم » عن سمرة بن جندب قال: قال رسول الله ﷺ :« أحب الكلام إلى الله تعالى أربع،لا يضرك بأيهن بدأت :سبحان الله ،والحمد لله ،ولا إله إلا الله ، والله أكبر» [٢].

وفى أثر آخر :« أفضل الكلام بعد القرآن أربع وهن من القرآن:سبحان الله ،والحمد لله ،ولا إله إلا الله ،والله أكبر »[٣].

وفى أثر آخر :« أفضل الكلام ما اصطفى الله لملائكته :سبحان الله وبحمده »[٤].

وفى «الصحيحين » عن أبى هريرة عن النبى ﷺ : « كلمتان خفيفتان على اللسان ، ثقيلتان فى الميزان ،حبيبتان إلى الرحمن:سبحان الله وبحمده ، سبحان الله العظيم »[٥].

فى « صحيح مسلم » عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال:« لأن أقول :سبحان الله، والحمد لله ، ولا إله إلا الله ،والله أكبر ،أحب إلىَّ مما طلعت عليه الشمس»[٦] .

فصل
فى الذكر المضاعف

فى « صحيح مسلم » عن جويرية أم المؤمنين: أن النبى ﷺ خرج من عندها بكرة حين

---

(١) الوابل الصيب (١٨٢ ـ ١٨٩) .

(٢) مسلم (٢١٣٧ / ١٢) فى الآداب ، باب : كراهية التسمية بالأسماء القبيحة وبنافع ونحوه .

(٣) أحمد (٥/ ٢٠) .

(٤) البخارى (٦٤٠٦) فى الدعوات ، باب : فضل التسبيح .

(٥) ومسلم (٢٦٩٤ / ٣١) فى الذكر والدعاء والاستغفار ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٦) مسلم (٢٦٩٥/ ٣٢) فى الكتاب والباب السابقين .

صلى الصبح وهى فى مسجدها ، ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة ، فقال: « ما زلت على الحال التى فارقتك عليها ؟» قالت : نعم . فقال النبى ﷺ : « لقد قُلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات ،لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه،سبحان الله رضا نفسه ، سبحان الله زنة عرشه ،سبحان الله مداد كلماته »(١) .

وعن سعد بن أبى وقاص : أنه دخل مع رسول الله ﷺ على امرأة وبين يديها نوى أو حصى تسبح به فقال : « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا وأفضل» فقال: « سبحان اللّه الله عدد ما خلق فى السماء ، سبحان اللّه عدد ما خلق فى الأرض ، سبحان اللّه عدد ما بين ذلك ،سبحان الله عدد ما هو خالق ، واللّه أكبر مثل ذلك ،ولا إله إلا اللّه مثل ذلك، والحمد لله مثل ذلك ،ولا حول ولا قوة إلا باللّه مثل ذلك » (٢) .رواه أبو داود والترمذى وقال : حديث حسن(٣) .

فصل
فى أنواع الذكر

الذكر نوعان :

أحدهما :

ذكر أسماء الرب تبارك وتعالى وصفاته ، والثناء عليه بهما ، وتنزيهه وتقديسه عما لا يليق به تبارك وتعالى ، وهذا أيضاً نوعان :

أحدهما : إنشاء الثناء عليه بها من الذكر ، وهذا النوع هو المذكور فى الأحاديث ، نحو: «سبحان اللّه والحمد لله ،ولا إله إلا الله ،والله أكبر » و« سبحان الله وبحمده » ، و « لا إله إلا اللّه وحدهُ لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير » ، ونحو ذلك . فأفضل هذا النوع ، أجمعه للثناء ،وأعمه ، نحو «سبحان اللّه عدد خلقه » ، فهذا أفضل من مجرد « سبحان اللّه » ، وقولك : « الحمد للّه عدد ما خلق فى السماء ، وعدد ما خلق فى الأرض ، وعدد ما بينهما،وعدد ما هو خالق » أفضل من مجرد قولك : «الحمد لله » .

وهذا فى حديث جويرية ، أن النبى ﷺ قال لها : « لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث

(١) مسلم (٢٧٢٦/ ٧٩) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: التسبيح أول النهار .
(٢) أبو داود (١٥٠٠) فى الصلاة ، باب: التسبيح بالحصى واللفظ له ، والترمذى (٣٥٦٨) فى الدعوات ، باب: فى دعاء النبى ﷺ وتعوذه دبر كل صلاة وقال: « حسن غريب ». وقال الألبانى : « منكر » .
(٣) الوابل الصيب (٣٢٤ ـ ٣٢٦) .

مرات ،لو وزنت بما قلت منذ اليوم لوزنتهن :سبحان اللّه وبحمده عدد خلقه ، سبحان الله رضا نفسه ، سبحان اللّه زنة عرشه ، سبحان اللّه مداد كلماته » رواه مسلم (١).

وفى الترمذى وسنن أبى داود ،عن سعد بن أبى وقاص: أنه دخل مع رسول اللّه ﷺ على امرأة بين يديها نوى أو حصى تسبّح بها ، فقال: « أخبرك بما هو أيسر عليك من هذا أو أفضل » فقال: « سبحان اللّه عدد ما خلق فى السماء ، وسبحان اللّه عدد ما خلق فى الأرض ، وسبحان اللّه عدد ما بين ذلك ، وسبحان اللّه عدد ما هو خالق ، واللّه أكبر مثل ذلك ، والحمد للّه مثل ذلك ، ولا إله إلا اللّه مثل ذلك ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه مثل ذلك » (٢).

النوع الثانى : الخبر عن الرب تعالى بأحكام أسمائه وصفاته ، نحو قولك : اللّه عز وجل يسمع أصوات عباده ، ويرى حركاتهم ، ولا تخفى عليه خافية من أعمالهم ، وهو أرحم بهم من آبائهم وأمهاتهم ،وهو على كل شىء قدير ، وهو أفرح بتوبة عبده من الفاقد راحلته الواجد ونحو ذلك .

وأفضل هذا النوع : الثناء عليه بما أثنى به على نفسه،وبما أثنى به عليه رسول اللّه ﷺ من غير تحريف ولا تعطيل ومن غير تشبيه ولا تمثيل . وهذا النوع أيضاً ثلاثة أنواع :حمدٌ ، وثناءٌ ، ومجدٌ .

فالحمد للّه الإخبار عنه بصفات كماله سبحانه وتعالى ، مع محبته والرضا به فلا يكون المحب الساكت حامداً،ولا المثنى بلا محبة حامداً حتى تجتمع له المحبة والثناء،فإن كرر المحامد شيئا بعد شىء كانت ثناءً،فإن كان المدح بصفات الجلال العظمة والكبرياء والملك كان مجداً.

وقد جمع اللّه تعالى لعبده الأنواع الثلاثة فى أول الفاتحة:« فإذا قال العبد: ﴿ **الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ** ﴾ قال اللّه: حمدنى عبدى،وإذا قال: ﴿ **الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ** ﴾ قال: أثنى علىّ عبدى، وإذا قال: ﴿ **مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ** ﴾ قال: مجدنى عبدى » (٣) .

النوع الثانى ـ من الذكر:

ذكر أمره ونهيه وأحكامه ،وهو أيضًا نوعان :

أحدهما : ذكره بذلك إخباراً عنه بأنه أمر بكذا ،ونهى عن كذا، وأحب كذا ،وسخط

---

(١) مسلم (٢٧٢٦ / ٧٩) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: التسبيح أول النهار وعند النوم .

(٢) انظر : تخريجه فى الصفحة السابقة رقم (٢) .

(٣) جزء حديث رواه مسلم (٣٩٥ / ٣٨) فى الصلاة ، باب : وجوب قراءة الفاتحة فى كل ركعة ومالك ١/ ٨٤، ٨٥ (٣٩) فى الصلاة ، باب : القراءة خلف الإمام .

كذا ، ورضى كذا .

والثانى :ذكره عند أمره ،فيبادر إليه ، وعند نهيه فيهرب منه ، فذكر أمره ونهيه شيء، وذكره عند أمره ونهيه شيء آخر، فإذا اجتمعت هذه الأنواع للذاكر فذكره أفضل الذكر وأجلُّه وأعظمه فائدة .

فهذا الذكر من الفقه الأكبر ،وما دونه أفضل الذكر إذا صحت فيه النية .

ومن ذكره سبحانه وتعالى : ذكر آلائه وإنعامه وإحسانه وأياديه، ومواقع فضله على عبيده،وهذا أيضاً من أجل أنواع الذكر.

فهذه خمسة أنواع :

وهى تكون بالقلب واللسان تارة ،وذلك أفضل الذكر .

وبالقلب وحده تارة ، وهى الدرجة الثانية .

وباللسان وحده تارة ، وهى الدرجة الثالثة .

فأفضل الذكر : ما تواطأ عليه القلب واللسان، وإنما كان ذكر القلب وحده أفضل من ذكر اللسان وحده،لأن ذكر القلب يثمر المعرفة ، ويهيج المحبة ، ويثير الحياء ، ويبعث على المخافة،ويدعو إلى المراقبة،ويزع عن التقصير فى الطاعات،والتهاون فى المعاصى والسيئات، وذكر اللسان وحده لا يوجب شيئاً من هذه الآثار ،وإن أثمر شيئاً منها ، فثمرة ضعيفة (١).

فصل
فى حكم رفع الصوت بالذكر

رفع الأصوات بالذكر المشروع مكروه إلا حيث جاءت به السنة كالأذان والتلبية ، وفى الصحيح عن أبى موسى قال: « كنا مع رسول الله ﷺ ـ فى سفر ، فكنا إذا علونا ارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال : « يا أيها الناس ، اربعوا على أنفسكم فإنكم لا تدعون أصم ولا غائباً ، إنما تدعون سميعا قريباً،إن الذى تدعونه أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته » (٢) وقد قال تعالى : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ﴿٥٥﴾ ﴾ [الأعراف] ، وقال :

---

(١) الوابل الصيب (١٧٨ ـ ١٨١) .

(٢) البخارى (٦٣٨٤) فى الدعوات ، باب : الدعاء إذا علا عقبة ، ومسلم (٤ ٢٧٠٤ / ٤٤) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار باب : استحباب خفض الصوت بالذكر ، وأبو داود (١٥٢٨) فى الصلاة ، باب : فى الاستغفار ، وأحمد ٤ / ٣٩٤ .

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ ﴿٢٠٥﴾﴾[الأعراف]، وقال تعالى: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ﴿٣﴾﴾[مريم]، وقال الحسن البصرى :« رفع الصوت بالدعاء بدعة » ونص عليه الإمام أحمد وغيره ، وقال قيس بن عباد من كبار التابعين: « كانوا يستحبون خفض الصوت عند الذكر وعند الجنائز وعند القتال» وهذه المواطن الثلاث تطلب فيها النفوس الحركة الشديدة عند الذكر والدعاء لما فيه من الحلاوة ومحبة ذكر الله ودعائه وعند الجنائز بالحزن والبكاء وعند القتال بالغضب والحمية .

ومضرة رفع الصوت بذلك أعظم من منفعته ، بل قد يكون ضرراً محضا وإن كانت النفس تشتفى به ، وتبرأ النبى ﷺ من الصالقة ـ وهى التى ترفع صوتها بالمصيبة ـ فكيف بالمغنية التى ترفع صوتها بالغناء ، وأما القتال فالسنة فيه أيضا خفض الصوت .

وأما هذه الدبادب والأبواق والطبول فإنها لم تكن على عهد الخلفاء الراشدين ولا من بعدهم من أمراء المسلمين ، وإنما حدثت من جهة بعض ملوك المشرق من أهل فارس ، وانتشرت فى الأرض وتداولها الملوك حتى ربا فيها الصغير وهرم عليها الكبير لا يعرفون غير ذلك وينكرون على من ينكره .

ويزعم بعض الجهال أن هذا من إحداث عثمان وليس الأمر كذلك ، بل ولا من فعل من بعده من الخلفاء، وإنما ورثته الأمة من الأعاجم ولم يكن منه بد تحقيقاً لقول النبى ﷺ: « لتأخذن أمتى مأخذ الأمم قبلها شبرا بشبر وذراعاً بذراع » فقالوا : فارس والروم قال : « ومن الناس إلا هؤلاء » [١] وكما فى الحديث الآخر : « لتركبن سنن من كان قبلكم حذو القذة بالقذة ،حتى لو دخلوا حجر ضب لدخلتموه » قالوا: يا رسول الله، اليهود النصارى؟ قال :« فمن » [٢] والحديثان فى الصحيح، فأخبر أنه لا بد من أن يكون فى الأمة من يتشبه باليهود والنصارى وبفارس والروم.

وظهور هذا الشبه فى الطوائف إنما يعرفه من عرف الحق وضده وعرف الواجب الواقع، وطابق بين هذا وهذا ،ووازن بين ما عليه الناس اليوم وبين ما كان عليه السلف الصالح، فإذا كان رفع الصوت فى مواطن العبادات بالذكر والدعاء الذى يحبه الله ويرضاه بدعة مكروهة لا يتقرب بها إلى الله ، فكيف يكون رفعه بالغناء الذى هو قرآن الشيطان قربة وطاعة ،وقد سماه النبى ﷺ صوتا ،فاجرا أحمق ونهى عنه[٣] .

---

(١) الكلام فى مسألة السماع (٣٤٨ ـ ٣٥١) .

(٢) البخارى (٧٣١٩) فى الاعتصام بالكتاب والسنة ، باب : قول النبى ﷺ : « التتبعن سنن من كان قبلكم » .

(٣) أحمد ٤ / ١٢٥ ، والطبرانى فى الكبير ٧ / ٢٨١ (٧١٤٠) وقال الهيثمى فى المجمع (٧ / ٢٦٤) فى الفتن ، باب فى اتباع سنن من مضى : « ورجاله مختلف فيهم » .

فصل
فى أن القرآن والدعاء من أقوى الأسباب فى حصول المطلوب ودفع المكروه

وقد أخبر ـ سبحانه ـ عن القرآن أنه شفاء ، فقال تعالى: ﴿ وَلَوْ جَعَلْنَاهُ قُرْآنًا أَعْجَمِيًّا لَقَالُوا لَوْلَا فُصِّلَتْ آيَاتُهُ أَأَعْجَمِيٌّ وَعَرَبِيٌّ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ آمَنُوا هُدًى وَشِفَاءٌ ﴾[فصلت: ٤٤]، وقال: ﴿وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقُرْآنِ مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴾ [الإسراء: ٨٢] .

و﴿ مِن ﴾ ها هنا لبيان الجنس لا للتبعيض ؛ فإن القرآن كله شفاء ،كما قال فى الآية المتقدمة، فهو شفاء للقلوب من داء الجهل الشك والريب ، فلم ينزل الله تعالى من السماء شفاء قط أعم ولا أنفع ولا أعظم ولا أنجع فى إزالة الداء من القرآن .

وقد ثبت فى الصحيحين من حديث أبى سعيد قال: « انطلق نفر من أصحاب النبى ﷺ فى سفرة سافروها ، حتى نزلوا على حى من أحياء العرب فاستضافوهم ، فأبوا أن يضيفوهم. فلدغ سيد ذلك الحى ، فسعوا له بكل شىء لا ينفعه شىء ، فقال بعضهم: لو أتيتم هؤلاء الرهط الذين نزلوا ، لعله أن يكون عند بعضهم شىء ،فأتوهم، فقالوا : يا أيها الرهط ، إن سيدنا لدغ ، وسعينا له بكل شىء لا ينفعه شىء . فهل عند أحد منكم من شىء ؟ فقال بعضهم : والله إنى لأرقى ،ولكن والله لقد استضفناكم فلم تُضيفونا ،فما أنا براق لكم حتى تجعلوا لى جُعلا ، فصالحوهم على قطيع من الغنم،فانطلق يتفل عليه ويقرأ ﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴾ [الفاتحة :٢] فكأنما نشط من عقال. فانطلق يمشى ،وما به قلبة. فأوفوهم جعلهم الذى صالحوهم عليه . فقال بعضهم : اقتسموا ، فقال الذى رقى: لا نفعل حتى نأتى النبى ﷺ فنذكر له الذى كان، فننظر ما يأمرنا. فقدموا على رسول الله ﷺ، فذكروا له ذلك. فقال: «وما يدريك أنها رُقية ؟ » ثم قال : « قد أصبتم ، اقتسموا واضربوا لى معكم سهما » (١).

فقد أثر هذا الدواء فى هذا الداء وأزاله حتى كأنه لم يكن،وهو أسهل دواء وأيسره، ولو أحسن العبد التداوى بالفاتحة لرأى لها تأثيرا عجيباً فى الشفاء .

ومكثت بمكة مدة يعترينى أدواء ولا أجد طبيبًا ولا دواء ،فكنت أعالج نفسى بالفاتحة ، فأرى لها تأثيراً عجيبًا ، فكنت أصف ذلك لمن يشتكى ألما، فكان كثير منهم يبرأ سريعاً .

---

(١) البخارى (٢٢٧٦) فى الإجارة ، باب : ما يعطى فى الرقية على أحياء العرب بفاتحة الكتاب ، ومسلم (٢٢٠١/ ٦٥) فى السلام ، باب : جواز أخذ الأجرة على الرقية بالقرآن والأذكار .

ولكن هاهنا أمر ينبغى التفطن له ، وهو أن الأذكار والآيات أو الأدعية التى يستشفى بها ويرقى بها ، هى فى نفسها نافعة شافية .ولكن تستدعى قبول المحل ،وقوة همة الفاعل؛ وتأثيره ، فمتى تخلف الشفاء كان لضعف تأثير الفاعل ،أو لعدم قبول المنفعل ،أو لمانع قوى فيه يمنع أن ينجع فيه الدواء . كما يكون ذلك فى الأدوية والأدواء الحسية؛ فإن عدم تأثيرها قد يكون لعدم قبول الطبيعة لذلك الدواء ،وقد يكون لمانع قوى يمنع من اقتضائه أثره،فإن الطبيعة إذا أخذت الدواء بقبول تام كان انتفاع البدن به بحسب ذلك القبول. فكذلك القلب إذا أخذ الرقى والتعاويز بقبول تام ، وكان للراقى نفس فعالة مؤثرة؛ أثر فى إزالة الداء.

وكذلك الدعاء ، فإنه من أقوى الأسباب فى دفع المكروه وحصول المطلوب ، لكن قد يتخلف عنه أثره ،إما لضعفه فى نفسه ـ بأن يكون دعاء لا يحبه اللّه ،لما فيه من العدوان ـ وإما لضعف القلب وعدم إقباله على اللّه وجمعيته عليه وقت الدعاء ،فيكون بمنزلة القوس الرخو جدا ،فإن السهم يخرج منه خروجًا ضعيفا ،وإما لحصول المانع من الإجابة: من أكل الحرام،والظلم،ورين الذنوب على القلوب،واستيلاء الغفلة والسهو واللهو وغلبتها عليها .

كما فى مستدرك الحاكم من حديث أبى هريرة عن النبى ﷺ قال: «ادعوا اللّه وأنتم موقنون بالإجابة ،واعلموا أن اللّه لا يقبل دعاء من قلب غافل لاه » (١).

فهذا دواء نافع مزيل للداء ،ولكن غفلة القلب عن الله تبطل قوته ،وكذلك أكل الحرام يبطل قوته ويضعفها .

كما فى « صحيح مسلم» من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: « أيها الناس، إن اللّه طيب ،لا يقبل إلا طيبا ، وإن الله أمر المؤمنين بما أمر به المرسلين ، فقال: ﴿ يَا أَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ﴿٥١﴾ ﴾[المؤمنون] ، وقال : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ ﴾[البقرة: ١٧٢] ، ثم ذكر الرجل يطيل السفر أشعث أغبر ، يمد يديه إلى السماء : يا رب، يا رب ، يا رب، ومطعمه حرام ، ومشربه حرام، وملبسه حرام ،وغذى بالحرام ، فأنى يُستجاب لذلك ؟» (٢).

وذكر عبد اللّه بن الإمام أحمد فى كتاب « الزهد » لأبيه: « أصاب بنى إسرائيل بلاء ، فخرجوا مخرجاً ،فأوحى الله عز وجل إلى نبيهم أن أخبرهم : أنكم تخرجون إلى الصعيد

---

(١) الحاكم فى المستدرك (١ / ٤٩٣) فى الدعاء ، باب : لا يقبل الله دعاء من قلب غافل لاه ، وقال : «مستقيم الإسناد » وتعقبه الذهبى فقال : « صالح متروك » .

(٢) مسلم (١٠١٥ / ٦٥) فى الزكاة،باب : قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها .

بأبدان نجسه ،وترفعون إلى أكفاً قد سفكتم بها الدماء،وملأتم بها بيوتكم من الحرام ،الآن حين اشتد غضبى عليكم ؟ ولن تزدادوا منى إلا بعداً » .

وقال أبو ذر : يكفى من الدعاء مع البر ، ما يكفى الطعام من الملح.

والدعاء من أنفع الأدوية ،وهو عدو البلاء ، يدافعه ويعالجه،ويمنع نزوله، ويرفعه ، أو يخففه إذا نزل ،وهو سلاح المؤمن .

كما روى الحاكم فى صحيحه من حديث على بن أبى طالب ﷺ قال:قال رسول الله: «الدعاء سلاح المؤمن ،وعماد الدين ،ونور السموات والأرض » (١).

وله مع البلاء ثلاث مقامات :

أحدها : أن يكون أقوى من البلاء فيدفعه .

الثانى : أن يكون أضعف من البلاء فيقوى عليه البلاء ،فيصاب به العبد ،ولكن قد يخففه ،وإن كان ضعيفاً .

الثالث : أن يتقاوما ويمنع كل واحد منهما صاحبه .

وقد روى الحاكم فى صحيحه من حديث عائشة ﷺ،قالت:قال لى رسول الله ﷺ : « لا يغنى حذر من قدر، والدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ،وإن البلاء لينزل فيلقاه الدعاء فيعتلجان إلى يوم القيامة » (٢).

وفيه أيضاً من حديث ابن عمر عن النبى ﷺ قال:« الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل فعليكم عباد الله بالدعاء »(٣) .

وفيه أيضًا من حديث ثوبان عن النبى ﷺ:« لا يرد القدر إلا الدعاءُ ،ولا يزيد فى العمر إلا البر ،وإن الرجل ليحرم الرزق بالذنب يصيبه » (٤) (٥) .

---

(١) الحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٢) فى الدعاء ، باب: الدعاء سلاح المؤمن وعماد الدين ، وقال: « صحيح ، فإن محمد بن الحسن هذا هو التل ،وهو صدوق فى الكوفيين » ووافقه الذهبى .

(٢) الحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٢) فى الدعاء ،باب :الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل ،وقال :« صحيح الإسناد »، وتعقبه الذهبى فقال :« زكريا مجمع على ضعفه » .

(٣) الحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٣) فى الدعاء ، باب :الدعاء ينفع مما نزل ومما لم ينزل وسكت عنه وتعقبه الذهبى فقال :« عبد الرحمن واه » .

(٤) الحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٣) فى الدعاء ، باب : لا يرد القدر إلا الدعاء ، وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ووافقه الذهبى .

(٥) الداء والدواء (١٩ ـ ٢٥) .

وأيضًا

الدعاء من أقوى الأسباب ، إذا قدر وقوع المدعو به بالدعاء لم يصح أن يقال: لا فائدة فى الدعاء ،كما لا يقال: لا فائدة فى الأكل والشرب وجميع الحركات والأعمال. وليس شىء من الأسباب أنفع من الدعاء ،ولا أبلغ فى حصول المطلوب .

ولما كان الصحابة ﷺ أعلم الأمة بالله ورسوله ﷺ وأفقههم فى دينه ،كانوا أقوم بهذا السبب وشروطه وآدابه من غيرهم .

وكان عمر بن الخطاب ﷺ يستنصرون به على عدوه ، وكان أعظم جنديه ، وكان يقول لأصحابه : « لستم تنصرون بكثرة ،وإنما تنصرون من السماء »،وكان يقول: « إنى لا أحمل هم الإجابة ولكن هم الدعاء ، فإذا ألهمتم الدعاء فإن الإجابة معه ، وأخذ الشاعر هذا المعنى فنظمه ، فقال :

لو لم ترد نيل ما أرجو وأطلبه من جود كفيك ما عودتنى الطلبا

فمن ألهم الدعاء فقد أريد به الإجابة ،فإن اللّه سبحانه يقول: ﴿ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] ، وقال: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾

[البقرة: ١٨٦]

وفى سنن ابن ماجه من حديث أبى هريرة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « من لم يسأل اللّه يغضب عليه » (١).

وهذا يدل على أن رضاءه فى سؤاله وطاعته .وإذا رضى الرب تبارك وتعالى فكل خير فى رضاه ، كما أن كل بلاء ومعصية فى غضبه .

وقد ذكر الإمام أحمد فى « كتاب الزهد » أثرا :« أنا الله ،لا إله إلا أنا ، إذا رضيت باركت ، وليس لبركتى منتهى ، وإذا غضبت لعنت ، ولعنتى تبلغ السابع من الولد » .

ولقد دل العقل والنقل والفطرة وتجارب الأمم ـ على اختلاف أجناسها ومللها ونحلها ـ على أن التقرب إلى رب العالمين ، وطلب مرضاته ، والبر والإحسان إلى خلقه من أعظم الأسباب الجالبة لكل خير وأضدادها من أكبر الأسباب الجالبة لكل شر ، فما استجلبت نعم الله تعالى واستدفعت نقمته بمثل طاعته والتقرب إليه ، والإحسان إلى خلقه (٢) .

---

(١) ابن ماجه (٣٨٢٧) فى الدعاء ، باب : فضل الدعاء بلفظ : « من لم يدع الله يغضب عليه ».

(٢) الداء والدواء (٣٧ ـ ٣٩) .

فصل
فى آداب دعاء العبادة ودعاء المسألة

قوله عز وجل : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥) وَلا تُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ بَعْدَ إِصْلاحِهَا وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ (٥٦) ﴾ [الاعراف] هاتان الآيتان مشتملتان على آداب نوعى الدعاء: دعاء العبادة ودعاء المسألة ، فإن الدعاء فى فى القرآن يراد به هذا تارة وهذا تارة ،ويراد به مجموعهما وهما متلازمان . فإن دعاء المسألة : هو طلب ما ينفع الداعى ،وطلب كشف ما يضره أو دفعه ، وكل من يملك الضر والنفع فإنه هو المعبود حقا ، والمعبود لا بد وأن مالكا للنفع والضر ؛ ولهذا أنكر الله تعالى على عبد من دونه مالا يملك ضرا ولا نفعا ، وذلك كثير فى القرآن كقوله تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَضُرُّهُمْ وَلا يَنفَعُهُم ﴾ [يونس:١٨]،وقوله تعالى: ﴿وَلا تَدْعُ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكَ وَلا يَضُرُّكَ ﴾[يونس:١٠٦] ،وقوله تعالى: ﴿ قُلْ أَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَمْلِكُ لَكُمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَاللَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٧٦) ﴾[المائدة]،وقوله تعالى: ﴿ أَفَتَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُكُمْ شَيْئًا وَلايَضُرُّكُمْ (٦٦) أُفٍّ لَكُمْ وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ﴾ [الأنبياء] ، وقوله تعالى : ﴿ وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ إِبْرَاهِيمَ (٦٩) إِذْ قَالَ لأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ (٧٠) قَالُوا نَعْبُدُ أَصْنَامًا فَنَظَلُّ لَهَا عَاكِفِينَ (٧١) قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ إِذْ تَدْعُونَ (٧٢) أَوْ يَنفَعُونَكُمْ أَوْ يَضُرُّونَ (٧٣) ﴾ [الشعراء] ، وقوله تعالى: ﴿ وَاتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً لا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلا يَمْلِكُونَ لأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلا نَفْعًا وَلا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلا حَيَاةً وَلا نُشُورًا (٣) ﴾[الفرقان] ، وقال تعالى : ﴿ وَيَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ مَا لا يَنفَعُهُمْ وَلا يَضُرُّهُمْ وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَىٰ رَبِّهِ ظَهِيرًا (٥٥) ﴾ [الفرقان]، فنفى سبحانه عن هؤلاء المعبودين من دونه النفع والضر القاصر والمتعدى فلا يملكونه لأنفسهم ولا لعابديهم ، وهذا فى القرآن كثير بين أن المعبود لا بد أن يكون مالكا للنفع والضر ، فهو يدعى للنفع والضر دعاء المسألة ويدعى خوفاً ورجاء دعاء العبادة .

فعلم أن النوعين متلازمان ، فكل دعاء عبادة مستلزم لدعاء المسألة ، وكل دعاء مسألة متضمن لدعاء العبادة وعلى هذا فقوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾ [البقرة: ١٨٦] يتناول نوعى الدعاء ،وبكل منهما فسرت الآية ، قيل:أعطيه إذا سألنى ، وقيل : أثيبه إذا عبدنى،والقولان متلازمان ، وليس هذا من

استعمال اللفظ المشترك فى معنييه كليهما ،أو استعمال اللفظ فى حقيقته ومجازه ،بل هذا استعمال له فى حقيقته الواحدة المتضمنة للأمرين جميعاً فتأمله،فإنه موضع عظيم النفع قل من يفطن له،وأكثر ألفاظ القرآن الدالة على معنيين فصاعدا هى من هذا القبيل ، ومثال ذلك قوله: ﴿أَقِمِ الصَّلَاةَ لِدُلُوكِ الشَّمْسِ إِلَىٰ غَسَقِ اللَّيْلِ﴾ [الإسراء: ٧٨] ، فسر الدلوك : بالزوال ، وفسر بالغروب : وحكيا قولين فى كتب التفسير وليسا بقولين ، بل اللفظ يتناولهما معا ،فإن الدلوك : هو الميل ، ودلوك الشمس ميلها؛ ولهذا الميل مبدأ ومنتهى، فمبدؤه الزوال ومنتهاه الغروب ، فاللفظ متناول لهما بهذا الاعتبار لا بتناول المشترك لمعنييه ولا اللفظ لحقيقته ومجازه ، ومثاله أيضا تفسير الغاسق بالليل والقمر وإن ذلك ليس باختلاف بل يتناولهما لتلازمهما فإن القمر آية الليل ونظائره كثيرة .

ومن ذلك قوله عز وجل: ﴿ قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ ﴾[الفرقان:٧٧]، قيل: لولا دعاؤكم إياه ، وقيل : دعاؤه إياكم إلى عبادته،فيكون المصدر مضافا إلى المفعول ، وعلى الأول مضافا إلى الفاعل وهو الأرجح من القولين ، وعلى هذا فالمراد به نوعا الدعاء وهو فى دعاء العبادة أظهر،أى ما يعبؤ بكم ربى لولا أنكم تعبدونه .وعبادته تستلزم مسألته، فالنوعان داخلان فيه .

ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ﴾[غافر: ٦٠]، فالدعاء يتضمن النوعين وهو فى دعاء العبادة أظهر ،ولهذا عقبه بقوله: ﴿ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾﴾ [غافر]، فسر الدعاء فى الآية بهذا وهذا ، وقد روى سفيان عن منصور،عن ذر،عن نسيع الكندى ، عن النعمان بن بشير قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول على المنبر : « إن الدعاء هو العبادة » ثم قرأ : ﴿ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ . إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴿٦٠﴾ ﴾ رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح[1] .وأما قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ لَن يَخْلُقُوا ذُبَابًا وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ ﴾ [الحج :٧٣] ،وقوله: ﴿ إِن يَدْعُونَ مِن دُونِهِ إِلَّا إِنَاثًا ﴾ [النساء: ١١٧]، وقوله: ﴿وَضَلَّ عَنْهُم مَّا كَانُوا يَدْعُونَ مِن قَبْلُ ﴾ [فصلت: ٤٨] ،وكل موضع ذكر فيه دعاء المشركين لأصنامهم وآلهتهم، فالمراد به دعاء العبادة المتضمن دعاء المسألة، فهو فى دعاء العبادة أظهر لوجوه ثلاثة :

---

(١) الترمذى (٣٣٧٢) فى الدعوات ، باب : ما جاء فى فضل الدعاء .

أحدها : أنهم قالوا: إنما نعبدهم ليقربونا إلى الله زلفى فاعترفوا بأن دعاءهم إياهم هو عبادتهم لهم .

الثانى : أن اللّه تعالى فسر هذا الدعاء فى مواضع أخر بأنه العبادة كقوله: ﴿ **وَقِيلَ لَهُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ تَعْبُدُونَ (٩٢) مِن دُونِ اللَّهِ هَلْ يَنصُرُونَكُمْ أَوْ يَنتَصِرُونَ (٩٣)** ﴾ [الشعراء] وقوله : ﴿ **إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ** ﴾ [الأنبياء: ٩٨]، وقوله: ﴿**قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ (١) لا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ (٢)** ﴾[الكافرون]، وهو كثير فى القرآن، فدعاؤهم لآلهتهم هو عبادتهم لها.

الثالث : أنهم إنما كانوا يعبدونها ويتقربون بها إلى اللّه ، فإذا جاءتهم الحاجات والكربات والشدائد دعوا اللّه وحده وتركوها ، ومع هذا فكانوا يسألونها بعض حوائجهم، ويطلبون منها ، وكان دعاؤهم لها دعاء عبادة ودعاء مسألة .

وقوله تعالى: ﴿ **فَادْعُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ** ﴾ [غافر: ١٤] هو دعاء العبادة والمعنى : اعبدوه وحده وأخلصوا عبادته ، لا تعبدوا معه غيره .

وأما قول إبراهيم الخليل ﷺ: ﴿ **إِنَّ رَبِّي لَسَمِيعُ الدُّعَاءِ (٣٩)** ﴾ [إبراهيم] فالمراد بالسمع هنا السمع الخاص وهو سمع الإجابة والقبول لا السمع العام، لأنه سميع لكل مسموع ، وإذا كان كذلك فالدعاء هنا يتناول دعاء الثناء ودعاء الطلب وسمع الرب تبارك وتعالى له إثابته على الثناء وإجابته للطلب ، فهو سميع لهذا وهذا .

وأما قول زكريا : ﴿**وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ رَبِّ شَقِيًّا (٤)** ﴾ [مريم] فقد قيل : إنه دعاء المسألة، والمعنى : إنك عودتنى إجابتك وإسعافك ولم تشقنى بالرد والحرمان ، فهو توسل إليه تعالى بما سلف من إجابته وإحسانه ،كما حكى أن رجلا سأل رجلا وقال: أنا الذى أحسنتَ إليَّ وقت كذا وكذا ، فقال: مرحبا بمن توسل إلينا بنا ، وقضى حاجته ، وهذا ظاهر ههنا ويدل عليه أنه قدم ذلك أمام طلبه الولد ، وجعله وسيلة إلى ربه ، فطلب منه أن يجاريه على عادته التى عوده من قضاء حوائجه وإجابته إلى ما سأله .

وأما قوله تعالى: ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَى** ﴾ [الإسراء: ١١٠] ، فهذا الدعاء المشهور ، وأنه دعاء المسألة ، وهو سبب النزول قالوا: كان النبى ﷺ يدعو ربه فيقول مرة : يا الله ، ومرة : يا رحمن فظن الجاهلون من المشركين أنه يدعو إلهين ، فأنزل اللّه تعالى هذه الآية ، قال ابن عباس: سمع المشركون النبى ﷺ يدعو فى سجوده يا رحمن ، يا رحيم ، فقالوا : هذا يزعم أنه يدعو واحدا ، وهو يدعو مثنى مثنى ، فأنزل اللّه هذه الآية : ﴿ **قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ** ﴾، وقيل: إن الدعاء ههنا بمعنى التسمية ، كقولهم دعوت ولدى سعيدا ، وادعه بعبد اللّه ونحوه. والمعنى: سموا اللّه أو سموا الرحمن ، فالدعاء ههنا بمعنى التسمية ،وهذا قول الزمخشرى. والذى حمله على

هذا قوله: ﴿ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى﴾، فإن المراد بتعدده معنى أى وعمومها ههنا تعدد الأسماء ليس إلا ،والمعنى . أى اسم سميتموه به من أسماء اللّه تعالى إما اللّه وإما الرحمن فله الأسماء الحسنى ، أى فللمسمى سبحانه الأسماء الحسنى ،والضمير فى (له) يعود إلى المسمى ، فهذا الذى أوجب له أن يحمل الدعاء فى هذه الآية على التسمية ،وهذا الذى قاله هو من لوازم المعنى المراد بالدعاء فى الآية ، وليس هو عين المراد ، بل المراد بالدعاء معناه المعهود المطرد فى القرآن ،وهو دعاء السؤال ودعاء الثناء ،ولكنه متضمن معنى التسمية ، فليس المراد مجرد التسمية الخالية عن العبادة والطلب، بل التسمية الواقعة فى دعاء الثناء والطلب ، فعلى هذا المعنى يصح أن يكون فى (تدعوا) معنى: تسموا ، فتأمله .والمعنى: أياما تسموا فى ثنائكم ودعائكم وسؤالكم واللّه أعلم .

وأما قوله تعالى :﴿ إِنَّا كُنَّا مِن قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾﴾ [الطور] ، فهذا دعاء العبادة المتضمن للسؤال رغبة ورهبة ، والمعنى : إنا كنا من قبل نخلص له العبادة ، وبهذا استحقوا أن وقاهم عذاب السموم لا بمجرد السؤال المشترك بين الناجى وغيره ،فإن اللّه ـ سبحانه ـ يسأله من فى السموات ومن فى الأرض ،والفوز والنجاة إنما هى بإخلاص العبادة لا بمجرد السؤال والطلب ،وكذلك قول الفتية أصحاب الكهف: ﴿ رَبُّنَا رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَهًا ﴾ [الكهف:١٤] أى: لن نعبد غيره،وكذلك قوله تعالى: ﴿ أَتَدْعُونَ بَعْلًا وَتَذَرُونَ أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ ﴿١٢٥﴾ ﴾[الصافات] ،وأما قوله تعالى: ﴿وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ وَرَأَوُا الْعَذَابَ لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَهْتَدُونَ ﴿٦٤﴾﴾ [القصص] فهذا من دعاء المسألة يبكتهم اللّه عز وجل ويخزيهم يوم القيامة بإراءتهم أن شركاءهم لا يستجيبون لدعوتهم، وليس المراد :اعبدوهم ،وهو نظير قوله تعالى: ﴿ وَيَوْمَ يَقُولُ نَادُوا شُرَكَائِيَ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ ﴾[الكهف: ٥٢].

وهذا التقرير نافع فى مسألة الصلاة وأنها :هل نقلت عن مسماها فى اللغة فصارت حقيقة شرعية منقولة ،أو استعملت فى هذه العبادة مجازا للعلاقة بينها وبين المسمى اللغوى، أو هى باقية على الوضع اللغوى وضم إليها أركان وشرائط ؟ وعلى ما قررناه لا حاجة إلى شىء من ذلك ، فإن المصلى من أول صلاته إلى آخرها لا ينفك عن دعاء،إما دعاء عبادة وثناء أو دعاء طلب ومسأله ، وهو فى الحالين داع ، فما خرجت الصلاة عن حقيقة الدعاء ، فتأمله، إذا عرف هذا فقوله تعالى: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف:٥٥] يتناول نوعى الدعاء لكنه ظاهر فى دعاء المسألة متضمن دعاء العبادة ؛ ولهذا أمر بإخفائه وإسراره . قال الحسن : بين دعوة السر ودعوة العلانية سبعون ضعفاً ، ولقد كان المسلمون يجتهدون فى الدعاء وما يسمع لهم صوت إن كان إلا همسا بينهم وبين ربهم،

وذلك أن اللّه تعالى يقول: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ وإن اللّه ذكر عبدا صالحا ورضى بفعله فقال: ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا ۝٣﴾ [مريم] (١) .

فصل
فى أنفع الدعـاء

الناس فى هذين الأصلين ـ وهما العبادة والاستعانة ـ أربعة أقسام .

أجلها وأفضلها: أهل العبادة والاستعانة باللّه عليها ،فعبادة اللّه غاية مرادهم ، وطلبهم منه أن يعينهم عليها ،ويوفقهم للقيام بها ؛ ولهذا كان من أفضل ما يُسأل الرب تبارك وتعالى: الإعانة على مرضاته ، وهو الذى علّمه النبى ﷺ لحبه معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: «يا معاذ ،واللّه إنى لأحبك ،فلا تنس أن تقول دبر كل صلاة : اللهم أعنى على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » (٢).

فأنفع الدعاء :طلب العون على مرضاته ،وأفضل المواهب: إسعافه بهذا المطلوب ، وجميع الأدعية المأثورة مدارها على هذا ،وعلى دفع ما يضاده ،وعلى تكميله وتيسير أسبابه. فتأملها .

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية قدس اللّه روحه: تأملت أنفع الدعاء: فإذا هو سؤال العون على مرضاته ، ثم رأيته فى الفاتحة فى: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥﴾ [الفاتحة]، ومقابل هؤلاء : القسم الثانى . وهم المعرضون عن عبادته والاستعانة به. فلا عبادة ولا استعانة ، بل إن سأله أحدهم واستعان به ، فعلى حظوظه وشهواته ، لا على مرضاة ربه وحقوقه ، فإنه ـ سبحانه ـ يسأله من فى السموات والأرض : يسأله أولياؤه وأعداؤه ، ويمدُّ هؤلاء وهؤلاء. وأبغض خلقه :عدوه إبليس ، ومع هذا فقد سأله حاجة فأعطاه إياها ، ومتعه بها ، ولكن لما لم تكن عوناً له على مرضاته ، كانت زيادة له فى شقوته ، وبعده عن اللّه وطرده عنه . وهكذا كل من استعان به على أمر وسأله إياه ، ولم يكن عوناً على طاعته : كان مبعداً له عن مرضاته ، قاطعًا له عنه ولا بد .

وليتأمل العاقل هذا فى نفسه وفى غيره. وليعلم أن إجابة اللّه لسائليه ليست لكرامة

---

(١) بدائع الفوائد (٣ / ٢ ـ ٦) .

(٢) سبق تخريجه ص ١٨٢ .

السائل عليه ، بل يسأله عبده الحاجة فيقضيها له ، وفيها هلاكه وشقوته . ويكون قضاؤها له من هوانه عليه ، وسقوطه من عينه. ويكون منعه منها لكرامته عليه ومحبته له . فيمنعه حماية وصيانة وحفظا ، لا بخلا، وهذا إنما يفعله بعبده الذى يريد كرامته ومحبته ويعامله بلطفه، فيظن ـ بجهله ـ أن اللّه لا يحبه ولا يكرمه ، ويراه يقضى حوائج غيره ، فيسىء ظنه بربه ، وهذا حشو قلبه ولا يشعر به . والمعصوم من عصمه اللّه ، والإنسان على نفسه بصيرة ، وعلامة هذا : حمله على الأقدار . وعتابه الباطن لها ، كما قيل :

وعاجز الرأى مضياع لفرصته حتى إذا فات أمر عاتب القدرا

فواللّه لو كشف عن حاصله وسره لرأى هناك معاتبة القدر واتهامه ، وأنه قد كان ينبغى أن يكون كذا وكذا ، ولكن ما حيلتى ، والأمر ليس إلىّ ؟ والعاقل خصم نفسه ، والجاهل خصم أقدار ربه .

فاحذر كل الحذر أن تسأله شيئاً معيناً خيرته وعاقبته مغيبة عنك ، وإذا لم تجد من سؤاله بدا ، فعلقه على شرط علمه تعالى فيه الخيرة ، وقدم بين يدى سؤالك الاستخارة، ولا تكن استخارة باللسان بلا معرفة ، بل استخارة من لا علم له بمصالحه ، ولا قدرة له عليها ،و لا اهتداء له إلى تفاصيلها ، ولا يملك لنفسه ضراً ولا نفعاً ، بل إن وكل إلى نفسه هلك كل الهلاك ، وانفرط عليه أمره .

وإذا أعطاك ما أعطاك بلا سؤال : تسأله أن يجعله عوناً لك على طاعته وبلاغاً إلى مرضاته، ولا يجعله قاطعاً لك عنه ،ولا مبعداً عن مرضاته ،ولا تظن أن عطاءه كل ما أعطى لكرامة عبده عليه؛ ولا منعه كل ما يمنعه لهوان عبده عليه، ولكن عطاؤه ومنعه ابتلاء وامتحان ،يمتحن بهما عباده ، قال اللّه تعالى: ﴿ **فَأَمَّا الإِنسَانُ إِذَا مَا ابْتَلاهُ رَبُّهُ فَأَكْرَمَهُ وَنَعَّمَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَكْرَمَنِ ﴿١٥﴾ وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ ﴿١٦﴾ كَلا** ﴾[الفجر] أى ليس كل من أعطيته ونعمته وخولته: فقد أكرمته ،وماذاك لكرامته على. ولكنه ابتلاء منى ، وامتحان له : أيشكرنى فأعطيه فوق ذلك ، أم يكفرنى فأسلبه إياه ، وأخوّل فيه غيره ؟ وليس كل من ابتليته فضيقت عليه رزقه ، وجعلته بقدر لا يفضل عنه ، فذلك من هوانه علىّ ، ولكنه ابتلاء وامتحان منى له : أيصبر ؟ فأعطيه أضعاف أضعاف ما فاته من سعة الرزق ، أم يتسخط ، فيكون حظه السخط .

فرد اللّه ـ سبحانه ـ على من ظن أن سعة الرزق إكرام ،و أن الفقر إهانة ، فقال : لم أبتل عبدى بالغنى لكرامته علىّ ، ولم أبتله بالفقر لهوانه علىّ . فأخبر أن الإكرام والإهانة لا يدوران على المال وسعة الرزق وتقديره، فإنه ـ سبحانه ـ يوسع على الكافر لا لكرامته،

ويقتِّر على المؤمن لا لإهانته ، إنما يكرم من يكرمه بمعرفته ومحبته وطاعته، ويهين من يهينه بالإعراض عنه ومعصيته ، فله الحمد على هذا وعلى هذا، هو الغنى الحميد . فعادت سعادة الدنيا والآخرة إلى ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ﴾[1] .

فصل
فى الأخذ بوسائل قبول الدعاء

لما كان سؤال اللّه الهداية إلى الصراط المستقيم أجل المطالب ونيله أشرف المواهب ، علم اللّه عباده كيفية سؤاله، وأمرهم أن يقدموا بين يديه حمده والثناء عليه وتمجيده ،ثم ذكر عبوديتهم وتوحيدهم فهاتان وسليتان إلى مطلوبهم: توسل إليه بأسمائه وصفاته، وتوسل إليه بعبوديته، وهاتان الوسيلتان لا يكاد يرد معهما الدعاء ويؤيدهما الوسيلتان المذكورتان فى حديثى الاسم الأعظم اللذين رواهما ابن حبان فى صحيحه والإمام أحمد والترمذى .

أحدهما : حديث عبد الله بن بريدة عن أبيه قال: سمع النبى ﷺ رجلا يدعو ويقول: اللهم إنى إسألك بأنى أشهد أنك اللّه الذى لا إله إلا أنت، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد. فقال: « والذى نفسى بيده ، لقد سأل اللّه باسمه الأعظم الذى إذا دعى به أجاب ،وإذا سئل به أعطى »[2] . قال الترمذى : حديث صحيح . فهذا توسل إلى اللّه بتوحيده وشهادة الداعى له بالوحدانية وثبوت صفاته المدلول عليها باسم «الصمد»، وهو كما قال ابن عباس : « العالم الذى كمل علمه ، القادر الذى كملت قدرته» .

وفى رواية عنه: « هو السيد الذى قد كمل فيه جميع أنواع السؤدد »،وقال أبو وائل: «هو السيد الذى انتهى سؤدده » وقال سعيد بن جبير : « هو الكامل فى جميع صفاته وأفعاله وأقواله » ،وبنفى التشبيه والتمثيل عنه بقوله: « ﴿وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص] ، وهذه ترجمة عقيدة أهل السنة والتوسل بالإيمان بذلك والشهادة به هو الاسم الأعظم .

والثانى : حديث أنس : أن رسول اللّه ﷺ سمع رجلاً يدعو : اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد لا إله إلا أنت المنّان ، بديع السموات والأرض ذا الجلال والإكرام يا حى يا قيوم فقال: « لقد سأل اللّه باسمه الأعظم »[3] . فهذا توسل إليه بأسمائه وصفاته ، وقد جمعت الفاتحة الوسيلتين ، وهما : التوسل بالحمد والثناء عليه وتمجيده ، والتوسل إليه بعبوديته

---

(١) مدارج السالكين (١/ ٧٨ ـ ٨٠) .

(٢، ٣) سبق تخريجهما ص ٢٤٣ .

وتوحيده ، ثم جاء سؤال أهم المطالب وأنجح الرغائب ـ وهو الهداية بعد الوسيلتين ، فالداعى به حقيق بالإجابة ونظير هذا دعاء النبى ﷺ الذى كان يدعو به إذا قام يصلى من الليل . رواه البخارى فى صحيحه من حديث ابن عباس : « اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد أنت الحق ، ووعدك حق ،ولقاؤك حق ، والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ، والساعة حق ، ومحمد حق . اللهم لك أسلمت ،و بك آمنت ،وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ،وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ،وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهى لا إله إلا أنت »[1] فذكر التوسل إليه بحمده والثناء عليه وبعبوديته له ثم سأله المغفرة [2].

وأيضا

إذا جُمع مع الدعاء حضور القلب وجمعيته بكليته على المطلوب ، وصادف وقتاً من أوقات الإجابة الستة وهى :

الثلث الأخير من الليل ، وعند الأذان ، وبين الأذان والإقامة ، وأدبار الصلوات المكتوبات ، وعند صعود الإمام يوم الجمعة على المنبر حتى تقضى الصلاة من ذلك اليوم ، وآخر ساعة بعد العصر .

وصادف خشوعاً فى القلب ،وانكساراً بين يدى الرب ، وذلاً له وتضرعا ورقة .

واستقبل الداعى القبلة .

وكان على طهارة .

ورفع يديه إلى الله .

وبدأ بحمد الله والثناء عليه .

ثم ثنى بالصلاة على محمد عبده ورسوله .

ثم قدّم بين يدى حاجته التوبة والاستغفار .

ثم دخل على الله ، وألح عليه المسألة ، وتملقه ودعاه رغبة ورهبة .

وتوسّل إليه بأسمائه وصفاته وتوحيده .

وقدّم بين يدى دعائه صدقة ، فإن هذا الدعاء لا يكاد يرد أبدا .

---

(١) البخارى (١١٢٠) فى التهجد ، باب: التهجد بالليل . (٢) مدارج السالكين (١ / ٢٣) .

ولا سيما إن صادف الأدعية التى أخبر النبى ﷺ أنها مظنة الإجابة ، أو أنها متضمنة للاسم الأعظم .

فمنها ما فى السنن وصحيح ابن حبان من حديث عبد اللّه بن بريدة عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ سمع رجلا يقول: اللهم إنى أسألك بأنى أشهد أنك أنت اللّه لا إله إلا أنت ، الأحد الصمد الذى لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد . فقال: « لقد سأل اللّه بالاسم الذى إذا سُئل به أعطى ، وإذا دعى به أجاب » وفى لفظ: « لقد سألت اللّه باسمه الأعظم »[١].

فى السنن وصحيح ابن حبان أيضاً من حديث أنس بن مالك: أنه كان مع رسول اللّه ﷺ جالسا ورجل يصلى ، ثم دعا فقال: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت المنان بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حى يا قيوم . فقال النبى ﷺ : « لقد دعا اللّه باسمه العظيم ، الذى إذا دعى به أجاب ، وإذا سئل به أعطى »[٢].

وأخرج الحديثين الإمام أحمد فى مسنده .

وفى جامع الترمذى ، من حديث أسماء بنت يزيد أن النبى ﷺ قال: « اسم اللّه الأعظم فى هاتين الآيتين : ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿١٦٣﴾﴾ [البقرة] وفاتحة آل عمران ﴿الٓمٓ ﴿١﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴿٢﴾﴾ » وقال الترمذى : هذا حديث حسن صحيح[٣].

وفى مسند الإمام أحمد وصحيح الحاكم من حديث أبى هريرة وأنس بن مالك وربيعة ابن عامر عن النبى ﷺ أنه قال: « ألظُّوا بياذا الجلال الإكرام »[٤] ، يعنى تعلقوا بها والزموها وداوموا عليها .

وكثيرا ما نجد أدعية دعا بها قوم فاستجيب لهم ، ويكون قد اقترن بالدعاء ضرورة صاحبه وإقباله على اللّه ، أو حسنة تقدمت منه جعل اللّه ـ سبحانه ـ إجابة دعوته شكراً لحسنته ، أو صادف وقت إجابة ونحو ذلك فأجيبت دعوته ، فيظن الظان أن السر فى لفظ ذلك الدعاء ، فيأخذه مجرداً عن تلك الأمور التى قارنته من ذلك الداعى . وهذا كما إذا استعمل رجل دواء نافعا ، فى الوقت الذى ينبغى استعماله ، على الوجه الذى ينبغى ، فانتفع به ، فظن غيره أن استعمال هذا الدواء بمجرده كاف فى حصول المطلوب ، كان

(١ ، ٢) سبق تخريجهما ص ٢٤٣ .

(٣) الترمذى (٣٤٧٨) فى الدعوات ، باب : (٦٥) .

(٤) أحمد (٤ / ١٧٧) ، والحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٩) ، فى الدعاء ، باب: ألظوا بياذا الجلال والإكرام ، وقال: « صحيح » ، ووافقه الذهبى .

غالطا، وهذا موضع يغلط فيه كثير من الناس .

ومن هذا أنه قد يتفق دعاؤه باضطرار عند قبر فيجاب ، فيظن الجاهل أن السر للقبر، ولم يعلم أن السر للاضطرار وصدق اللجأ إلى اللّه ، فإذا حصل ذلك فى بيت من بيوت الله ، كان أفضل وأحب إلى اللّه .

والأدعية والتعوذات بمنزلة السلاح ،والسلاح بضاربه، لابحدّه فقط . فمتى كان السلاح سلاحاً لا آفة به ،والساعد ساعد قوى، والمانع مفقود،حصلت به النكاية فى العدو، ومتى تخلف واحد من هذه الثلاثة تخلف التأثير. فإذا كان الدعاء فى نفسه غير صالح، أو الداعى لم يجمع بين قلبه ولسانه فى الدعاء،أو كان ثمّ مانع من الإجابة ،لم يحصل الأثر [١].

فائدة

فى قوله ﷺ : « اتقوا اللّه وأجملوا فى الطلب» [٢]

جمع النبى ﷺ فى قوله:«فاتقوا اللّه وأجملوا فى الطلب» بين مصالح الدنيا والآخرة،ونعيمها ولذاتها إنما ينال بتقوى اللّه،وراحة القلب والبدن وترك الاهتمام والحرص الشديد والتعب والعناد والكد والشقاء فى طلب الدنيا ، إنما ينال بالإجمال فى الطلب فمن اتقى الله فاز بلذة الآخرة ونعيمها ومن أجمل فى الطلب استراح من نكد الدنيا وهمومها ، فالله المستعان .

قد نادت الدنيا على نفسها ... لو كان فى ذا الخلق من يسمع

كم واثق بالعيش أهلكته ... وجامع فرقت ما يجمع

فصل

فى الأخذ بالأسباب مع الدعاء

سمع بعض أهل العلم رجلا يدعو بالعافية فقال له: يا هذا استعمل الأدوية ، وادع بالعافية فإن اللّه تعالى إذا كان قد جعل إلى العافية طريقا وهو التداوى . ودعوته بالعافية ربما كان جوابه : قد عافيتك بما جعلته ووضعته سببا للعافية ، وما هذا إلا بمثابة من بين زرعه وبين الماء ثلمة يدخل منها الماء يسقى زرعه ، فجعل يصلى ويستسقى لزرعه ويطلب

(١) الداء والدواء (٢٧ ـ ٣٠ ، ٣٤ ، ٣٥) .

(٢) ابن ماجه (٢١٤٤) فى التجارات ، باب: الاقتصاد فى طلب المعيشة ، وفى الزوائد : « إسناده ضعيف ؛ لأن فيه الوليد بن مسلم وابن جريج وكل منهما يدلس » .

المطر ، مع قدرته على فتح تلك الثلمة لسقى زرعه ، فإن ذلك لا يحسن منه شرعا ولا عقلا، ولم يكن ذلك إلا لأنه سبق بإعطاء الأسباب ، فهو إعطاء بأحد الطريقين ، وله أن يعطى بسبب وبغير سبب،وبالسبب ليتبين به ما أفاض من صنعه، وما أودع فى مخلوقاته من القوى والطبائع والمنافع ، وإعطاؤه بغير سبب ليتبين للعباد أن القدرة غير مفتقرة إلى واسطة فى فعله، فإذا دعوته بالعافية فاستنقذ ما أعطاك من العتائد والأرزاق ، فإن وصلت بها وإلا فاطلب طلب من أفلس من مطلوبه فرغب إلى المعدن ، كما قال سيد الخلائق :« اللهم هذا قسمى فيما أملك ، فلا تلمنى فيما تملك ولا أملك »[1] قلت : هذا كلام حسن، وأكمل منه أن يبذل الأسباب ، ويسأل سؤال من لم يدل بشىء البتة .

والناس فى المقام أربعة أقسام :

فأعجزهم من لم يبذل السبب ولم يكثر الطلب ، فذاك أمهن الخلق .

والثانى :مقابله وهو أحزم الناس من أدلى بالأسباب التى نصبها الله مفضية إلى المطلوب، وسأل سؤال من لم يدل بسبب أصلا،بل سؤال مفلس بائس ليس له حيلة ولا وسيلة.

الثالث :من استعمل الأسباب وصرف همته إليها ، وقصر نظره عليها، فهذا وإن كان له حظ مما رتبه الله عليها ولكنه منقوص منقطع نصب الآفات المعارضات ، لا يحصل له إلا بعد جهد ، فإذا حصل فهو وشيك الزوال سريع الانتقال غير معقب له توحيدا ولا معرفة، ولا كان سببا لفتح الباب بينه وبين معبوده .

الرابع : مقابله وهو رجل نبذ الأسباب وراء ظهره ، وأقبل على الطلب والدعاء والابتهال فهذا يحمد فى موضع ويذم فى موضع ويشينه الأمر فى موضع . فيحمد عند كون تلك الأسباب غير مأمور بها ، إذ فيها مضرة عليه فى دينه ، فإذا تركها وأقبل على السؤال والابتهال والتضرع لله كان محمودا ، ويذم حيث كانت الأسباب مأموراً بها فتركها وأقبل على الدعاء ، كمن حصره العدو وأمره بجهاده ،فترك جهاده وأقبل على الدعاء والتضرع أن يصرفه الله عنه ،وكمن جهده العطش وهو قادر على تناول الماء ، فتركه أقبل يسأل الله تعالى أن يرويه ، وكمن أمكنه التداوى الشرعى فتركه وأقبل يسأل العافية ، ونظائر هذا . يشتبه الأمر فى الأسباب التى لا يتبين له عواقبها وفيها بعض الاشتباه ولها لوازم قد يعجز عنها ، وقد يتولد عنها ما يعود بنقصان دينه ، فهذا موضع اشتباه وخطر، والحاكم فى ذلك كله الأمر ، فإن خفى فالاستخارة وأمر الله وراء ذلك [2].

---

(١) أبو داود (٤١٢٤) فى النكاح ، باب : فى القسم بين النساء ، والترمذى (١١٤٠) فى النكاح ، باب : ما جاء فى التسوية بين الضرائر ، والنسائى (٣٩٤٣) فى عشرة النساء ، باب : ميل الرجل إلى بعض نسائه دون بعض ، وابن ماجه (١٩٧١) فى النكاح ، باب : القسم بين النساء ، وأحمد ٦/ ١٤٤ ، وضعفه الألبانى .

(٢) بدائع الفوائد (٣ / ١٧٨ ـ ١٨٠) .

فصل
فى الدعاء بأطيب ما فى الدنيا والآخرة

قد جمع النبى صلى اللّه تعالى عليه وسلم بين هذين الأمرين فى الدعاء الذى رواه النسائى والإمام أحمد ، وابن حبان فى صحيحه وغيرهم ، من حديث عمار بن ياسر : أن رسول اللّه صلى اللّه تعالى عليه وسلم كان يدعو به :« اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق ، أحينى ما علمت الحياة خيرا لى ،وتوفنى إذا كانت الوفاة خيراً لى، وأسألك خشيتك فى الغيب الشهادة، وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا، وأسألك القصد فى الفقر والغنى وأسألك نعيما لا ينفدُ ، وأسألك قُرّة عين لا تنقطع ، وأسألك الرضا بعد القضاء ، وأسألك برْد العيش بعد الموت ، وأسألك لذة النظر إلى وجهك ، وأسألك الشوق إلى لقائك ، فى غير ضراء مُضرّة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ،واجعلنا هُداة مهتدين » (١).

فجمع فى هذا الدعاء العظيم القدر بين أطيب شىء فى الدنيا ، وهو الشوق إلى لقائه ـ سبحانه ـ وأطيب شىء فى الآخرة ، وهو النظر إلى وجهه ـ سبحانه ـ ولما كان كل ذلك وتمامه موقوفاً على عدم ما يضر فى الدنيا ويفتن فى الدين قال: « فى غير ضرَّاء مُضرّة ولا فتنة مُضلة » .

ولما كان كمال العبد فى أن يكون عالما بالحق متبعا له معلما لغيره ، مرشداً له قال : « واجْعَلنَا هُداةً مهتَدين » .

ولما كان الرضا النافع المحصل للمقصود هو الرضا بعد وقوع القضاء لا قبله ،فإن ذلك عزم على الرضا ، فإذا وقع القضاء انفسخ ذلك العزم ،سأل الرضا بعده ،فإن المقدور يكتنفه أمران : الاستخارة قبل وقوعه ،والرضا بعد وقوعه. فمن سعادة العبد أن يجمع بينهما ، كما فى المسند وغيره عنه صلى اللّه تعالى عليه وآله وسلم :« إن من سعادة ابن آدم استخارة اللّه ورضاه بما قضى اللّه، وإن من شقاوة ابن آدم ترك استخارة اللّه ، وسخطه بما قضى اللّه تعالى» (٢).

---

(١) النسائى (٥ ١٣٠ ، ٦ ٣١٠) فى السهو ، باب: نوع آخر ، وأحمد (٤/ ٢٦٤) ، وابن حبان (١٩٦٨) فى صفة الصلاة ، باب: دعاء المرء فى الصلاة بما ليس فى كتاب اللّه .

(٢) الترمذى (٢١٥١) فى القدر باب :ما جاء فى الرضا بالقضاء وقال :« غريب »، وأحمد (١/ ١٦٨) ،وقال: « غريب »، وقال الشيخ أحمد شاكر (١٤٤٤) : « إسناده ضعيف » .

ولما كانت خشية الله عزّ وجل رأس كل خير فى المشهد والمغيب ، سأله خشيته فى الغيب والشهادة .

ولما كان أكثر الناس إنما يتكلم بالحق فى رضاه ،فإذا غضب أخرجه غضبه إلى الباطل، وقد يدخله أيضاً رضاه فى الباطل ، سأل الله عز وجل أن يوفقه لكلمة الحق فى الغضب والرضا ، ولهذا قال بعض السلف : لا تكن ممن إذا رضى أدخله رضاه فى الباطل، وإذا غضب أخرجه غضبه من الحق .

ولما كان الفقر والغنى بليلتين ومحنتين ، يبتلى الله بهما عبده ، ففى الغنى يبسط يده ، وفى الفقر يقبضها ، سأل الله عز وجل القصد فى الحالين، وهو التوسط الذى ليس معه إسراف ولا تقتير .

ولما كان النعيم نوعين : نوعا للبدن . ونوعا للقلب وهو قرة العين ، وكماله بدوامه واستمراره ، جمع بينهما فى قوله : « أسألك نعيما لا ينفد ، وقرة عين لا تنقطع » .

ولما كانت الزينة زينتين : زينة البدن ، وزينة القلب ، وكانت زينة القلب أعظمهما قدراً وأجلهما خطراً ،وإذا حصلت زينة البدن على أكمل الوجوه فى العُقْبى ،سأل ربه الزينة الباطنة فقال:« زينا بزينة الإيمان » .

ولما كان العيش فى هذه الدار لا يبرد لأحد كائناً من كان ، بل هو محشو بالغصص والنكد ،ومحفوف بالآلام الباطنة والظاهرة ، سأل برد العيش بعد الموت .

والمقصود : أنه جمع فى هذا الدعاء بين أطيب ما فى الدنيا ،وأطيب ما فى الآخرة، فإن حاجة العباد إلى ربهم فى عبادتهم إياه وتأليههم له ،كحاجتهم إليه فى خلقه لهم ، ورزقه إياهم ،ومعافاة أبدانهم ،وستر عوراتهم ، وتأمين روعاتهم ، بل حاجتهم إلى تأليهه ومحبته وعبوديته أعظم،فإن ذلك هو الغاية المقصودة لهم،لا صلاح لهم ولا نعيم ولا فلاح ولا لذة ولا سعادة بدون ذلك بحال ،ولهذا كانت « لا إله إلا الله » أحسن الحسنات ، وكان توحيد الإلهية رأس الأمر ،أما توحيد الربوبية الذى أقر به المسلم والكافر ،وقرره أهل الكلام فى كتبهم ، فلا يكفى وحده ، بل هو الحجة عليهم ، كما بين ذلك ـ سبحانه ـ فى كتابه الكريم فى عدة مواضع ؛ولهذا كان حق الله على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً، كما فى الحديث الصحيح الذى رواه معاذ بن جبل رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « أتدرى ما حق الله على عباده ؟ » قلت : الله ورسوله أعلم ، قال: « حقه على عباده أن يعبدوه ولا يشركوا به شيئاً » ، أتدرى ما حق العباد على الله إذا فعلوا ذلك ؟ » قلت : الله

ورسوله أعلم ،قال: «حقهم عليه ألا يعذبهم بالنار» [١]؛ ولذلك يحب ـ سبحانه ـ عباده المؤمنين الموحدين ويفرح بتوبتهم ،كما أن فى ذلك أعظم لذة العبد وسعادته ونعيمه ،فليس فى الكائنات شىء غير اللّه عز وجل يسكن القلب إليه،ويطمئن به ويأنس به ،ويتنعم بالتوجه إليه ،ومن عبد غيره ـ سبحانه ـ وحصل له به نوع منفعة ولذة ، فمضرته بذلك أضعاف أضعاف منفعته ،وهو بمنزلة أكل الطعام المسموم اللذيذ ،وكما أن السموات والأرض لو كان فيهما آلهة غيره سبحانه لفسدتا، كما قال تعالى : ﴿ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا ﴾ [الأنبياء :٢٢] فكذلك القلب إذا كان فيه معبود غير اللّه تعالى فسد فسادا لا يرجى صلاحه إلا بأن يخرج ذلك المعبود منه،ويكون اللّه تعالى وحده إلهه ومعبوده الذى يحبه ويرجوه ،ويخافه ويتوكل عليه وينيب إليه[٢] .

فصل
فى فوائد إخفاء الدعاء

وفى إخفاء الدعاء فوائد عديدة .

أحدها : أنه أعظم إيمانا ،لأن صاحبه يعلم أن اللّه يسمع دعاء الخفى وليس كالذى قال: إن اللّه يسمع إن جهرنا ، ولا يسمع أن أخفينا !

وثانيها : أنه أعظم فى الأدب والتعظيم ، ولهذا لا تخاطب الملوك ولا تسأل برفع الأصوات ، وإنما تخفض عندهم الأصوات، ويخف عندهم الكلام بمقدار ما يسمعونه ، ومن رفع صوته لديهم مقتوه ، وللّه المثل الأعلى ،فإذا كان يسمع الدعاء الخفى ،فلا يليق بالأدب بين يديه إلا خفض الصوت به.

وثالثها : أنه أبلغ فى التضرع والخشوع الذى هو روح الدعاء ولبه ومقصوده ، فإن الخاشع الذليل الضارع إنما يسأل مسألة مسكين ذليل قد انكسر قلبه وذلت جوارحه ، وخشع صوته ، حتى إنه ليكاد تبلغ به ذلته و سكنته وكسره وضراعته إلى أن ينكسر لسانه

---

(١) البخارى (٢٨٥٦) فى الجهاد والسير ، باب: اسم الفرس والحمار ، ومسلم (٢٩ / ٥٠) فى الإيمان ، باب: الدليل على أن من مات على التوحيد دخل الجنة قطعا ،والترمذى (٢٦٤٣) فى الإيمان ، باب: ما جاء فى افتراق هذه الأمة ، وأحمد (٥/ ٢٣٠) .

(٢) إعلام الموقعين (١ / ٢٨ ـ ٣٠) .

فلا يطاوعه بالنطق، فقلبه سائل طالب مبتهل ،ولسانه لشدة ذله وضراعته ومسكنته ساكت ، وهذه الحالة لا يتأتى معها رفع الصوت بالدعاء أصلا .

ورابعها :أنه أبلغ فى الإخلاص .

وخامسها : أنه أبلغ فى جمعية القلب على اللّه فى الدعاء ، فإن رفع الصوت يفرقه ويشتته ، فكلما خفض صوته كان أبلغ فى صمده وتجريد همته وقصده للمدعو سبحانه وتعالى .

وسادسها: وهو من النكت السرية البديعة جدا : أنه دال على قرب صاحبه من اللّه ، وأنه لاقترابه منه وشدة حضوره يسأله مسألة أقرب شىء إليه فيسأله مسألة مناجاة القريب للقريب، لا مسألة نداء البعيد للبعيد ، ولهذا أثنى ـ سبحانه ـ على عبده زكريا بقوله : ﴿**إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا** ﴿٣﴾ ﴾ [مريم] فكلما استحضر القلب قرب اللّه تعالى منه ،وأنه أقرب إليه من كل قريب ، وتصور ذلك أخفى دعاءه ما أمكنه ، ولم يتأت له رفع الصوت به ، بل يراه غيرمستحسن ، كما أن من خاطب جليسا له يسمع خفى كلامه فبالغ فى رفع الصوت استهجن ذلك منه ، وللّه المثل الأعلى ـ سبحانه .

وقد أشار النبى ﷺ إلى هذا المعنى بعينه بقوله فى الحديث الصحيح ،لما رفع الصحابة أصواتهم بالتكبير ،وهم معه فى السفر ،فقال:« اربعوا على أنفسكم إنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنكم تدعون سميعا قريباً، أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »(١) ،وقال تعالى: ﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾ [البقرة :١٨٦] ، وقد جاء أن سبب نزولها أن الصحابة قالوا: يا رسول اللّه، ربنا قريب فنناجيه أم بعيد فنناديه ، فأنزل اللّه عز وجل :﴿ **وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ** ﴾(٢) وهذا يدل على إرشادهم للمناجاة فى الدعاء لا للنداء الذى هو رفع الصوت ، فإنهم عن هذا سألوا ، فأجيبوا بأن ربهم تبارك وتعالى قريب لا يحتاج فى دعائه وسؤاله إلى النداء ، وإنما يسأل مسألة القريب المناجى ، لا مسألة البعيد المنادى .وهذا القرب من الداعى هو قرب خاص ليس قربا عاما من كل أحد ، فهو قريب من داعيه وقريب من عابده ، وأقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ،وهو أخص من قرب الإنابة وقرب الإجابة الذى لم يثبت أكثر المتكلمين سواه ، بل هو قرب خاص من الداعى والعابد ، كما قال النبى ﷺ راويا عن ربه تبارك وتعالى: « من تقرب منى شبرا تقربت منه ذراعا ، ومن تقرب منى

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٩ .

(٢) ابن جرير فى التفسير ٢/ ٩٢ .

ذراعاً تقربت منه باعا »[1]، فهذا قربه من عابده ، وأما قربه من داعيه وسائله فكما قال تعالى: ﴿ وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ ﴾[البقرة :١٨٦] وقوله : ﴿ ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً ﴾ [الأعراف: ٥٥] فيه الإشارة والإعلام بهذا القرب. وأما قربه تبارك وتعالى من محبه فنوع آخر ،وبنوع آخر ، وشأن آخر ،كما قد ذكرناه فى كتاب التحفة المكية ، على أن العبارة تنبو عنه ،ولا تحصل فى القلب حقيقة معناه أبدا ، لكن بحسب قوة المحبة وضعفها يكون تصديق العبد بهذا القرب ، وإياك ثم إياك أن تعبر عنه بغير العبارة النبوية أو يقع فى قلبك غير معناها ومرادها ، فتزل قدم بعد ثبوتها ، وقد ضعف تمييز خلائق فى هذا المقام ، وساء تعبيرهم فوقعوا فى أنواع من الطامات والشطح وقابلهم من غلط حجابهم فأنكر محب العبد لربه جملة وقربه منه وأعاد ذلك إلى مجرد الثواب المخلوف فهو عنده المحبوب القريب ليس إلا وقد ذكرنا من طرق الرد على هؤلاء وهؤلاء فى كتاب التحفة أكثر من مائة طريق والمقصود ههنا الكلام على هذه الآية .

وسابعها: أنه أدعى إلى دوام الطلب والسؤال ، فإن اللسان لا يمل ، والجوارح لا تتعب، بخلاف ما إذا رفع صوته فإنه قد يكل لسانه ، وتضعف بعض قواه . وهذا نظير من يقرأ ويكرر رافعاً صوته ، فإنه لا يطول له ذلك ، بخلاف من يخفض صوته .

وثامنها : أن إخفاء الدعاء أبعد له من القواطع والمشوشات والمضعفات ،فإن الداعى إذا أخفى دعاءه لم يدر به أحد فلا يحصل هناك تشويش ولا غيره ،وإذا جهر به تفطنت له الأرواح الشريرة والباطولية والخبيثة من الجن والإنس فشوشت عليه ولا بد ، وما نعته وعارضته ، ولو لم يكن إلا أن تعلقها به يفرق عليه همته فيضعف أثر الدعاء لكفى ،ومن له تجربة يعرف هذا ، فإذا أسر الدعاء وأخفاه أمن هذه المفسدة.

وتاسعها: أن أعظم النعم الإقبال على الله والتعبد له،والانقطاع إليه، والتبتل إليه، ولكل نعمة حاسد على قدرها دقت أو جلت ، ولا نعمة أعظم من هذه النعمة ، فأنفس الحاسدين المنقطعين متعلقة بها ، وليس للمحسود أسلم من إخفاء نعمته عن الحاسد ، وألا يقصد إظهارها له . وقد قال يعقوب ليوسف: ﴿ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا لَكَ كَيْدًا إِنَّ الشَّيْطَانَ لِلْإِنسَانِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ۝٥ ﴾ [يوسف] ،وكم من صاحب قلب وجمعية وحال مع الله قد تحدث بها وأخبر بها فسلبه إياها الأغيار ، فأصبح يقلب كفيه ؛ ولهذا يوصى العارفون والشيوخ بحفظ السر مع الله وألا يطلعوا عليه أحدا ، ويتكتمون به غاية التكتم

---

(١) البخارى (٨٥٣٧) فى التوحيد ، باب: ذكر النبى ﷺ وروايته عن ربه ، ومسلم (٢٦٧٥ / ١) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل الحث على ذكر الله تعالى ، والترمذى (٣٦٠٣) فى الدعوات ، باب : فى حسن الظن بالله عز وجل ، وابن ماجه (٣٨٢١) فى الأدب ، باب: فضل العمل ، وأحمد (٢/ ٢٥١) .

كما أنشد بعضهم فى ذلك :

من سارروه فأبدى السر مجتهدا لم يأمنوه على الأسرار ما عاشا
وأبعدوه فلم يظفر بقربهم وأبدلوه مكان الأنس إيحاشا
لا يأمنون مذيعا بعض سرهم حاشا ودادهم من ذلكم حاشا

والقوم أعظم شىء كتمانا لأحوالهم مع الله ،ولا سيما للمبتدى والسالك ، فإذا تمكن أحدهم وقوى وثبتت أصول تلك الشجرة الطيبة التى أصلها ثابت وفرعها فى السماء فى قلبه بحيث لا يخشى عليه من العواصف ، فإنه إذا أبدى حاله شأنه مع اللّه ليقتدى به ويؤتم به لم يبال . وهذا باب عظيم النفع ، وإنما يعرفه أهله . وإذا كان الدعاء المأمور بإخفائه يتضمن دعاء الطلب والثناء والمحبة والإقبال على اللّه ، فهو من أعظم الكنوز التى هى أحق بالإخفاء والستر عن أعين الحاسدين ،وهذه فائدة شريفة نافعة .

وعاشرها : أن الدعاء هو ذكر للمدعو ـ سبحانه ـ متضمن للطلب منه والثناء عليه بأسمائه وأوصافه ، فهو ذكر وزيادة ، كما أن الذكر سمى دعاء لتضمنه الطلب ، كما قال النبى ﷺ : « أفضل الدعاء الحمد للّه » (١) فسمى الحمد للّه دعاء وهو ثناء محض ؛ لأن الحمد يتضمن الحب والثناء ؛ والحب أعلا أنواع الطلب للمحبوب ، فالحامد طالب لمحبوبه فهو أحق أن يسمى داعيا من السائل الطالب من ربه حاجة ما، فتأمل هذا الموضع ولا تحتاج إلى ما قيل: إن الذاكر متعرض للنوال وإن لم يكن مصرحاً بالسؤال ، فهو داع بما تضمنه ثناؤه من التعرض ، كما قال أمية بن أبى الصلت :

أأذكر حاجتى أم قد كفانى حياؤك إن شيمتك الحياء
إذا أثنى عليك المرء يوما كفاه من تعرضه الثناء

وعلى هذه الطريقة التى ذكرناها فنفس الحمد والثناء متضمن لأعظم الطلب وهو طلب المحب ،فهو دعاء حقيقة،بل أحق أن يسمى دعاء من غيره من أنواع الطلب الذى هو دونه، والمقصود : أن كل واحد من الدعاء والذكر يتضمن الآخر ويدخل فيه ،وقد قال تعالى: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ﴾ [الأعراف:٢٠٥] فأمر تعالى نبيه أن يذكره فى نفسه . قال مجاهد وابن جريج : أمر أن يذكروه فى الصدور بالتضرع والاستكانة دون رفع الصوت أو الصياح ،وقد تقدم حديث أبى موسى : كنا مع النبى ﷺ

(١) الترمذى (٣٣٨٣) فى الدعوات ، باب: ما جاء أن دعوة المسلم مستجابة ، وقال : « غريب » ، وابن ماجه (٣٨٠٠) فى الأدب ، باب: فضل الحامدين .

فى سفر فارتفعت أصواتنا بالتكبير فقال: « يا أيها الناس ، أربعوا على أنفسكم،فإنكم لا تدعون أصم ولا غائبا ، إنما تدعون سميعا قريبا أقرب إلى أحدكم من عنق راحلته »[1] .

وتأمل كيف قال فى آية الذكر: ﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً﴾ [الأعراف: ٢٠٥] وفى آية الدعاء: ﴿ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾[الأعراف: ٥٥]، فذكر التضرع فيهما معاً وهو التذلل والتمسكن والانكسار وهو روح الذكر والدعاء، وخص الدعاء بالخفية لما ذكرنا من الحكم وغيرها ،وخص الذكر بالخفية لحاجة الذاكر إلى الخوف، فإن الذكر يستلزم المحبة ويثمرها ولابد،فمن أكثر من ذكر اللّه أثمر له ذلك محبته ،والمحبة ما لم تقرن بالخوف فإنها لا تنفع صاحبها ، بل قد تضره لأنها توجب الإدلال والانبساط ، وربما آلت بكثير من الجهال المغرورين إلى أنهم استغنوا بها عن الواجبات وقالوا : المقصود من العبادات إنما هو عبادة القلب وإقباله على اللّه ومحبته له وتألهه له ، فإذا حصل المقصود فالاشتغال بالوسيلة باطل .

ولقد حدثنى رجل أنه أنكر على رجل من هؤلاء خلوة له ترك فيها حضور الجمعة، فقال له الشيخ : أليس الفقهاء يقولون : إذا خاف على شيء من ماله فإن الجمعة تسقط عنه؟ فقال له : بلى ، فقال له : فقلب المريد أعز عليه من ضياع عشرة دراهم أو كما قال: وهو إذا خرج ضاع قلبه فحفظُه لقلبه عذرٌ مسقط للجمعة فى حقه فقال له : هذا غرور بل الواجب عليه الخروج إلى أمر اللّه ، وحفظ قلبه مع اللّه ، فالشيخ المربى العارف يأمر المريد بأن يخرج إلى الأمر ،ويراعى حفظ قلبه أو كما قال .

فتأمل هذا الغرور العظيم كيف آل بهؤلاء إلى الانسلاخ عن الإسلام جملة فإن من سلك هذا المسلك انسلخ عن الإسلام العام كانسلاخ الحية من قشرها ، وهو يظن أنه من خاصته الخاصة ،وسبب هذا عدم اقتران الخوف من اللّه بحبه وإرادته ؛ ولهذا قال بعض السلف : من عبد اللّه بالحب وحده فهو زنديق ،ومن عبده بالخوف وحده فهو حرورى، ومن عبده بالرجاء وحده فهو مرجئ ، ومن عبده بالحب والخوف والرجاء ، فهو مؤمن . وقد جمع تعالى هذه المقامات الثلاث بقوله : ﴿أُولَٰئِكَ الَّذِينَ يَدْعُونَ يَبْتَغُونَ إِلَىٰ رَبِّهِمُ الْوَسِيلَةَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ وَيَرْجُونَ رَحْمَتَهُ وَيَخَافُونَ عَذَابَهُ﴾ [الإسراء: ٥٧] فابتغاء الوسيلة هو محبته الداعية إلى التقرب إليه ،ثم ذكر بعدها الرجاء والخوف ،فهذه طريقة عباده وأوليائه، وربما آل الأمر بمن عبده بالحب المجرد إلى استحلال المحرمات ،ويقول: المحب لا يضره ذنب .

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٤٩ .

وصنف بعضهم فى ذلك مصنفا وذكر فيه أثرا مكذوبا: « إذا أحب الله العبد لم تضره الذنوب » ،وهذا كذب قطعا ،مناف للإسلام ، فالذنوب تضر بالذات لكل أحد كضرر السم للبدن لو قدر أن هذا الكلام صح عن بعض الشيوخ ، وأما عن رسول الله ﷺ فمعاذ الله من ذلك فله محمل وهو أنه إذا أحبه لم يدعه حبه إياه إلى أن يصر على ذنب؛ لأن الإصرار على الذنب مناف لكونه محبا لله ،وإذا لم يصر على الذنب بل بادر إلى التوبة النصوح منه فإنه يمحى أثره ، ولا يضره الذنب،وكلما أذنب وتاب إلى الله زال عنه أثر الذنب وضرره ، فهذا المعنى صحيح .

والمقصود أن تجريد الحب والذكر عن الخوف يوقع فى هذه المعاطب،فإذا اقترن بالخوف جمعه على الطريق ورده إليها كلما شرد ،فكأن الخوف سوط يضرب به مطيته لئلا تخرج عن الدرب ،والرجاء حاد يحدوها يطيب لها السير، والحب قائدها وزمامها الذى يسوقها ، فإذا لم يكن للمطية سوط ولا عصا يردها إذا حادت عن الطريق ،وتركت تركب التعاسيف، خرجت عن الطريق وضلت عنه .فما حفظت حدود الله ومحارمه ،ووصل الواصلون إليه بمثل خوفه ورجائه ومحبته ،فمتى خلا القلب عن هذه الثلاثة فسد فسادا لا يرجى صلاحه أبدا، ومتى ضعف فيه شيء من هذه ضعف إيمانه بحسبه ، فتأمل أسرار القرآن وحكمته فى اقتران الخيفة بالذكر والخفية بالدعاء ، مع دلالته على اقتران الخيفة بالدعاء والخيفة بالذكر أيضا ، فإنه قال: ﴿ وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ ﴾[الأعراف: ٢٠٥] فلم يحتج بعدها أن يقول: خفية، وقال فى الدعاء: ﴿ وَادْعُوهُ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [الأعراف: ٥٦] فلم يحتج أن يقول فى الأول: ادعوا ربكم تضرعاً وخفية فانتظمت كل واحدة من الآيتين للخيفة والخفية والتضرع أحسن انتظام، ودلت على ذلك أكمل دلالة ، وذكر الطمع الذى هو الرجاء فى آية الدعاء؛ لأن الدعاء مبنى عليه ،فإن الداعى ما لم يطمع فى سؤله ومطلوبه لم تتحرك نفسه لطلبه ، إذ طلب مالا طمع فيه ممتنع ، وذكر الخوف فى آية الذكر لشدة حاجة الخائف إليه ،فذكر فى كل آية ما هو اللائق بها والأولى بها من الخوف والطمع فتبارك من أنزل كلامه شفاء لما فى الصدور وهدى ورحمة للمؤمنين [1].

(١) بدائع الفوائد (٣/٦ ـ ١٢) .

فصل
فى الإلحاح فى الدعاء

ومن أنفع الأدوية : الإلحاح فى الدعاء .

وقد روى ابن ماجه فى سننه من حديث أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ :«من لم يسأل الله يغضب عليه» (١).

وفى صحيح الحاكم من حديث أنس عن النبى ﷺ :« لا تعجزوا فى الدعاء، فإنه لا يهلك مع الدعاء أحد » (٢).

وذكر الأوزاعى عن الزهرى عن عروة عن عائشة رضي الله عنها قالت : قال رسول الله ﷺ : «إن الله يحب الملحين فى الدعاء » (٣).

وفى « كتاب الزهد » للإمام أحمد عن قتادة قال: قال مُورِّق: ما وجدت للمؤمن مثلا إلا رجلا فى البحر على خشبة، فهو يدعو: يا رب يا رب ،لعل الله عز وجل أن ينجيه(٤).

فصل
فى أنه « لا حول ولا قوة إلا بالله »

ليس فى الوجود الممكن سبب واحد مستقل بالتأثير ، بل لا يؤثر سبب البتة إلا بانضمام سبب آخر إليه وانتفاء مانع يمنع تأثيره . هذا فى الأسباب المشهودة بالعيان ، وفى الأسباب الغائبة والأسباب المعنوية كتأثير الشمس فى الحيوان والنبات فإنه موقوف على أسباب أخر ،من وجود محل قابل ، وأسباب أخر تنضم إلى ذلك السبب .وكذلك حصول الولد موقوف على عدة أسباب غير وطء الفحل ، وكذلك جميع الأسباب مع مسبباتها ، فكل ما يخاف ويرجى من المخلوقات فأعلى غاياته أن يكون جزء سبب غير مستقل بالتأثير، ولا يستقل بالتأثير وحده دون تأثيره على غيره إلا الله الواحد القهار ، فلا ينبغى أن يرجى ولا يخاف غيره .وهذا برهان قطعى على أن تعلق الرجاء والخوف بغيره باطل؛ فإنه لو

---

(١) سبق تخريجه ص٢٥٤ .

(٢) الحاكم فى المستدرك (١ / ٤٩٤) فى الدعاء ، باب: لا يهلك مع الدعاء أحد، وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، وقال الذهبى « لا أعرف عمراً تعبت عليه » . .

(٣) الضعفاء الكبير (٤/ ٤٥٢) ، الكامل فى ضعفاء الرجال (٧/ ١٦٤) ، وقال الألبانى « باطل » .

(٤) الزهد للإمام أحمد ،الوابل الصيب (٢٥ ، ٢٦).

فرض أن ذلك سبب مستقل وحده بالتأثير لكانت سببيته من غيره لا منه ، فليس له من نفسه قوة يفعل بها ، فإنه لا حول ولا قوة إلا باللّه ،فهو الذى بيده الحول كله والقوة كلها،فالحول والقوة التى يرجى لأجلهما المخلوق ويخاف إنما هما للّه وبيده فى الحقيقة. فكيف يخاف ويرجى من لا حول له ولا قوة،بل خوف المخلوق ورجاؤه أحد أسباب الحرمان ونزول المكروه ممن يرجوه ويخافه ؛فإنه على قدر خوفك من غير اللّه يسلط عليك، وعلى قدر رجائك لغيره يكون الحرمان.وهذا حال الخلق أجمعه وإن ذهب عن أكثرهم علما وحالا ، فما شاء اللّه كان ولا بد ومـا لـم يشأ لـم يكـن ولو اتفقت عليه الخليقة [1].

فصل
فى تأثير « لا إله إلا اللّه » عند الموت

لشهادة « أن لا إله إلا اللّه » عند الموت تأثير عظيم فى تكفير السيئات وإحباطها ؛ لأنها شهادة من عبد موقن بها عارف بمضمونها ، قد ماتت منه الشهوات ولانت نفسه المترددة ، وانقادت بعد إبائها واستعصائها ، وأقبلت بعد إعراضها وذلت بعد عزها ، وخرج منها حرصها على الدنيا وفضولها ، واستخزت بين يدى ربها وفاطرها ومولاها الحق أذل ما كانت وأرجى ما كانت لعفوه ومغفرته ورحمته . وتجرد منها التوحيد بانقطاع أسباب الشرك وتحقق بطلانـه ، فزالت منها تلك المنازعات التى كانت مشغولة بها ، واجتمع همها على من أيقنت بالقدوم عليه والمصير إليه، فوجه العبد وجهه بكليته إليه ،وأقبل بقلبه وروحه وهمه عليه ، فاستسلم وحده ظاهرا وباطنا ،واستوى سره وعلانيته فقال:لا إله إلا اللّه ، مخلصا من قلبه . وقد تخلص قلبه من التعليق بغيره والالتفات إلى ما سواه . قد خرجت الدنيا كلها من قلبه وشارف القدوم على ربه ، وخمدت نيران شهوته ، وامتلأ قلبه من الآخرة فصارت نصب عينيه ،وصارت الدنيا وراء ظهره ،فكانت تلك الشهادة الخالصة خاتمة عمله، فطهرته من ذنوبه،وأدخلته على ربه؛ لأنه لقى ربه بشهادة صادقة :خالصة، وافق ظاهرها باطنها ، وسرها علانيتها ، فلـو حصلت لـه الشهادة علـى هذا الوجه فى أيام الصحة لاستوحش من الدنيا وأهلها ،وفر إلى اللّه من الناس ،وأنس به دون ما سواه ، لكنه شهد بها بقلب مشحون بالشهوات وحب الحياة وأسبابها ،ونفس مملوءة بطلب الحظوظ والالتفات إلى غير اللّه .فلو تجردت كتجردها. عند الموت،لكان لها نبأ آخر وعيش آخر سوى عيشها البهيمى ، واللّه المستعان .

---

(١) الفوائد (٧١ ، ٧٢) .

ماذا يملك من أمره من ناصيته بيد الله ونفسه بيده ، وقلبه بين أصبعين من أصابعه يقلبه كيف يشاء ، وحياته بيده وموته بيده ، وسعادته بيده ، وشقاوته بيده ، وحركاته وسكناته وأقواله وأفعاله بإذنه ومشيئته . فلا يتحرك إلا بإذنه ، ولا يفعل إلا بمشيئته إن وكله إلى نفسه وكله إلى عجز وضيعة وتفريط وذنب وخطيئة و إن وكله إلى غيره وكله إلى من لا يملك له ضرا ولا نفعا ولا موتا ولا حياة ولا نشورا ، وإن تخلى عنه استولى عليه عدوه وجعله أسيرا له ، فهو لا غنى له عنه طرفة عين ، بل هو مضطر إليه على مدى الأنفاس فى كل ذرة من ذراته باطنا وظاهرا ، فاقته تامة إليه ، ومع ذلك فهو متخلف عنه معرض عنه ، يتبغض إليه بمعصيته ،مع شدة الضرورة إليه من كل وجه ، قد صار لذكره نسيا واتخذه وراءه ظهريا ،هذا وإليه مرجعه وبين يديه موقفه[١] .

فصل
فى سيد الاستغفار

فى الحديث الصحيح حديث : « سيد الاستغفار ،أن يقول العبد : اللهم إنك ربى لا إله إلا أنت ، خلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استعطت، أعوذ بك من شر ما صنعت ، أبوء لك بنعمتك علىّ وأبوء بذنبى ، فاغفر لى، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت . من قالها إذا أصبح موقناً بها فمات من يومه دخل الجنة ،ومن قالها إذا أمسى موقناً بها فمات من ليلته دخل الجنة » [٢].

وفى حديث أبى بكر الصديق من طريق أبى هريرة وعبد الله بن عمر :أن رسول الله ﷺ علمه ما يقوله إذا أصبح ،وإذا أمسى،وإذا أخذ مضجعه:« اللهم فاطر السموات والأرض عالم الغيب والشهادة ، رب كل شىء ومليكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت، أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسى سوءًا أو أجره إلى مسلم. قله إذا أصبحت ،وإذا أمسيت ،وإذا أخذت مضجعك » [٣].

وكان النبى ﷺ يقول فى خطبته:« الحمد لله ، نستعينه ونستغفره ،ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا »[٤] .

---

(١) الفوائد (٧٦ ـ ٧٧)

(٢) البخارى (٦٣٠٦) فى الدعوات ، باب : أفضل الاستغفار ، والترمذى (٣٣٩٣) فى الدعوات ، باب (١٥) .

(٣) الترمذى (٣٥٢٩) فى الدعوات ، باب (٩٥) ، وقال : « حسن غريب من هذا الوجه » ،وأحمد ١/ ١٤ .

(٤) الهيثمى فى المجمع (٢ / ١٩١) وقال : « رواه الطبرانى فى الكبير ، ورجاله ثقات » .

وقد قال النبى ﷺ :« إنى آخذ بحجزكم عن النار وأنتم تهافتون تهافت الفراش »[١] ، شبههم بالفراش لجهله وخفة حركته ،وهى صغيرة النفس ؛ فإنها جاهلة سريعة الحركة .

وفى الحديث :« مثل القلب مثل ريشة ملقاة بأرض فلاة »[٢]وفى حديث آخر:«للقلب أشد تقلبا من القدر إذا استجمعت غلياناً »[٣].ومعلوم سرعة حركة الريشة وسرعة حركة القدر مع الجهل،ولهذا يقال لمن أطاع من يغويه : إنه استخفه . قال عن فرعون :« إنه استخف قومه فأطاعوه » [٤] ، وقال تعالى: ﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ ﴿٦٠﴾ ﴾ [الروم] فإن الخفيف لا يثبت بل يطيش ،وصاحب اليقين ثابت ، يقال : أيقن إذا كان مستقراً ، واليقين : استقرار الإيمان فى القلب علماً وعملاً، فقد يكون علم العبد جيداً لكن نفسه لا تصبر عند المصائب بل تطيش .

قال الحسن البصرى : إذا شئت أن ترى بصيراً لا صبر له رأيته ، وإذا شئت أن ترى صابراً لا بصيرة له رأيته ، فإذا رأيت بصيراً صابرا فذاك ، قال تعالى :﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾ ﴾ [السجدة] .

ولهذا تشبه النفس بالنار فى سرعة حركتها وإفسادها وغضبها ، وشهوتها من النار والشيطان من النار .

فى السنن عن النبى ﷺ أنه قال :« الغضب من الشيطان والشيطان من النار ،وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ »[٥]. وفى الحديث الآخر : « الغضب جمرة توقد فى جوف ابن آدم »[٦]، ألا ترى إلى حمرة عينيه وانتفاخ أوداجه ، وهو غليان دم القلب لطلب الانتقام . وفى الحديث المتفق على صحته :« الشيطان يجرى من ابن آدم مجرى الدم »[٧].

وفى الصحيحين : أن رجلين استبا عند النبى ﷺ وقد اشتد غضب أحدهما ، فقال النبى ﷺ : « إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ، لو قال: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم »[٨] ، وقد قال تعالى : ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ

---

(١) البخارى (٦٤٨٣) فى الرقاق ، باب : الانتهاء عن المعاصى ، ومسلم (٢٢٨٥ /١٩) فى الفضائل ، باب : شفقته ﷺ على أمته ، ومبالغته فى تحذيرهم مما يضرهم .

(٢) الهيثمى فى المجمع (٢/٢٩٦) ، وقال : « رواه البزار وفيه أحمد بن عبد الجبار العطاردى ، وثقه الدارقطنى وغيره ، وقال ابن عدى ، رأيت أهل العراق مجمعين على ضعفه » .

(٣) أحمد ٦/ ٤ ، وقال الهيثمى فى المجمع (٧/ ٢١٤) : « رواه الطبرانى بأسانيد ورجال أحدها ثقات » .

(٤) إشارة إلى قوله تعالى :﴿ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ﴾ [الزخرف :٥٤]

(٥) أحمد ٤ / ٢٢٦ .

(٦) الترمذى (٢١٩١) فى الفتن ، باب (٢٦) وقال : « حسن صحيح » ، وأحمد ٣ / ١٩ .

(٧) البخارى (٧١٧١) فى الأحكام ، باب : الشهادة تكون عند الحاكم فى ولاية القضاء أو قبل ذلك الخصم .

(٨) انظر : مشكاة المصابيح (٢٤١٨) .

عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ (٣٤) وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ الَّذِينَ صَبَرُوا وَمَا يُلَقَّاهَا إِلاَّ ذُو حَظٍّ عَظِيمٍ (٣٥) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦) ﴾ [فصلت] .

وقال تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ (١٩٩) وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ (٢٠٠) ﴾ [الاعراف] .

وقال تعالى: ﴿ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ السَّيِّئَةَ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ (٩٦) وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ (٩٧) وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ (٩٨) ﴾ [المؤمنون] .

فصل

فى الاعتداء فى الدعاء

قوله تعالى: ﴿ إِنَّهُ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ (٥٥)﴾ [الاعراف] قيل: المراد: أنه لا يحب المعتدين فى الدعاء؛ كالذى يسأل ما لا يليق به من منازل الأنبياء وغير ذلك، وقد روى أبو داود فى سننه من حديث حماد بن سلمة عن سعيد الجريرى عن أبى نعامة: أن عبد الله ابن مغفل سمع ابنه يقول: اللهم إنى أسألك القصر الأبيض عن يمين الجنة إذا دخلتها. فقال: يا بنى سل الله الجنة، وتعوذ به من النار، فإنى سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إنه سيكون فى هذه الأمة قوم يعتدون فى الطهور والدعاء»(١).

وعلى هذا فالاعتداء فى الدعاء تارة بأن يسأل ما لا يجوز له سؤاله من الإعانة على المحرمات، وتارة بأن يسأل مالا يفعله الله، مثل أن يسأله تخليده إلى يوم القيامة، أو يسأله أن يرفع عنه لوازم البشرية من الحاجة إلى الطعام والشراب، أو يسأله أن يطلعه على غيبه، أو يسأله أن يجعله من المعصومين، أو يسأله أن يهب له ولدا من غير زوج ولا أمة، ونحو ذلك مما سؤاله اعتداء.

فكل سؤال يناقض حكمة الله، أو يتضمن مناقضة شرعه وأمره، أو يتضمن خلاف ما أخبر به فهو اعتداء لا يحبه الله ولا يحب سائله وفسر الاعتداء برفع الصوت أيضا فى

(١) البيهقى فى الكبرى (١ / ١٩٧) فى الطهارة.

الدعاء ، قال ابن جريج: من الاعتداء رفع الصوت فى الدعاء ،والنداء فى الدعاء والصياح.

وبعد فالآية أعم من ذلك كله ، وإن كان الاعتداء فى الدعاء مرادًا بها، فهو من جملة المراد ، واللّه لا يحب المعتدين فى كل شىء ، دعاء أو غيره ، كما قال: ﴿ **وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** (١٩٠) ﴾ .

وعلى هذا فيكون قد أمر بدعائه وعبادته ،وأخبر أنه لا يحب أهل العدوان وهم يدعون معه غيره، فهؤلاء أعظم المعتدين عدوانا ،فإن أعظم العدوان الشرك ، وهو وضع العبادة فى غير موضعها ، فهذا العدوان لا بد أن يكون داخلا فى قوله : ﴿ **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** (٥٥) ﴾.

ومن العدوان : أن يدعوه غير متضرع ، بل دعاء مدل كالمستغنى بما عنده المدل على ربه به، وهذا من أعظم الاعتداء المنافى لدعاء الضارع الذليل الفقير المسكين من كل جهة فى مجموع حالاته ، فمن لم يسأل مسألة مسكين متضرع خائف فهو معتد ومن الاعتداء: أن تعبده بما لم يشرعه وتثنى عليه بما لم يثن به على نفسه ولا أذن فيه ، فإن هذا اعتداء فى دعاء الثناء والعبادة ،وهو نظير الاعتداء فى دعاء المسألة والطلب ، وعلى هذا فتكون الآية دالة على شيئين :

أحدهما : محبوب للرب تبارك وتعالى مرضى له ، وهو الدعاء تضرعا وخفية .

والثانى : مكروه له مبغوض مسخوط ، وهو الاعتداء ، فأمر بما يحبه اللّه وندب إليه ، وحذر مما يبغضه وزجر عنه بما هو أبلغ طرق الزجر والتحذير ، وهو أنه لا يحب فاعله ، ومن لم يحبه اللّه فأى خير يناله .

وفى قوله :﴿ **إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ** (٥٥) ﴾ عقب قوله : ﴿ **ادْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً** ﴾ دليل على أن من لم يدعه تضرعا وخفية فهو من المعتدين الذين لا يحبهم ، فقسمت الآية الناس إلى قسمين داع للّه تضرعاً وخفية ، ومعتد بترك ذلك[1].

---

(١) بدائع الفوائد (٣ / ١٢ ـ ١٤) .

فائدة
فى الاستعاذة

قوله :« اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ،والعجز والكسل ،والجبن والبخل وضلع الدين وغلبة الرجال »[١] : استعاذ من ثمانية أشياء ، كل اثنين منها قرينان، فالهم والحزن قرينان ،وهما من آلام الروح ومعذباتها ، والفرق بينهما : أن الهم توقع الشر فى المستقبل ، والحزن التألم على حصول المكروه فى الماضى أو فوات المحبوب ، وكلاهما تألم عذاب يرد على الروح ، فإن تعلق بالماضى سمى حزنا ،وإن تعلق بالمستقبل سمى هما .

والعجز والكسل قرينان ،وهما من أسباب الألم ،لأنهما يستلزمان فوات المحبوب ، فالعجز يستلزم عدم القدرة ،والكسل يستلزم عدم إرادته ، فتتألم الروح لفواته بحسب تعلقها به والتذاذها بإدراكه لو حصل .

والجبن والبخل قرينان ؛ لأنهما عدم النفع بالمال والبدن وهما من أسباب الألم ؛ لأن الجبان تفوته محبوبات ومفرحات وملذوذات عظيمة ، لا تنال إلا بالبذل والشجاعة ، والبخل يحول بينه دونها أيضا ، فهذان الخلقان من أعظم أسباب الآلام .

وضلع الدين وقهر الرجال قرينان وهما مؤلمان للنفس معذبان لها ،أحدهما قهر بحق وهو ضلع الدين ، والثانى قهر بباطل وهو غلبة الرجال ، وأيضا فضلع الدين قهر بسبب من العبد فى الغالب وغلبة الرجال قهر بغير اختياره .

ومن ذلك تعوذه ﷺ « من المأثم والمغرم »[٢] فإنهما يسببان الألم العاجل ،ومن ذلك قوله: « أعوذ برضاك من سخطك ، وبمعافاتك من عقوبتك » [٣]،والسخط سبب الألم، والعقوبة هى الألم ، فاستعاذ من أعظم الآلام وأقوى أسبابها [٤].

---

(١) البخارى (٢٨٩٣) فى الجهاد ، باب : من غزا بصبى للخدمة .
(٢) البخارى (٨٣٢) فى الأذان ، باب : الدعاء قبل السلام .
(٣) مسلم (٤٨٦ / ٢٢٢) فى الصلاة ، باب : ما يقال فى الركوع والسجود .
(٤) بدائع الفوائد (٢ / ٢٠٧) .

فصل
فى معنى دعاء النبى ﷺ : « اللهم طهرنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد »

سألت شيخ الإسلام عن معنى دعاء النبى ﷺ :« اللهم طهرنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد » ، كيف يطهر الخطايا بذلك ؟ وما فائدة التخصيص بذلك وقوله فى لفظ آخر : « والماء البارد » والحار أبلغ فى الإنقاء ؟

فقال: الخطايا توجب للقلب حرارة ونجاسة وضعفاً ، فيرتخى القلب وتضطرم فيه نار الشهوة وتنجسه ،فإن الخطايا والذنوب له بمنزل الحطب الذى يمد النار ويوقدها ؛ ولهذا كلما كثرت الخطايا اشتدت نار القلب وضعفه،والماء يغسل الخبث ويطفئ النار ، فإن كان بارداً أورث الجسم صلابة وقوة ، فإن كان معه ثلج وبرد كان أقوى فى التبريد وصلابة الجسم وشدته ، فكان أذهب لأثر الخطايا . هذا معنى كلامه ،وهو محتاج إلى مزيد بيان وشرح .

فاعلم أن هاهنا أربعة أمور : أمران حسيان وأمران معنويان ، فالنجاسة التى تزول بالماء هى ومزيلها حسيان،وأثر الخطايا التى تزول بالتوبة والاستغفار هى ومزيلها معنويان ، وصلاح القلب وحياته ونعيمه لا يتم إلا بهذا وهذا ، فذكر النبى صلى الله عليه وآله وسلم من كل شطر قسما نبه به على القسم الآخر ، فتضمن كلامه الأقسام الأربعة فى غاية الاختصار وحسن البيان كما فى حديث الدعاء بعد الوضوء « اللهم اجعلنى من التوابين ، واجعلنى من المتطهرين » فإنه يتضمن ذكر الأسماء الأربعة .

ومن كمال بيانه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم وتحقيقه لما يخبر به ويأمر به : تمثيله الأمر المطلوب المعنوى بالأمر المحسوس ،وهذا كثير فى كلامه ،كقوله فى حديث على بن أبى طالب : « سل الله الهدى والسداد ، واذكر بالهدى هدايتك الطريق، وبالسداد سداد السهم » إذ هذا من أبلغ التعليم والنصح ، حيث أمره أن يذكر إذا سأل الله الهدى إلى طريق رضاه وجنته : كونه مسافرا وقد ضل عن الطريق ولا يدرى أين يتوجه فطلع له رجل خبير بالطريق عالم بها ، فسأله أن يدله على الطريق ، فهكذا شأن طريق الآخرة تمثيلا لها بالطريق المحسوس للمسافر وحاجة المسافر إلى الله سبحانه :إلى أن يهديه تلك الطريق أعظم من حاجة المسافر إلى بلد إلى من يدله على الطريق الموصل إليها .

وكذلك السداد ـ وهو إصابة القصد قولاً وعملاً ـ فمثله مثل رامى السهم إذا وقع سهمه فى نفس الشىء الذى رماه فقد سدد سهمه وأصاب ولم يقع باطلا، فهكذا المصيب للحق فى قوله وعمله بمنزلة المصيب فى رميه . وكثيرا ما يقرن فى القرآن هذا وهذا ، فمنه قوله تعالى ﴿وَتَزَوَّدُوا فَإِنَّ خَيْرَ الزَّادِ التَّقْوَىٰ ﴾ [البقرة :١٩٧] أمر الحاج بأن يتزودوا لسفرهم ولا يسافروا بغير زاد ،ثم نبههم على أن زاد سفر الآخرة هو التقوى ، فكما أنه لا يصل المسافر إلى مقصده إلا بزاد يبلغه إياه ، فكذلك المسافر إلى الله تعالى والدار الآخرة لا يصل إلا بزاد من التقوى ، فجمع بين الزادين .

ومنه قوله تعالى﴿ يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَىٰ ذَٰلِكَ خَيْرٌ ﴾ [الاعراف : ٢٦]جمع بين الزينتين : زينة البدن باللباس وزينة القلب بالتقوى ، زينة الظاهر والباطن وكمال الظاهر والباطن .

ومنه قوله تعالى﴿ فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ (١٢٣) ﴾ [طه] فنفى عنه الضلال الذى هو عذاب القلب والروح الشقاء الذى هو عذاب البدن والروح أيضا ، فهو منعم القلب والبدن بالهدى والفلاح .

ومنه قول امرأة العزيز عن يوسف عليه السلام لما أرته النسوة اللائمات لها فى حبه : ﴿ فَذَٰلِكُنَّ الَّذِي لُمْتُنَّنِي فِيهِ ﴾ [يوسف :٣١] فأرتهن جماله الظاهر، ثم قالت : ﴿وَلَقَدْ رَاوَدتُّهُ عَن نَّفْسِهِ فَاسْتَعْصَمَ ﴾ [يوسف : ٣١] فأخبرت عن جماله الباطن بعفته فأخبرتهن بجمال باطنه وأرتهن جمال ظاهره .

فنبه صلى الله عليه وآله وسلم بقوله: اللهم طهرنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد» على شدة حاجة البدن والقلب إلى ما يطهرهما ويبردهما ويقويهما، وتضمن دعاؤه سؤال هذا وهذا ، والله تعالى أعلم .

وقريب من هذا :أنه صلى الله تعالى عليه وآله وسلم كان إذا خرج من الخلاء قال : « غفرانك » (١)،وفى هذا من السر ـ والله أعلم ـ:أن النجو يثقل البدن ويؤذيه باحتباسه ، والذنوب تثقل القلب وتؤذيه باحتباسها فيه ،فهما مؤذيان مضران بالبدن والقلب، فحمد

(١) أبو داود (٣٠) فى الطهارة ، باب : ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء ، والترمذى (٧) فى الطهارة ،باب : ما يقول إذا خرج من الخلاء ، وقال : « حسن غريب » ، وصححه الألبانى .

اللّه عند خروجه على خلاصه من هذا المؤذى لبدنه ، وخفة البدن وراحته ، وسأل أن يخلصه من المؤذى الآخر ، ويريح قلبه منه ويخففه ، وأسرار كلماته وأدعيته صلى اللّه تعالى عليه وآله وسلم فوق ما يخطر بالبال[١] .

فصل
فى علاج مرض القلب من استيلاء النفس عليه

إن سائر أمراض القلب إنما تنشأ من جانب النفس ، فالمواد الفاسدة كلها إليها تنصب ثم تنبعث منها إلى الأعضاء ، وأول ما تنال القلب .وقد كان رسول الله ﷺ يقول فى خطبة الحاجة :« الحمد للّه نستعينه ونستهديه ونستغفره ، ونعوذ باللّه من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا » [٢].

وفى المسند والترمذى من حديث حصين بن عبيد ورد أن رسول اللّه ﷺ قال له :« يا حصين ، كم تعبد ؟» قال :سبعة ، ستة فى الأرض وواحد فى السماء. قال: «فمن الذى تُعد لرغبتك ورهبتك ؟ » ، قال : الذى فى السماء ، قال : أسلم حتى أعلمك كلمات ينفعك اللّه بها » فأسلم . فقال :« قل :اللهم ألهمنى رشدى ، وقنى شر نفسى » [٣] .

وقد استعاذ ﷺ من شرها عموماً ومن شر ما يتولد منها من الأعمال ، ومن شر ما يترتب على ذلك من المكاره والعقوبات ،وجمع بين الاستعاذة من شر النفس ومن سيئات الأعمال . وفيه وجهان:

أحدهما :أنه من باب إضافة النوع إلى جنسه ، أى أعوذ بك من هذا النوع من الأعمال .

والثانى : أن المراد به عقوبات الأعمال التى تسوء صاحبها .

فعلى الأول : يكون قد استعاذ من صفة النفس وعملها، وعلى الثانى : يكون قد استعاذ من العقوبات وأسبابها [٤].

---

(١) إغاثة اللهفان (١ / ٥٧ ـ ٥٩) .

(٢) أبو داود (٢١١٨) فى النكاح ، باب : فى خطبة النكاح .

(٣) الترمذى (٣٤٨٣) وقال : « غريب » ، وضعفه الألبانى .

(٤) إغاثة اللهفان (١ / ٧٤، ٧٥) .

فصل
فى الدعاء والقدر

هاهنا سؤال مشهور ، وهو :

أن المدعوّ به إن كان قد قدر لم يكن بد من وقوعه ، دعا به العبد أو لم يدْعُ ، وإن لم يكن قد قُدر لم يقع، سواء سأله العبد أو لم يسأله.

فظنت طائفة صحة هذا السؤال ، فتركت الدعاء وقالت : لا فائدة فيه. وهؤلاء ـ مع فرط جهلهم وضلالهم ـ متناقضون ، فإن طرد مذهبهم يوجب تعطيل جميع الأسباب ، فيقال لأحدهم :

إن كان الشبع والرى قد قُدِّرا لك فلابد من وقوعهما ، أكلت أو لم تأكل ، وإن لم يقدرا لم يقعا ، أكلت أو لم تأكل .

وإن كان الولد قد قدر لك فلا بد منه، وطئت الزوجة أو الأمة أو لم تطأ، وإن لم يقدر ذلك لم يكن ؛ فلا حاجة إلى التزوج والتسرى . وهلم جرا .

فهل يقول هذا عاقل أو آدمى ؟ بل الحيوان البهيم مفطور على مباشرة الأسباب التى بها قوامه وحياته ، فالحيوانات أعقل وأفهم من هؤلاء الذين هم كالأنعام، بل هم أضل سبيلاً .

وتكايس[1] بعضهم وقال: الاشتغال بالدعاء من باب التعبد المحض يثيب اللّه عليه الداعى، من غير أن يكون له تأثير فى المطلوب بوجه ما ، ولا فرق عند هذا المتكيس بين الدعاء وبين الإمساك عنه بالقلب واللسان فى التأثير فى حصول المطلوب . وارتباط الدعاء عندهم به كارتباط السكوت ، ولا فرق .

وقالت طائفة أخرى أكيس من هؤلاء : بل الدعاء علامة مجردة نصبها اللّه ـ سبحانه ـ أمارة على قضاء الحاجة ، فمتى وفق اللّه العبد للدعاء كان ذلك علامة له وأمارة على أن حاجته قد قضيت ، وهذا كما إذا رأينا غيما أسود بارداً فى زمن الشتاء ، فإن ذلك دليل وعلامة على أنه يمطر .

قالوا : وهكذا حكم الطاعات مع الثواب،والكفر والمعاصى مع العقاب ، هى أمارات

---

(١) أى تظرّف .

محضة لوقوع الثواب والعقاب ، لا أنها أسباب له .

وهكذا عندهم الكسر مع الانكسار ، و الحرق مع الإحراق، والإزهاق مع القتل، ليس شيء من ذلك سبباً البتة، ولا ارتباط بينه وبين ما يترتب عليه ، إلا مجرد الاقتران العادى ، لا التأثير السببى ، وخالفوا بذلك الحس والعقل ، والشرع والفطرة ، وسائر طوائف العقلاء، بل أضحكوا عليهم العقلاء .

والصواب : أن هاهنا قسما ثالثا، غير ما ذكره السائل، وهو أن هذا المقدّر قدر بأسباب، ومن أسبابه الدعاء. فلم يقدر مجرداً عن سببه ، ولكن قدّر بسببه ، فمتى أتى العبد بالسبب وقع المقدور ، ومتى لم يأت بالسبب انتفى المقدور ، وهذا كما قدر الشبع والرى بالأكل والشرب، وقدر الولد بالوطء، وقدر حصول الزرع بالبذر، وقدر خروج نفس الحيوان بالذبح، وكذلك قدر دخول الجنة بالأعمال ، ودخول النار بالأعمال ، وهذا القسم هو الحق، وهذا الذى حرمه السائل ولم يوفق له (١) .

فصل
فى آفات الدعاء

من الآفات التى تمنع ترتب أثر الدعاء عليه : أن يستعجل العبد ، ويستبطئ الإجابة ، فيستحسر ويدعُ الدعاء ، وهو بمنزلة من بذر بذرا أو غرس غرسا ، فجعل يتعهده ويسقيه ، فلما استبطأ كماله وإدراكه تركه وأهمله .

وفى صحيح البخارى من حديث أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال: « يُستجابُ لأحدكم ما لم يعجل، يقول: دعوتُ فلم يُستجب لى » (٢).

وفى صحيح مسلم عنه : « لا يزالُ يستجابُ للعبد ، ما لم يدْع بإثم أو قطيعة رحم، ما لم يستعجل » قيل : يا رسول الله ، وما الاستعجال ؟ قال: « يقول: دعوت وقد دعوت ، فلم يستجاب لى ، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » (٣) .

وفى مسند من حديث أنس قال: قالرسول ﷺ: « لايزال العبد بخير يستعجل: قالوا : يا رسول الله ، كيف يستعجل؟ قال : يقول: قد دعوت ربى فلم يستجب لى » (٤) (٥) .

---

(١) الداء والدواء (٣٥ ـ ٣٧) .

(٢) البخارى (٦٣٤٠) فى الدعوات ، باب: يستجاب للعبد ما لم يعجل .

(٣) مسلم (٢٧٣٥ / ٩٢) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: بيان أنه يستجاب للداعى ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لى

(٤) أحمد ٣/ ١٩٣ ، ٢١٠ .

(٥) الداء والدواء (٢٦ ، ٢٧) .

وأيضا

قوله تعالى : ﴿ وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾ [الطلاق]: لما ذكر كفايته للمتوكل عليه فربما أوهم ذلك تعجل الكفاية وقت التوكل فعقبه بقوله : ﴿قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا ﴿٣﴾ ﴾. أى وقتا لا يتعداه فهو يسوقه إلى وقته الذى قدره له. فلا يستعجل المتوكل ويقول: قد توكلت ودعوت فلم أر شيئاً ولم تحصل لى الكفاية ، فالله بالغ أمره فى وقته الذى قدر له [١].

فصل

فى فساد ذكر الله بالاسم المفرد

قوله تعالى : ﴿ وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴾ [الانعام:٩١] : رتب على ذلك بعضهم[٢] أن الذكر بالاسم المفرد وهو « اللّه، اللّه » أفضل من الذكر بالجملة المركبة كقوله: « سبحان اللّه ،والحمد للّه، ولا إله إلا اللّه، والله أكبر » وهذا فاسد مبنى على فاسد. فإن الذكر بالاسم المفرد غيرمشروع أصلا ، ولا مفيد شيئا ، ولا هو كلام أصلا ،ولا يدل على مدح ولا تعظيم ، ولا يتعلق به إيمان ،ولا ثواب ، ولا يدخل به الذاكر فى عقد الإسلام جملة ، فلو قال الكافر : « اللّه ، اللّه » من أول عمره إلى آخره لم يصر بذلك مسلما ،فضلا عن أن يكون من جملة الذكر ، أو يكون أفضل الأذكار ، وبالغ بعضهم فى ذلك حتى قال: الذكر بالاسم المضمر أفضل من الذكر بالاسم الظاهر! فالذكر بقوله : « هو ، هو » أفضل من الذكر بقولهم : « الله ، اللّه » ، كل هذا من أنواع الهوس والخيالات الباطلة المفضية بأهلها إلى أنواع من الضلالات ، فهذا فساد هذا البناء الهائر ، وأما فساد المبنى عليه فإنهم ظنوا أن قوله تعالى : ﴿ قُلِ اللَّهُ ﴾ [الانعام : ٩١] أى قل:هذا الاسم ، فقل : الله الله ، وهذ من عدم فهم القوم لكتاب الله ، فإن اسم الله هذا جواب لقوله : ﴿قُلْ مَنْ أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاءَ بِهِ مُوسَىٰ نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ تَجْعَلُونَهُ قَرَاطِيسَ تُبْدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا﴾ [الانعام:٩١] إلى أن قال: « الله » أتى وقال اللّه أنزله . فإن السؤال معاد فى الجواب فيتضمنه فيحذف اختصارا كما يقول : من خلق السموات والأرض؟ فيقال: الله . أى اللّه خلقها ، فيحذف الفعل لدلالة السؤال عليه . فهذا معنى الآية الذى لا تحتمل غيره [٣].

---

(١) إعلام الموقعين (٤ / ٢٠٧ ، ٢٠٨) .

(٢) من المتصوفة .

(٣) طريق الهجرتين (٣٣٨ ، ٣٣٩) .

باب
فى هديه ﷺ فى الذكر

كان النبى ﷺ أكمل الخلق ذكرا لله عز وجل ، بل كان كلامه كلّه فى ذكر اللّه وما والاه ، وكان أمره ونهيه وتشريعه للأمة ذكرا منه للّه، وإخباره عن أسماء الربّ وصفاته ، أحكامه، وأفعاله ، ووعده ووعيده ، ذكراً منه له ، وثناؤه عليه بآلائه ،وتمجيده وحمده وتسبيحه ذكراً منه له ، وسؤاله دعاؤه إياه ، ورغبته ورهبته ذكرا منه له ، وسكوته وصمته ذكرا منه له بقلبه ، فكان ذاكراً للّه فى كل أحيانه، وعلى جميع أحواله ،وكان ذكره للّه يجرى مع أنفاسه ، قائما وقاعدا وعلى جنبه ، وفى مشيه وركوبه ،ومسيره ، ونزوله وظعنه وإقامته (١) .

فصل
فى ذكر طرفى النهار وهما بين الصبح
وطلوع الشمس ، وما بين العصر والغروب

قال سبحانه وتعالى : ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا ﴿٤٢﴾** ﴾ [الأحزاب] والأصيل: قال الجوهرى :هو الوقت بعد العصر إلى المغرب وجمعه : أصل وآصال وأصائل ، كأنه جمع أصيلة .

قال الشاعر :

لعمرى لأنت البيت أكرم أهله وأقعُدُ فى أفيائه بالأصَائل

ويجمع أيضاً على أُصلان ، مثل بعير وبُعْران ،ثم صغّروا الجمع فقالوا : أُصيْلان، ثم أبدلوا من النون لاماً ، فقالوا : أُصَيْلال .

قال الشاعر :

وقفتُ فيها أصيْلالا أُسائلُها أعيتْ جوابا ما بالربْع من أحدِ

(١) زاد المعاد (٢ / ٣٦٥) .

وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ ﴿٥٥﴾ ﴾ [غافر]، فالإبكار: أول النهار، والعشى: آخره، وقال تعالى: ﴿ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾ ﴾[ق]، وهذا تفسير ما جاء فى الأحاديث: من قال كذا وكذا حين يصبح وحين يمسى، أن المراد به: قبل طلوع الشمس وقبل غروبها، وأن محل هذه الأذكار بعد الصبح وبعد العصر.

وفى صحيح مسلم عن أبى هريرة، عن النبى ﷺ قال: « من قال حين يصبح وحين يمسى: سبحان الله وبحمده مائة مرة، لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به، إلا أحد قال مثل ما قال، أو زاد عليه » (١).

وفى صحيحه أيضا عن ابن مسعود قال: كان نبى الله ﷺ إذا أمسى قال: « أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، رب أسألك خير ما فى هذه الليلة، وخير ما بعدها وأعوذ بك من شرِّ ما فى هذه الليلة وشر ما بعدها، رب أعوذ بك من الكسل وسوء الكبر، رب وأعوذ بك من عذاب فى النار وعذاب فى القبر » وإذا أصبح قال ذلك أيضا: « أصبحنا وأصبح الملك لله » (٢).

وفى « السنن » عن عبد الله بن خُبيب قال: قال رسول الله ﷺ: « قل » قلت: يا رسول الله، ما أقول؟ قال: « قُلْ: ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ والمعوذتين، وحين تُمسى، وحين تُصبح ثلاث مرات تكفيك من كلِّ شىء ». قال الترمذى: حديث حسن صحيح (٣).

وفى الترمذى أيضا عن أبى هريرة، أن النبى ﷺ كان يعلم أصحابه يقول: « إذا أصبح أحدكم فليقل: اللهم بك أصبحنا، وبك أمسينا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور، وإذا أمسى فليقل: اللهم بك أمسينا، وبك أصبحنا، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك المصير »، قال الترمذى: حديث حسن صحيح (٤).

وفى صحيح البخارى عن شداد بن أوس، عن النبى ﷺ قال: « سيدُ الاستغفار: اللهم أنت ربى، لا إله إلا أنت، خلقتنى وأنا عبدك، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على، وأبوء بذنبى، فاغفر لى، فإنه لا

---

(١) مسلم (٢٦٩٢/ ٢٩) فى الذكر والدعاء، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٢) مسلم (٢٧٢٣ / ٧٥) فى الذكر والدعاء، باب: التعوذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل.

(٣) أبو داود (٥٠٨٢) فى الأدب، باب: ما يقول إذا أصبح، والترمذى (٣٥٧٥) فى الدعوات، باب (١١٧)، وقال: « حسن صحيح غريب »، والنسائى (٥٤٢٨) فى الاستعاذة.

(٤) الترمذى (٣٣٩١) فى الدعوات، باب: ما جاء فى الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى، وقال: « حسن ».

يغفر الذنوب إلا أنت ،من قالها حين يُمسى ، فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها حين يُصبح ، فمات من يومه دخل الجنة » (١).

وفى الترمذى عن أبى هريرة :أن أبا بكر الصديق قال لرسول اللّه ﷺ: مرنى بشىء أقوله إذا أصبحت وإذا أمسيت. قال: « قُل : اللهم عالمُ الغيب والشهادة ، فاطر السموات والأرض ،رب كلُ شىء ومليكه، أشهد أن لا إله إلا أنت أعوذ بك من شر نفسى وشر الشيطان وشركه ،وأن نقترف سوءا على أنفسنا أو نجرّه إلى مسلم (٢). قله إذا أصبحت ، وإذا أمسيت ،وإذا أخذت مضجعك ». قال الترمذى : حديث حسن صحيح(٣) .

وفى الترمذى أيضا عن عثمان بن عفان قال: قال رسول اللّه ﷺ :« ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهوالسميع العليم ـ ثلاث مرات ـ فيضره شىء ». وقال الترمذى: حديث حسن صحيح (٤).

وفيه أيضاً عن ثوبان وغيره ، أن رسول اللّه ﷺ قال:« من قال حين يُمسى وإذا أصبح : رضيت باللّه ربا وبالإسلام دينا وبمحمد ﷺ نبيا ، كان حقا على اللّه أن يرضيه ». وقال :حديث حسن صحيح (٥).

وفى الترمذى أيضا :عن أنس ،أن رسول اللّه ﷺ قال:« من قال حين يصبح أو يمسى:اللهم إنى أصبحت أشهدك ؛وأشهد حملة عرشك ،وملائكتك ،وجميع خلقك؛ أنك أنت اللّه لا إله إلا أنت ،وأن محمدا عبدك ورسولك ،أعتق اللّه رُبعه من النار، ومن قالها مرتين ،أعتق اللّه نصفه من النار ،ومن قالها ثلاثا ، أعتق اللّه ثلاث أرباعه من النار ، ومن قالها أربعا ، أعتقه اللّه من النار » (٦).

وفى « سنن أبى داود » عن عبد الله بن غنام ،أن رسول اللّهﷺ قال:« من قال حين يصبح : اللهم ما أصبح بى نعمة أو بأحد من خلقك ،فمنك وحدك لا شريك لك، لك

---

(١) البخارى (٦٣٠٦) فى الدعوات ، باب: أفضل الاستغفار .

(٢) جملة : « وأن نقترف سوءا على أنفسنا أو نجره إلى مسلم » من رواية أخرى ، الترمذى (٣٥٢٩) فى الدعوات، باب: (٩٥) وقال: « حسن غريب من هذا الوجه » .

(٣) الترمذى (٣٣٩٢) فى الدعوات ، باب (١٤) .

(٤) الترمذى (٣٣٨٨) فى الدعوات ، باب: ما جاء فى الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ، وقال:« حسن صحيح غريب » .

(٥) الترمذى (٣٣٨٩) فى الدعوات ، باب : ما جاء فى الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى .

(٦) أبو داود (٥٠٦٩) فى الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح ، وضعفه الألبانى .

الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يُمسى ، فقد أدى شكر ليلته» (١).

وفى السنن و صحيح الحاكم عن عبد الله بن عمر قال: « لم يكن النبى ﷺ يدع هؤلاء الكلمات حين يمسى ، وحين يصبح: « اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة، اللهم إنى أسألك العفو والعافية فى دينى ودنياى ، وأهلى ومالى، اللهم استر عوراتى، وآمن روعاتى ، اللهم احفظنى من بين يدى ، ومن خلفى ، وعن يمينى، وعن شمالى ، ومن فوقى ، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى »(٢) قال وكيع : يعنى الخسف .

وعن طلق بن حبيب قال: جاء رجل إلى أبى الدرداء فقال: يا أبا الدرداء ، قد احترق بيتك . فقال: ما احترق ، لم يكن الله ليفعل ذلك ، لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ ، من قالها أول النهار لم تصبه مصيبة حتى يمسى ، ومن قالها آخر النهار لم تصبه مصيبة حتى يصبح : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، عليك توكلت ، وأنت رب العرش العظيم، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أعلم أن الله على كل شىء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شىء علما . اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر كل دابة أنت آخذ بناصيتها ، إن ربى على صراط مستقيم » (٣) (٤) .

وأيضا

كان ﷺ إذا صلى الصبح ، جلس فى مصلاه حتى تطلع الشمس يذكر الله عز وجل.

وكان يقول إذا أصبح : « اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا، وبك نموت، وإليك النشور »(٥) حديث صحيح .

وكان يقول : « أصبحنا وأصبح الملك لله ، والحمد لله ، ولا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك، وله الحمد ، وهو على كلّ شىء قدير ، رب أسألك خير ما فى

---

(١) أبو داود (٥٠٧٣) فى الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح ، وضعفه الألبانى .

(٢) أبو داود (٥٠٧٤) فى الأدب ، باب: ما يقول: إذا أصبح ، وابن ماجه (٣٨٧١) فى الدعاء ، باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى ، والحاكم فى المستدرك ١/٥١٧ فى الدعاء ، باب: دعاء الصبح والمساء ، وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(٣) ابن السنى فى عمل اليوم والليلة (٥٧ ، ٥٨) ، وقال العراقى فى تخريج الإحياء : « رواه الطبرانى بسند ضعيف » .

(٤) الوابل الصيب (١٩٢ ـ ٢٠١) .

(٥) أبو داود (٥٠٦٨) فى الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح ، والترمذى (٣٣٨٨) فى الدعوات ، باب : ما جاء فى الدعاء إذا أصبح .

هذا اليوم ، وخير ما بعده ، وأعوذ بك من شر هذا اليوم ، وشر ما بعده ، رب أعوذ بك من الكسل ، وسوء الكبر ، رب أعوذ بك من عذاب فى النار ، وعذاب فى القبر ، وإذا أمسى قال: أمسينا وأمسى الملك لله . . . » إلى آخره ، ذكره مسلم (١).

وقال له أبو بكر الصديق رضي الله عنه : مرنى بكلمات أقولهن إذا أصبحت وإذا أمسيت ، قال: قلْ :« اللهم فاطر السماوات والأرض ، عالم الغيب والشهادة ،رب كل شىء ومليكه ومالكه ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أعوذ بك من شر نفسى ، ومن شر الشيطان وشركه ، وأن أقترف على نفسى سوءا أو أجره إلى مسلم » قال:« قُلها إذا أصبحت وإذا أمسيت، وإذا أخذت مضجعك » (٢) ،حديث صحيح .

وقال ﷺ :« ما من عبد يقول فى صباح كل يوم ومساء كل ليلة : بسم الله الذى لا يضر مع اسمه شىء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ، ثلاث مرات ، إلان يضره شىء » حديث صحيح(٣) .

وقال :« من قال حين يصبح وحين يمسى : رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا ،وبمحمد نبيا ، كان حقا على الله أن يرضيه » صححه الترمذى والحاكم (٤).

وقال:« من قال حين يصبح وحين يمسى : اللهم إنى أصبحت أشهدك ، وأشهد حملة عرشك وملائكتك ، وجميع خلقك ،أنك أنت الله الذى لا إله إلا أنت، وأن محمد عبدك ورسولك ؛ أعتق الله ربعه من النار ، وإن قالها مرتين ، أعتق الله نصفه من النار ، وإن قالها ثلاثاً أعتق ثلاثة أرباعه من النار ، وإن قالها أربعاً أعتقه الله من النار » حديث حسن(٥) .

وقال :« من قال حين يصبح :اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك، فمنك وحدك لا شريك لك ، لك الحمد ،ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه ،ومن قال ذلك حين يمسى ،فقد أدى شكر ليلته » (٦) حديث حسن .

وكان يدعو حين يصبح وحين يمسى بهذه الدعوات « اللهم إنى أسألك العافية فى الدنيا والآخرة ،واللهم إنى أسألك العفو العافية فى الدنيا والآخرة ،اللهم إنى أسألك العفو العافية فى دينى ودنياى وأهلى ومالى ، اللهم استر عوراتى ،وآمن روعاتى ،اللهم احفظنى

---

(١) مسلم (٢٧٢٣ / ٧٥) فى الذكر والدعاء ، باب : التعوذ من شر ما عمل وشر ما لم يعمل .
(٢) سبق تخريجه ص ٢٨٩ .
(٣) سبق تخريجه ص ٢٨٩ .
(٤) الترمذى (٣٣٨٩) فى الدعوات ، باب : ما جاء فى الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ، والحاكم (١ / ٥١٨) .
(٥) أبو داود (٥٠٦٩) فى الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح . وضعفه الألبانى .
(٦) سبق تخريجه ص ٢٩٠ .

من بين يدى ،ومن خلفى ،وعن يمينى وعن شمالى ،ومن فوقى، وأعوذ بعظمتك أن أغتال من تحتى » صححه الحاكم(١) .

وقال:« إذا أصبح أحدكم فليقل:أصبحنا وأصبح الملك لله رب العالمين ،اللهم إنى أسألك خير هذا اليوم فتحه ونصره ونوره وبركته وهدايته ،وأعوذ بك من شر ما فيه وشر ما بعده ،ثم إذا أمسى ، فليقل مثل ذلك » حديث حسن(٢) .

وذكر أبو داود عنه أنه قال لبعض بناته :«قولى حين تصبحين: سبحان اللّه وبحمده ، ولا حول ولا قوة إلا باللّه العلى العظيم ، ما شاء اللّه كان ، وما لم يشأ لم يكن، أعلم أن اللّه على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علما ، فإنه من قالهن حين يصبح، حفظ حتى يمسى ،ومن قالهن حين يمسى حفظ حتى يصبح » (٣).

وقال لرجل من الأنصار :« ألا أعلمك كلاما إذا قلته أذهب الله همك ، وقضى عنك دينك » قلتُ : بلى يا رسول اللّه ،قال:« قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن ،وأعوذ بك من العجز والكسل ،وأعوذ بك من الجبن البخل ، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال » قال: فقلتهن ،فأذهب اللّه همى ،وقضى عنى دينى (٤).

وكان إذا أصبح قال: « أصبحنا على فطرة الإسلام ، وكلمة الإخلاص ، ودين نبينا محمد ﷺ ، وملة أبينا إبراهيم حنيفا مسلما ، وما كان من المشركين » (٥) .

هكذا فى الحديث« ودين محمد ﷺ » وقد استشكله بعضهم وله حكم نظائره كقوله فى الخطب والتشهد فى الصلاة « أشهد أن محمداً رسول اللّه » فإنه ﷺ مكلف بالإيمان بأنه رسول اللّه ﷺ إلى خلقه ، ووجوب ذلك عليه أعظم من وجوبه على المرسل إليهم، فهو نبى إلى نفسه وإلى الأمة التى هو منهم ، وهو رسول اللّه إلى نفسه وإلى أمته .

ويذكر عنه ﷺ أنه قال لفاطمة ابنته :« ما يمنعك أن تسمعى ما أوصيك به: أن تقولى إذا أصبحت وإذا أمسيت: يا حى يا قيوم بك أستغيث ، فأصلح لى شأنى ،ولا تكلنى إلى نفسى طرفة عين »(٦).

---

(١) سبق تخريجه ص ٢٩٠ .

(٢) أبو داود (٥٠٨٤) فى الأدب ، باب ما يقول إذا أصبح . وضعفه الألبانى .

(٣) أبو داود (٥٠٧٥) فى الأدب ، باب: ما يقول إذا أصبح ،وضعفه الألبانى .

(٤) أبو داود (١٥٥٥) فى الصلاة ، باب: فى الاستعاذة ، وضعفه الألبانى .

(٥) أحمد ٣/٤٠٦ ، ٤٠٧ ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/١١٨ ،١١٩) فى الأذكار ، باب:ما يقول إذا أصبح وإذا أمسى : فيه إسماعيل بن يحيى بن سلمة بن كهيل ، وهو متروك » .

(٦) الحاكم فى المستدرك (١/٥٤٥) فى الدعاء ،باب: ما يقال إذا أصبح وإذا أمسى ،وقال :«صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى . قال الأرناؤوطى:«وفيه عثمان بن موهب وليس عثمان بن عبد الله ابن موهب كما فى المستدرك. قال أبو حاتم : صالح الحديث وباقى رجاله ثقات » .

ويذكر عنه ﷺ أنه قال لرجل شكا إليه إصابة الآفات « قل: إذا أصبحت: بسم الله على نفسى .وأهلى ومالى ، فإنه لا يذهب عليك شيء » (١).

ويذكر عنه أنه كان إذا أصبح قال:« اللهم إنى أسألك علما نافعا ،ورزقا طيباً ، وعملاً متقبلاً » (٢).

يذكر عنه ﷺ: أن العبد إذا قال حين يُصبح ثلاث مرات:« اللهم إنى أصبحت منك فى نعمة عافية وستر ،فأتمم على نعمتك وعافيتك وسترك فى الدنيا والآخرة ،وإذا أمسى، قال ذلك ، كان حقا على الله أن يتم عليه» (٣) .

ويذكر عنه ﷺ أنه قال:« من قال فى كلّ يوم حين يصبح وحين يُمسى : حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم سبع مرات، كفاه الله ما أهمه من أمر الدنيا والآخرة »(٤) .

ويذكر عنه ﷺ أنه من قال هذه الكلمات فى أول نهاره ، لم تُصبه مصيبة حتى يُمسى، ومن قالها آخر نهاره لم تُصبه مصيبة حتى يُصبح : « اللهم أنت ربى لا إله إلا أنت ، عليك توكلت ،وأنت رب العرش العظيم ، ما شاء الله كان ، وما لم يشأ لم يكن ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ، أعلم أن الله على كل شيء قدير ، وأن الله قد أحاط بكل شيء علماً ، اللهم إنى أعوذ بك من شر نفسى وشر كل دابة أنت آخذ بناصيتها، إن ربى على صراط مستقيم » (٥) وقد قيل لأبى الدرداء :قد احترق بيتك فقال: ما احترق،ولم يكن الله عز وجل ليفعل ، لكلمات سمعتهن من رسول الله ﷺ فذكرها .

وقال :« سيد الاستغفار: أنت ربى، لا إله إلا أنت حلقتنى وأنا عبدك ، وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت ،أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على ، وأبوء بذنبى فاغفر لى فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، من قالها حين يصبح موقنا بها فمات من يومه ، دخل الجنة ،ومن قالها حين يُمسى موقنا بها ، فمات من ليلته ، دخل الجنة » (٦).

---

(١) الأذكار للنووى (٢١٣) وضعف إسناده .

(٢) ابن ماجه (٩٢٥) فى إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما يقال بعد التسليم .

(٣) الأذكار للنووى (٢١٥) وعزاه لابن السنى .

(٤) أبو داود (٥٠٨١) فى الأدب ، باب: ما يقول إذا أصبح موقوفا على أبى الدرداء بزيادة :« صادقا كان بها أو كاذبا » ، وضعفه الألبانى .

(٥) كنز العمال (٣٥٨٣) وعزاه للديلمى .

(٦) البخارى (٦٣٠٦) فى الدعوات ، باب: أفضل الاستغفار .

« من قال حين يصبح وحين يمسى : سبحان اللّه وبحمده مائة مرة ،لم يأت أحد يوم القيامة بأفضل مما جاء به إلا أحد قال مثل ما قال ، أو زاد عليه » (١).

وقال : «من قال حين يصبح عشر مرات لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، له الملك، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، كتب اللّه له بها عشر حسنات ، ومحا عنه بها عشر سيئات ، وكانت كعدل عشر رقاب ، وأجاره اللّه يومه من الشيطان الرجيم، وإذا أمسى فمثل ذلك حتى يصبح » (٢).

وقال : « من قال حين يصبح: لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له،له الملك وله الحمد، وهو على كل شيء قدير ، وفى اليوم مائة مرة ، كانت له عدل عشر رقاب ، وكتب له مائة حسنة ، ومحيت عنه مائة سيئة ،وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر منه » (٣).

وفى « المسند » وغيره أنه ﷺ علم زيد بن ثابت، وأمره أن يتعاهد به أهله فى كل صباح « لبّيك اللهم لبيك ، لبيك وسعديك ،والخير فى يديك ،ومنك وبك وإليك ، اللهم ما قلت من قول ، أو حلفت من حلف . أو نذرت من نذر .فمشيئتك بين يدى ذلك كله، ما شئت كان وما لم تشأ لم يكن،ولا حول ولا قوة إلا بك ،إنك على كل شيء قدير، اللهم ما صليت من صلاة فعلى من صليت ،وما لعنت من لعنة فعلى من لعنت ، أنت ولىى فى الدنيا الآخرة ، توفنى مسلما وألحقنى بالصالحين ، اللهم فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة ،ذا الجلال والإكرام ،فإنى أعهد إليك فى هذه الحياة الدنيا ، وأشهدك ـ وكفى بك شهيدا ـ بأنى أشهد أن لا إله إلا أنت وحدك لا شريك لك،لك الملك، ولك الحمد ،وأنت على كل شيء قدير ،وأشهد أن محمدا عبدك ورسولك ، وأشهد أن وعدك حق .ولقاءك حق ،والساعة حق آتية لا ريب فيها ،وأنك تبعث من فى القبور، وأشهد أنك إن تكلنى إلى نفسى تكلنى إلى ضعف وعورة وذنب وخطيئة،وإنى لا أثق إلا برحمتك ،فاغفر لى ذنوبى كلها إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ،وتب على إنك أنت

---

(١) البخارى (٦٤٠٥) فى الدعوات ، باب: فضل التسبيح ، ومسلم (٢٦٩٢ / ٢٩) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء ، واللفظ لمسلم .

(٢) أبو داود (٥٠٧٧) فى الأدب ،باب : ما يقول إذا أصبح ، وابن ماجه (٣٨٦٧) فى الدعاء ، باب: : ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى .

(٣) البخارى (٦٤٠٣) فى الدعوات ، باب : فضل التهليل، ومسلم (٢٦٩١ / ٢٨) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء

التواب الرحيم » (١) (٢).

باب : منه

عن أبى هريرة ﷺ ، عن النبى ﷺ :أنه كان يقول إذا أصبح :« اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك النشور ، وإذا أمسى قال: اللهم بك أمسينا، وبك نحيا ،وبك نموت ، وإليك النشور » .

وأخرجه الترمذى والنسائى وابن ماجه . وقال الترمذى : حسن(٣) .

ولفظ النسائى فيه: أن النبى ﷺ كان يقول إذا أصبح:« اللهم بك أصبحنا وبك أمسينا، وبك نحيا ، وبك نموت، ،وإليك النشور » فقط .

ورواه أبو حاتم بن حبان فى صحيحه ، وقال: إن النبى ﷺ كان يقول إذا أصبح : «اللهم بك أصبحنا ، وبك أمسينا ، وبك نحيا ، وبك نموت ،وإليك النشور ، وإذا أمسى قال:اللهم بك أمسينا ، وبك أصبحنا ،وبك نحيا ، وبك نموت ، وإليك المصير » .

فرواية أبى داود فيها « النشور » فى المساء ، و « المصير » فى الصباح .

ورواية الترمذى فيها « النشور » فى المساء، و « المصير» فى الصباح .

ورواية الترمذى وابن حبان فيها « النشور » فى الصباح و « المصير » فى المساء ، وهى أولى الروايات أن تكون محفوظة ، لأن الصباح والانتباه من النوم : بمنزلة النشور ،وهو الحياة بعد الموت . والمساء والصيرورة إلى النوم : بمنزلة الموت ،والمصير إلى اللّه؛ولهذا جعل اللّه ـ سبحانه ـ فى النوم الموت والانتباه بعده دليلا على البعث النشور ؛ لأن النوم أخو الموت ،والانتباه نشور وحياة قال تعالى :﴿ **وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾**﴾ [الروم]. ويدل عليه أيضا ما رواه البخارى فى صحيحه عن حذيفة : أن النبى ﷺ وكان إذا استيقظ قال :« الحمد لله الذى أحيانا بعد ما

---

(١) أحمد (٥/ ١٩١).

(٢) زاد المعاد (٢ / ٣٧٠ ـ ٣٧٩) .

(٣) أبو داود (٥٠٦٨) فى الأدب ، باب : ما يقول : إذا أصبح والترمذى (٣٣٩١) فى الدعوات ، باب: ما جاء فى الدعاء إذا أصبح وإذا أمسى ،والنساء فى الكبرى (١٠٣٩٩) فى عمل اليوم الليلة ،باب : ما يقول: إذا أمسى ، وابن ماجه (٣٨٦٨) ، فى الدعاء ، باب: ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى .

أماتنا وإليه النشور » (١) (٢).

وعن أبى عياش ﷺ ، أن رسول الله ﷺ قال: « من قال إذا أصبح : لا إله إلا الله وحده ،لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ،وهو على كل شىء قدير :كان له عدلُ رقبة من ولد إسماعيل،وكتب له عشر حسنات،وحُط عنه عشر سيئات،ورفع له عشر درجات،وكان فى حرز من الشيطان حتى يمسى ؛ وإن قالها إذا أمسى : كان له مثل ذلك حتى يصبح » قال فى حديث حماد ـ وهو ابن سلمة ـ فرأى رجل رسول الله ﷺ فيما يرى النائم ،فقال: يا رسول الله ، إن أبا عياش يحدث عنك بكذا وكذا ؟ قال :« صدق أبو عياش»(٣). قال أبو داود : رواه إسماعيل بن جعفر عن سهيل عن أبيه عن ابن عائش .

وقال أبو بكر الخطيب : عند القاضى ـ يعنى أبا عمر الهاشمى شيخه ـ ابن أبى عائش. وكذا عند غيره .

وأخرجه النسائى وابن ماجه (٤). وفى حديثهما : عن أبى عياش الزرقى .

وأبو عياش الزرقى الأنصارى:اسمه زيد بن الصامت . وقيل : غير ذلك ، وهو بفتح العين المهملة وتشديد الياء آخر الحروف وفتحها وبعد الألف شين معجمة ، وذكره أبو أحمد الكرابيسى فى كتاب الكنى وقال: له صحبة من النبى ﷺ ،ليس حديثه من وجه صحيح وذكر له هذا الحديث .

وقد أخرجا فى الصحيحين عن أبى أيوب الأنصارى عن النبى ﷺ قال:« من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك وله الحمد ،وهو على كل شىء قدير ،عشر مرات كان كمن أعتق عشرة أنفس من ولد إسماعيل » (٥).

وقال البخارى :« رقبة من ولد إسماعيل » رواه تعليقاً .

وفى الصحيحين عن أبى هريرة أن رسول الله ﷺ قال:« من قال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير فى يوم مائة مرة ، كانت

---

(١) البخارى (٧٣٩٤) فى التوحيد ، باب : السؤال بأسماء الله تعالى والاستعاذة بها .

(٢) تهذيب السنن (٧ / ٣٣٠ ، ٣٣١) .

(٣) أبو داود (٥٠٧٧) فى الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح .

(٤) النسائى فى الكبرى (٩٨٥٥) فى عمل اليوم والليلة ، باب: من قال ذلك مائة مرة ، وابن ماجه (٣٨٦٧) فى الدعاء ، باب : ما يدعو به الرجل إذا أصبح وإذا أمسى .

(٥) البخارى (٦٤٠٤) فى الدعوات، باب : فضل التهليل ، ومسلم (٢٦٩٣ / ٣٠) فى الذكر الدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

له عدل عشر رقاب ، وكتبت له مائة حسنة ،ومحيت عنه مائة سيئة ، وكانت له حرزا من الشيطان يومه ذلك حتى يمسى ، ولم يأت أحد بأفضل مما جاء به إلا رجل عمل أكثر من ذلك ،ومن قال: سبحان الله وبحمده ،فى يوم مائة مرة ،حطت عنه خطاياه ،وإن كانت مثل زبد البحر »(١) .

فهذا الحديث يدل على أن كل رقبة يعدلها عشر مرات تهليلا ،وهو يوافق رواية البخارى فى الحديث الذى قبله .

وحديث ابن عباس يدل على أن كل مرة برقبة ، ويوافقه حديث أبى أيوب الذى رواه مسلم ، ولكن حديث أبى أيوب قد اختلف فيه البخارى ومسلم .

وحديث أبى هريرة صريح بأن المائة تعدل عشر رقاب ،ولم يختلف فيه ،فيترجح من هذا الوجه على خبر أبى أيوب ، تترجح رواية مسلم لحديث أيوب : بحديث ابن عباس المتقدم فقد تقابل الترجيحان .

وقد يقال :خبر ابن عباس قد تكلم فيه ، وأنه لا يصح ،وخبر أبى أيوب قد اختلف فى لفظه ،وخبر أبى هريرة :صحيح ،لا علة فيه ولا اختلاف،فوجب تقديمه ،والله أعلم.

وقد روى الترمذى من حديث زيد بن أبى أنيسة عن عبد الرحمن بن غنم عن أبى ذر أن رسول الله ﷺ قال:« من قال فى دبر كل صلاة الفجر ،وهو ثان رجليه ، قبل أن يتكلم : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ،يحيى ويميت ،وهو على كل شىء قدير ، عشر مرات ، كتب له عشر حسنات ، ومحيى عنه عشر سيئات ، ورفع له عشر درجات . وكان يومه ذلك كله فى حرز من كل مكروه ، وحرس من الشيطان ، ولم ينبغى لذنب أن يدركه ذلك اليوم إلا الشرك بالله » وقال: «هذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه » (٢) .

وأما الحديث الذى رواه الترمذى فى جامعه عن سالم بن عبد الله بن عمر عن أبيه عن جده أن رسول الله ﷺ قال:« من دخل السوق ، فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد ، يحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير ،وهو على كل شىء قدير ، كتب له ألف ألف حسنة ،ومحى عنه ألف ألف سيئة ،ورفع له ألف ألف

---

(١) البخارى (٦٤٠٣) فى الدعوات ، باب : فضل التهليل ، (٦٤٠٥) فى الدعوات ، باب: فضل التسبيح ، ومسلم (٢٦٩١ / ٢٨) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

(٢) الترمذى (٣٤٧٤) فى الدعوات ، باب : ٦٣ .

درجة » [١]. فهو حديث معلول لا يثبت مثله ،وذكر له الترمذى طرقاً :

أحدها :أحمد بن منيع :حديثا أزهر بن سنان حدثنا محمد بن واسع قال:قدمت مكة فلقينى أخى سالم بن عبد الله بن عمر ، فحدثنى عن أبيه عن جده : أن رسول الله ﷺ - فذكره وقال: هذا حديث غريب .

والثانى : رواه عمرو بن دينار ، قهرمان آل الزبير ، عن سالم نحوه .

قال الترمذى :حدثنا أحمد بن عبدة حدثنا حماد بن عبدة حدثنا حماد بن زيد والمعتمر ابن سليمان قالا حدثنا عمرو بن دينار - وهو قهرمان آل الزبير - عن سالم عن جده .

وقال:« وبنى له بيت فى الجنة » ولم يقل: « ألف ألف درجة » .

والثالث : رواه يحيى بن سالم الطائفى عن عمران بن مسلم عن عبد الله بن دينار عن ابن عمر عن النبى ﷺ ، ولم يذكر عمر ، ذكره الترمذى تعليقاً عن يحيى[٢].

فأما الطريق الأولى فهى أمثل طرقه ،وأزهر بن سنان لا بأس به ، قد تكلم فيه بعض الأئمة ،وقد ذكر حديثه هذا الحافظ أبو عبد الله المقدسى فى المختارة .

وأما الطريق الثانية :ففيها عمرو بن دينار قهرمان آل الزبير،قال البخارى فى التاريخ:فيه نظر ،وذكر هذا الإسناد بعينه ،ولم يذكر له أمتنا ، فقال:قال موسى بن عبد الرحمن حدثنا زيد بن خباب حدثنا سعيد بن زيد عن عمرو بن دينار مولى الأنصارى عن سالم عن أبيه عن عمر ، وقال الترمذى : تكلم فيه بعض أصحاب الحديث ، وقد روى عن سالم أحاديث لا يتابع عليها .

وأما الطريقة الثالثة :ففيها عمران بن مسلم ، وليس هو عمران بن مسلم القصير، فإن ذاك من رجال الصحيح ،وهذا منكر الحديث ، قاله البخارى وغيره .

وقد قيل: إنه القصير والله أعلم [٣].

---

(١) الترمذى (٣٤٢٨) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا دخل السوق .

(٢) انظر : الترمذى ٥/ ٤٥٧ / ٤٥٨ .

(٣) تهذيب السنن (٧ / ٣٣٥ - ٣٣٧)

جامع الآداب ـــ

فصـل
فى أذكـار النـوم

فى « الصحيحين » عن حذيفة قال: كان رسول الله ﷺ إذا أراد أن ينام قال: «باسمك اللهم أموت وأحيا »وإذا استيقظ من منامه قال: « الحمد لله الذى أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور » (١).

وفى « الصحيحين » أيضا ،عن عائشة، أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه كل ليلة،جمع كفيه ، ثم نفث فيهما يقرأ فيهما : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴾ ثم يسمح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات (٢).

وفى «صحيح البخارى » عن أبى هريرة أنه أتاه آت يحثو من الصدقة ، وكان قد جعله النبى ﷺ عليها ليلة بعد ليلة فلما كان فى الليلة الثالثة قال: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، قال :دعنى أعلمك كلمات ينفعك الله بهن ـ وكان أحرص شيء على الخير ـ فقال: إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسى ﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾حتى ختمها، فإنه لا يزال عليك من الله حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح . فقال النبى ﷺ :«صدقك وهو كذوب »(٣).

وقد روى الإمام أحمد نحو هذه القصة فى « مسنده » أنها جرت لأبى الدرداء ، ورواها الطبرانى فى « مجمعه » أنها جرت لأبى بن كعب .

وفى « الصحيحين » عن أبى مسعود الأنصارى ، عن النبى ﷺ قال: «من قرأ بالآيتين من آخر سورة البقرة فى ليلة كفتاه » (٤).

الصحيح : أن معناها : كفتاه من شر ما يؤذيه ، وقيل : كفتاه من قيام الليل ، وليس بشيء .

---

(١) البخارى (٦٣٢٤) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا أصبح ، ومسلم (٢٧١١/ ٥٩) فى الذكر والدعاء ، والتوبة والاستغفار باب : ما يقول عند النوم وأخذ المضجع ، وهو عن البراء وليس عن حذيفة .

(٢) البخارى (٥٠١٧) فى فضائل القرآن ، باب: فضل المعوذات ،ولم يعزه صاحب التحفة إلا للبخارى ١٢/ ٦٠.

(٣) البخارى (٢٣١١) فى الوكالة ، باب : إذا وكل رجلا فترك الوكيل شيئا فأجازه الموكل فهو جائز .

(٤) البخارى (٥٠٠٩) فى فضائل القرآن ، باب: فضل سورة البقرة ، ومسلم (٨٠٨ / ٢٥٦) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة .

وقال على بن أبى طالب : ما كنت أرى أحدا يعقل وينام قبل أن يقرأ الآيات الثلاث الأواخر من سورة البقرة .

وفى « الصحيحين » عن أبى هريرة أن رسول اللّه ﷺ قال: « إذا قام أحدكم عن فراشه ، ثم رجع إليه ، فلينفضه بصنفة إزاره ثلاث مرات؛ فإنه لا يدرى ما خلفه عليه بعده ، وإذا اضطجع فليقل؛ باسمك اللهم ربى وضعت جنبى ،وبك أرفعه ، فإن أمسكت نفسى فارحمها ،وإن أرسلتها فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين » (١).

وفى « الصحيحين » عنه عن النبى ﷺ :« إذا استيقظ أحدكم من نومه فليقل :الحمد لله الذى عافانى فى جسدى ، ورد على روحى ، وأذن لى بذكره » (٢).

وقد تقدم(٣) حديث على، ووصية النبى ﷺ له ولفاطمة رضي الله عنهما :أن يسبحا إذا أخذا مضاجعهما للنوم ثلاثا وثلاثين ، ويحمدا ثلاثا وثلاثين ، ويكبرا أربعا وثلاثين ، وقال: «هو خير لكما من خادم » (٤).

وقال شيخ الإسلام ابن تيمية ـ قدس اللّه روحه : بلغنا أنه من حافظ على هذه الكلمات لم يأخذه إعياء فيما يعانيه من شغل وغيره .

وفى « سنن أبى داود » عن حفصة أم المؤمنين : أن النبى ﷺ كان إذا أراد يرقد ، وضع يده اليمنى تحت خده ثم يقول:« اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك » ثلاث مرات، قال الترمذى : حديث حسن(٥) .

وفى «صحيح مسلم » عن أنس أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال:« الحمد للّه الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافى له ،ولا مُؤوى »(٦) .

فى « صحيحه » أيضا ، عن ابن عمر أنه أمر رجلا إذا أخذ مضجعه أن يقول: «اللهم

---

(١) البخارى (٧٣٩٣) فى التوحيد ،باب: السؤال بأسماء اللّه تعالى والاستعاذة بها ، ومسلم (٢٧١٤ ٦٤) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

(٢) كنز العمال (٢١٤١٨) وعزاه لابن السنى.

(٣) انظر : الوابل الصيب (١٥٦) .

(٤) البخارى (٣٧٠٥) فى فضائل الصحابة ،باب : مناقب على ابن طالب ، ومسلم (٢٧٢٧/ ٨٠) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: التسبيح أول النهار وعدم النوم .

(٥) أبو داود (٥٠٤٥) فى الأدب ،باب: ما يقال عند النوم ،والترمذى (٣٣٩٩) فى الدعوات ، باب: ١٨ وهو عن البراء بن عازب .

(٦) مسلم (٢٧١٥/ ٦٤) فى الذكر والدعاء والتوب والاستغفار ، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع

أنت خلقت نفسى ، وأنت تتوفاها ، لك مماتها ومحياها ،إن أحييتها فاحفظها ،وإن أمتها فاغفر لها ، اللهم إنى أسألك العافية » قال ابن عمر: سمعتهن من رسول اللّه ﷺ(١) .

وفى الترمذى ، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول اللّه ﷺ : « من قال حين يأوى إلى فراشه : أستغفر الله العظيم الذى لا إله إلا هو الحى القيوم وأتوب ـ ثلاث مرات غفر الله له ذنوبه وإن كانت مثل زبد البحر ، وإن كانت عدد ورق الشجر وإن كانت عدد رمل عالج ،وإن كانت عدد أيام الدنيا » (٢).

وفى « صحيح مسلم »،عن أبى هريرة أن النبى ﷺ كان إذا أوى إلى فراشه قال: «اللهم رب السموات ،ورب الأرض ،ورب العرش العظيم ،ربنا ورب كل شىء ، فالق الحب والنوى ومنزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل شىء أنت آخذ بناصيته ،أنت الأول فليس قبلك شىء ،وأنت الآخر فليس بعدك شىء ،وأنت الظاهر فليس فوقك شىء،وأنت الباطن فليس دونك شىء،اقض عنا الدين ،وأغننا من الفقر»(٣).

وفى « الصحيحين » عن البراء بن عازب قال: قال لى رسول اللّه ﷺ :« إذا أتيت مضجعك ، فتوضأ وضوءك للصلاة ، ثم اضطجع على شقك الأيمن وقل :اللهم إنى أسلمت نفسى إليك ،ووجهت وجهى إليك ،وفوضت أمرى إليك ، وألجأت ظهرى إليك، رغبة ورهبة إليك ، لا ملجأ ولا منجا منك إلا إليك ، آمنت بكتابك الذى أنزلت ، وبنبيك الذى أرسلت ،فإن مت من ليلتك مت على الفطرة ، واجعلهن آخر ما تقول» (٤).

فصل
فى أذكار الانتباه من النوم

روى البخارى فى «صحيحه » ، عن عبادة بن الصامت ، عن النبى ﷺ قال:«من تعارّ من الليل فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شىء قدير . الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة

---

(١) مسلم (٢٧١٢ / ٦٠) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .
(٢) الترمذى (٣٣٩٧) فى الدعوات ، باب : ١٧ ، وقال : « حسن غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .
(٣) مسلم (٢٧١٣ / ٦١) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .
(٤) البخارى (٦٣١٣) فى الدعوات ، باب: ما يقول: إذا نام ، ومسلم (٢٧١٠ / ٥٦) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

إلا بالله ، ثم قال: اللهم اغفر لى ، أو دعا ، استجيب له ، فإن توضأ وصلى قبلت صلاته » (١).

وفى الترمذى عن أبى أمامة قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من أوى إلى فراشه طاهراً ، وذكر الله تعالى حتى يدركه النعاسُ ، لم ينقلب ساعة من الليل يسأل الله تعالى فيها خيرا ـ من خير الدنيا والآخرة ـ إلا أعطاه إياه »حديث حسن(٢) .

وفى « سنن أبى داود » ، عن عائشة ، أن رسول الله ﷺ كان إذا استيقظ من الليل قال:«لا إله إلا أنت ،سبحانك اللهم،أستغفرك لذنبى،وأسألك رحمتك،اللهم زدنى علما، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى، وهب لى من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب » (٣).

فصل
فى أذكار الفزع فى النوم والقلق

روى الترمذى عن بريدة قال :شكا خالد بن الوليد إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، ما أنام الليل من الأرق . فقال النبى ﷺ : « إذا أويت إلى فراشك فقُل : اللهم رب السموات السبع وما أظلت،ورب الأرضين وما أقلت ،ورب الشياطين وما أضلّت ، كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا ، أن يفرط على أحد منهم ،أو يبغى على ،عز جارك ، وجل ثناؤك ،ولا إله غيرك ، لا إله إلا أنت »(٤).

وفى « سنن أبى داود » والترمذى عن عبد الله بن عمرو ، أن رسول الله ﷺ كان يعلمهم من الفزع كلمات:« أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه وعقابه ، وشر عباده ، ومن همزات الشياطين ، وأن يحضرون » (٥).

وكان عبد الله بن عمرو يعلمهن من عقل من بنيه ، ومن لم يعقل كتبه وعلقه عليه.

---

(١) البخارى (١١٥٤) فى التهجد باب: فضل من تعار من الليل فصلى .
(٢) الترمذى (٣٥٢٦) فى الدعوات ، باب: ٩٣ .
(٣) أبو داود (٥٠٦١) فى الأدب ، باب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل .
(٤) الترمذى (٣٥٢٣) فى الدعوات ، باب: ٩١ ،وقال: « هذا حديث ليس إسناده بالقوى » .
(٥) أبو داود (٣٨٩٣) فى الطب ، باب: كيف الرقى ؟ والترمذى (٣٥٢٨) فى الدعوات . باب: ٩٤، وقال: «هذا حديث حسن غريب » .

فصل
فى أذكار من رأى رؤيا يكرهها أو يحبها

فى « الصحيحين » عن أبى قتادة قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « الرؤيا من الله، والحلم من الشيطان ، فإذا رأى أحدكم الشىء يكرهه فلينفس عن يساره ثلاث مرات إذا استيقظ ، وليتعوذ بالله من شرّها ، فإنها لن تضره إن شاء الله » (١). قال أبو قتادة: كنت أرى الرؤيا تمرضنى ، حتى سمعت رسول الله ﷺ يقول : « الرؤيا الصالحة من اللّه ، فإذا رأى أحدكم ما يُحب فلا يحدث به إلا من يحب ، وإذا رأى ما يكره فلا يحدث به ،وليتفل عن يساره ثلاثا ، وليتعوذ باللّه من الشيطان الرجيم، ومن شرّ ما رأى فإنها لا تضره » (٢).

وفى « صحيح مسلم » عن جابر ،عن رسول الله ﷺ قال: « إذا رأى أحدكم الرؤيا يكرهها ، فليبصق عن يساره ثلاث مرات ،وليستعذ باللّه من الشيطان ثلاثا ،وليتحول عن جنبه الذى كان عليه » (٣).

ويذكر عن النبى ﷺ أن رجلا قص عليه رؤيا فقال: « خيراً رأيت ،وخيرا يكون »(٤).

وفى رواية: « خيرا تلقاه ،وشرا توقاه .خيرا لنا ، وشرا على أعدائنا ،والحمد لله رب العالمين »(٥) (٦) .

وأيضا

وكان ﷺ إذا أوى إلى فراشه للنوم قال: « باسمك اللهم أحيا وأموت »(٧) . وكان يجمع كفيه ثم ينفث فيهما ، وكان يقرأ فيهما : ﴿ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ ۝١ ﴾ و﴿ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ۝١ ﴾ ثم يمسح بهما ما استطاع من جسده ، يبدأ بهما على رأسه ووجهه وما أقبل من جسده ، يفعل ذلك ثلاث مرات (٨).

---

(١) البخارى (٥٧٤٧) فى الطب ، باب: النفث فى الرقية ، ومسلم (٢٢٦١ / ١) فى أول الرؤيا .

(٢) مسلم (٢٢٦١ / ٤) فى أول الرؤيا . (٣) مسلم (٢٢٦٢ / ٥) فى أول الرؤيا .

(٤) كنز العمال (٣٠٣٧) وعزاه لابن السنى فى عمل يوم وليلة عن أبى موسى .

(٥) الهيثمى فى مجمع الزوائد ١٨٦/٧ ،١٨٧ وقال : « رواه الطبرانى وفيه سليمان بن عطاء القرشى وهو ضعيف »، وكنز العمال (٤١٤٧٠) .

(٦) الوابل الصيب (٢٠٢ ـ ٢١٤) .

(٧) البخارى (٦٣١٢) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا نام ، وأبو داود (٥٠٤٩) فى الأدب ، باب: ما يقال عند النوم .

(٨) البخارى (٥٠١٧) فى فضائل القرآن ، باب: فضل المعوذات، وأبو داود (٥٠٥٦) فى الأدب ، باب: ما يقال عند النوم

وكان ينام على شقه الأيمن ويضع يده اليمنى تحت خده الأيمن ثم يقول: « اللهم قنى عذابك يوم تبعث عبادك »(١) وكان يقول إذا أوى إلى فراشه :« الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وكفانا وآوانا ، فكم ممن لا كافى له ولا مؤوى »ذكره مسلم (٢). وذكر أيضا أنه كان يقول إذا أوى إلى فراشه : « اللهم رب السموات والأرض ورب العرش العظيم ربنا ورب كل شيء فالق الحب والنوى منزل التوراة والإنجيل والفرقان ، أعوذ بك من شر كل ذى شيء أنت آخذ بناصيته ، أنت الأول فليس قبلك شيء وأنت الآخر فليس بعدك شيء ، وأنت الظاهر فليس فوقك شيء ،وأنت الباطن ، فليس دونك شيء ، اقض عنا الدين وأغننا من الفقر » (٣).

وكان إذا استيقظ من منامه فى الليل قال:« لا إله إلا أنت سبحانك ، اللهم إنى أستغفرك لذنبى ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدنى علماً ، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى ، وهب لى من لدنك رحمة ، إنك أنت الوهاب » (٤).

وكان إذا انتبه من نومه قال:« الحمد لله الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور »(٥) ثم يتسوك ، وربما قرأ العشر الآيات من آخر (آل عمران) من قوله :﴿ **إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافِ اللَّيْلِ** ...... ﴾ إلى آخرها [آل عمران: ١٩٠ ـ ٢٠٠] وقال:« اللهم لك الحمد، أنت نور السماوات والأرض ومن فيهن، ولك الحمد ، أنت قيوم السموات والأرض ومن فيهن ،ولك الحمد ،أنت الحق، ووعدك الحق ،ولقاؤك حق ،والجنة حق ، والنار حق ، والنبيون حق ،ومحمد حق ،والساعة حق ،اللهم لك أسلمت ،وبك آمنت ، وعليك توكلت ،وإليك أنبت ، بك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ،أنت إلهى لا إله إلا أنت»(٦) (٧).

وأيضا

كان إذا استيقظ قال: « الحمد للّه الذى أحيانا بعد ما أماتنا وإليه النشور » .

---

(١) أبو داود (٥٠٤٥) فى الأدب ، باب: ما يقال عند النوم .

(٢) مسلم (٢٧١٥ / ٦٤) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

(٣) مسلم (٢٧١٣ / ٦١) فى الذكر والدعاء والتوبة الاستغفار ، باب: ما يقول عند النوم وأخذ المضجع .

(٤) أبو داود (٥٠٦١) فى الأدب ، باب: ما يقال عند النوم .

(٥) البخارى (٦٣٢٥) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا أصبح .

(٦) البخارى (٦٣١٧) فى الدعوات ، باب: الدعاء إذا انتبه من الليل ، ومسلم (٧٦٩ / ١٩٩) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه .

(٧) زاد المعاد (١ / ١٥٥ ـ ١٥٨) .

وقالت عائشة : كان إذا هبّ من الليل ، كبّر الله عشرا ، وحمد الله عشرا، وقال : « سبحان الله وبحمده » عشرا ،« سبحان الملك القدوس» عشرا ،و« أستغفر الله عشرا ، وهلل عشرا ، ثم قال : « اللهم إنى أعوذ بك من ضيق الدنيا ،وضيق يوم القيامة»(١) عشرا ، ثم يستفتح الصلاة .

وقالت : أيضا :كان إذا استيقظ من الليل قال: « لا إله إلا أنت سبحانك ، اللهم أستغفرك لذنبى ، وأسألك رحمتك ، اللهم زدنى علما ، ولا تزغ قلبى بعد إذ هديتنى ، وهب لى من لدنك رحمة، إنك أنت الوهاب » ذكرهما أبو داود (٢).

وأخبر أن من استيقظ من الليل فقال:« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك، وله الحمد ،وهو على كل شىء قدير ، الحمد لله ، وسبحان الله ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ،ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم ثم قال: اللهم اغفر لى ـ أو دعا بدعاء آخر ـ استجيب له ، فإن توضأ وصلى ، قبلت صلاته »(٣) ذكره البخارى وقال ابن عباس عنه ﷺ ليلة مبيته عنده: إنه لما استيقظ ، رفع رأسه إلى السماء وقرأ العشر الآيات الخواتيم من سورة (آل عمران) ﴿ إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ ﴾ إلى آخرها .

ثم قال :« اللهم لك الحمد أنت نور السموات والأرض ومن فيهن ،ولك الحمد ، أنت قيم السماوات والأرض ومن فيهن ،ولك الحمد ،أنت الحق ،ووعدك الحق ، وقولك الحق ،ولقاؤك حق ، والجنة حق ،والنار حق،والنبيون حق ،ومحمد حق، والساعة حق، اللهم لك أسلمت وبك آمنت ، وعليك توكلت ، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ،وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهى ، لا اله إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم » (٤) .

وقالت عائشة رضي الله عنها كان إذا قام من الليل قال : « الله رب جبرائيل وميكائيل وإسرافيل ، فاطر السموات والأرض ، عالم الغيب والشهادة أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » (٥).

وربما قالت : كان يفتتح صلاته بذلك . وكان إذا أوتر ، ختم وتره بعد فراغه بقوله:

---

(١) أبو داود (٥٠٨٥) فى الأدب ،باب: ما يقول إذا أصبح ، وأحمد (٦/ ١٤٣) .

(٢) أبو داود (٥٠٦١) فى الأدب ، باب: ما يقول الرجل إذا تعار من الليل .

(٣) البخارى (١١٥٤) فى التهجد ، باب : فضل من تعار من الليل فصلى .

(٤) البخارى (١١٢٠) فى التهجد ، باب : التهجد بالليل ، ،ومسلم (٧٦٩ / ١٩٩) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه .

(٥) مسلم (٧٧٠ / ٢٠٠) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه ،وأبو داود (٧٦٧) فى الصلاة ، باب: ما يستفتح به الصلاة من الدعاء .

« سبحان الملك القدوس » ثلاثا، ويمدُّ بالثالثة صوته[١] .

وأيضا

وشكى إليه ﷺ خالد بن الوليد الأرق بالليل ،فقال له : « إذا أويت إلى فراشك فقل: اللهم رب السموات السبع وما أظلت ،ورب الأرضين السبع وما أقلّت ،ورب الشياطين وما أضلت ، كن لى جارا من شر خلقك كلهم جميعا من أن يفرط أحد منهم على ،أو أن يطغى على ، عز جارك ،وجل ثناؤك ،ولا إله إلا أنت » [٢].

وكان ﷺ يُعلم أصحابه من الفزع : « أعوذ بكلمات الله التامة من غضبه ومن شرّ عباده ومن شر همزات الشياطين ، وأن يحضرون » [٣].

ويذكر أن رجلا شكى إليه ﷺ أنه يفزع فى منامه ، فقال : « إذا أويت إلى فراشك فقل . . . » ثم ذكرها ، فقالها فذهب عنه[٤] .

وأيضا

صح عنه ﷺ :« الرؤيا الصالحة من الله ، والحلم من الشيطان ، فمن رأى رؤيا يكره منها شيئا ، فلينفث عن يساره ثلاثا ،وليتعوذ بالله من الشيطان ،فإنها لا تضره، ولا يخبر بها أحداً . وإن رأى رؤيا حسنة ، فليستبشر ، ولا يخبر بها إلا من يحب »[٥].

وأمر من رأى ما يكرهه أن يتحول عن جنبه الذى كان عليه ، وأمره أن يصلى [٦].

فأمره بخمسة أشياء : أن ينفث عن يساره ، وأن يستعيذ بالله من الشيطان ، وألا يخبر بها أحدا، وأن يتحول عن جنبه الذى كان عليه . وأن يقوم يصلى ، ومتى فعل ذلك ، لم تضره الرؤيا المكروهة ، بل هذا يدفع شرها.

---

(١) زاد المعاد (٢/٣٦٥ ـ ٣٦٨) .

(٢) الترمذى (٣٥٢٣) فى الدعوات ، باب : ٩١ ، وقال : « ليس إسناده بالقوى » .

(٣) أبو داود (٣٨٩٣) فى الطب ،باب : كيف الرقى ، والترمذى (٣٥٢٨) فى الدعوات ، باب: ٩٤ ، وقال : « حسن غريب » .

(٤) زاد المعاد (٢/٤٦٧ ، ٤٦٨) .

(٥) البخارى (٦٩٩٥) فى التعبير ، باب: من رأى النبى ﷺ فى المنام ، ومسلم (٢٢٦١ / ٣) فى أول الرؤيا .

(٦) مسلم (٢٢٦٢ / ٥) فى أول الرؤيا .

وقال : « الرؤيا على رجل طائر ما لم تعبّر ، فإذا عُبّرت وقعت ،ولا يقُصُّها إلا على وادٍّ ، أو ذى رأى » (١).

وكان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ، إذا قُصت عليه الرؤيا ، قال: اللهم إن كان خيرا فلنا ، وإن كان شرا ، فلعدونا.

ويُذكر عن النبى ﷺ: « من عُرضت عليه رؤيا ، فليقُل لمن عرض عليه خيرا »(٢) .

ويذكر عنه أنه كان يقول للرائى قبل أن يعبرها له: « خيرا رأيت » (٣) .ثم يعبرها .

وذكر عبد الرزاق ،عن معمر ، عن أيوب ،عن ابن سيرين ،قال:كان أبو بكر الصديق إذا أراد أن يعبر رؤيا ، قال:إن صدقت رؤياك يكون كذا وكذا (٤).

فصل
فى أذكار الخروج من المنزل

فى « السنن » عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:« من قال: يعنى إذا خرج من بيته: بسم الله ، توكلت على الله ، ولا حول ولا قوة إلا بالله » يقال له : « كفيت ووقيت وهديت ، وتنحى عنه الشيطان ،فيقول لشيطان آخر، كيف لك برجل قد هُدى وكفى ووقى؟ » (٥).

وفى مسند الإمام أحمد :« بسم الله ،آمنت بالله،واعتصمت بالله ،توكلت على الله، لا حول ولا قوة إلا بالله » حديث حسن (٦).

وفى السنن الأربع ،عن أم سلمة قالت :ما خرج رسول الله ﷺ من بيتى إلا رفع طرفه إلى السماء فقال:« اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أضل ، أو أزِل أو أُزَل ، أو أظْلِم

(١) أبو داود (٥٠٢٠) فى الأدب ، باب: ما جاء فى الرؤيا ، والترمذى (٢٢٧٩) فى الرؤيا ، باب : ما جاء فى تعبير الرؤيا ، وقال: « حسن صحيح » ، واللفظ لأبى داود .

(٢)انظر : الأذكار للنووى ص ١٢٦ .

(٣) كنز العمال (٣٠٣٧) ، وعزاه لابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبى موسى .

(٤) عبد الرزاق (٢٠٥٨) فى الجامع ، باب: الرؤيا .

(٥) أبو داود (٥٠٩٥) فى الأدب ،باب:ما جاء فيمن خرج من بيته ما يقول ،والترمذى (٣٤٢٦) فى الدعوات ، باب : ما يقول إذا خرج من بيته ، وقال هذا حديث حسن صحيح غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه ، والنسائى (٥/٩٩١٧) فى عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا خرج من بيته، وابن ماجه (٣٨٨٦) فى الدعاء ، باب: ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته .

(٦) أحمد (١/٦٦) ، وقال الشيخ شاكر (٤٧١) :« إسناده ضعيف » .

أو أُظلَم ، أو أجهل أو يُجْهل عليّ » . قال الترمذى :حديث حسن صحيح [١].

وكان إذا خرج من بيته يقول : « بسم الله ، توكلت على الله ، اللهم إنى أعوذ بك أن أضل أو أُضلّ ، أو أزِل أو أُزَلّ ، أو أظْلم أو أُظلم ، أو أجهل أو يُجهل علىّ » حديث صحيح[٢] .

وقال ﷺ :« من قال إذا خرج من بيته: بسم الله ، توكلت على اللّه ،ولا حول ولا قوة إلا بالله ،يقال له :هُديت ،وكفيت ،ووقيت ،وتنحى عنه الشيطان »حديث حسن [٣].

وقال ابن عباس عنه ليلة مبيته عنده :إنه خرج إلى صلاة الفجر وهو يقول: « اللهم اجعل فى قلبى نورا ،واجعل فى لسانى نورا ،واجعل فى سمعى نورا ،واجعل فى بصرى نورا ، واجعل من خلفى نورا، ومن أمامى نورا ، واجعل من فوقى نورا ، واجعل من تحتى نورا ، اللهم أعظم لى نورا »[٤] .

وقال فضيل بن مرزوق ،عن عطية العوفى ، عن أبى سعيد الخدرى قال: قال رسول الله ﷺ :« ما خرج رجل من بيته إلى الصلاة فقال : اللهم إنى أسألك بحق السائلين عليك وبحق ممشاى هذا إليك ، فإنى لم أخرج بطرا ولا أشرا ، ولا رياء ، ولا سمعة، وإنما خرجت اتقاء سخطك ، وابتغاء مرضاتك ، أسألك أن تنقذنى من النار ، وأن تغفر لى ذنوبى ، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، إلا وكل اللّه به سبعين ألف ملك يستغفرون له ، وأقبل الله عليه بوجهه حتى يقضى صلاته »[٥] [٦].

(١ ، ٢) أبو داود (٥٠٩٤) فى الأدب ، باب:ما جاء فيمن خرج من بيته ما يقول، والترمذى (٣٤٢٧) فى الدعوات، باب: ما يقول إذا خرج من بيته ، وقال: « هذا حديث حسن صحيح» ، والنسائى فى الكبرى (٩٩١٣) فى عمل اليوم والليلة باب: ما يقول إذا خرج من بيته، وابن ماجه (٣٨٨٤) فى الدعاء ، باب : ما يدعو به الرجل إذا خرج من بيته .

(٣) الترمذى (٣٤٢٦) فى الدعوات ،باب ما يقول إذا خرج من بيته ، وكان « حسن صحيح غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه » .

(٤) البخارى (٦٣١٦) فى الدعوات ، باب: الدعاء إذا انتبه من الليل ، مسلم (٧٦٣ / ١٩١) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه ، واللفظ لمسلم .

(٥) أحمد (٣/ ٢١) ، وابن ماجه (٧٧٨) فى المساجد والجماعات ، باب المشى إلى الصلاة .

(٦) زاد المعاد (٢ / ٣٦٨ ، ٣٦٩) .

فصل
فى أذكار دخول المنزل

فى « صحيح مسلم » عن جابر ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « إذا دخل الرجل بيته، فذكر الله تعالى عند دخوله وعند طعامه ، قال : الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء، وإذا دخل فلم يذكر الله تعالى عند طعامه قال: أدركتم المبيت والعشاء » (١).

وفى « سنن أبى داود » عن أبى مالك الأشعرى قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا ولج الرجل بيته ، فليقل : اللهم إنى أسألك خير المولج ،وخير المخرج ، بسم الله ولجنا، وبسم الله خرجنا ،وعلى اللّه ربنا توكلنا ، ثم ليسلم على أهله »(٢) .

وفى الترمذى عن أنس ،قال :قال لى رسول الله ﷺ :« يا بنى إذا دخلت على أهلك فسلّم يكُن بركة عليك وعلى أهل بيتك » (٣). قال الترمذى : خديث حسن صحيح(٤).

وأيضا

يذكر عنه ﷺ أنه كان يقول إذا انقلب إلى بيته : « الحمد للّه الذى كفانى ، وآوانى، والحمد لله الذى أطعمنى وسقانى ، والحمد لله الذى منَّ علىَّ فأفضل ، أسألك أن تجيرنى من النار » (٥) .

وثبت عنه ﷺ أنه قال لأنس : « إذا دخلت على أهلك فسلم يكن بركة عليك وعلى أهلك » قال الترمذى : حديث حسن صحيح(٦).

وفى السنن عنه ﷺ « إذا ولج الرجل بيته ، فليقل: اللهم إنى أسألك خير المولج ، وخير المخرج ، بسم الله ولجنا ، وعلى اللّه ربنا توكلنا ، ثم ليسلم على أهله » (٧).

---

(١) أحمد (٣/ ٣٤٧ ، ٣٨٣) ، مسلم (٢٠١٨ / ١٠٣) فى الأشربة ، باب :آداب الطعام والشراب وأحكامهما.
(٢) أبو داود (٥٠٩٦) فى الأدب ، باب: ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول .
(٣) الترمذى (٢٦٩٨) فى الاستئذان ، باب : ما جاء فى التسليم إذا دخل بيته ، وقال : « حسن غريب » .
(٤) الوابل الصيب (٢١٦ ، ٢١٧) .
(٥) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٤٥ ، ٥٤٦) فى الدعاء ، باب : دعاء إذا أوى إلى فراشه وقال: « هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .
(٦) الترمذى (٢٦٩٨) فى الاستئذان ، باب: ما جاء فى التسليم إذا دخل بيته ، وقال: «حسن غريب » .
(٧) أبو داود (٥٠٩٦) فى الأدب ، باب ، ما جاء فيمن دخل بيته ما يقول، ولم يعزه صاحب التحفة ٩/ ٢٨١ إلا لابى داود .

وفيها عنه ﷺ :« ثلاثة كلهم ضامن على الله : رجل خرج غازيا فى سبيل الله ، فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة ، ورجل راح إلى المسجد ،فهو ضامن على الله حتى يتوفاه فيدخله الجنة أو يرده بما نال من أجر وغنيمة، ورجل دخل بيته بسلام، فهو ضامن على الله » حديث صحيح(١) .

وصح عنه ﷺ: « إذا دخل الرجل بيته فذكر الله عند دخوله وعند طعامه ، قال الشيطان: لا مبيت لكم ولا عشاء ، وإذا دخل ، فلم يذكر الله عند دخوله ، قال الشيطان: أدركتم المبيت،وإذا لم يذكر الله عند طعامه،قال:أدركتم المبيت العشاء » ذكره مسلم (٢)(٣).

فصل
فى أذكار دخول المسجد والخروج منه

فى « صحيح مسلم » ، عن أبى حميد ، أو أبى أسيد قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا دخل أحدكم إلى المسجد ، فليسلم على النبى ﷺ وليقل : اللهم افتح لى أبواب رحمتك، وإذا خرج فليقل : اللهم إنى أسألك من فضلك »(٤) .

وفى « سنن أبى داود » عن عبد اللّه بن عمرو عن النبى ﷺ : أنه كان إذا دخل المسجد قال: « أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ،وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم » فإذا قال ذلك ، قال الشيطان : حفظ منى سائر اليوم (٥) (٦).

أيضا

ذكر أبو داود عنه ﷺ أنه كان إذا دخل المسجد قال:« أعوذ بالله العظيم ، وبوجهه الكريم ، وسلطانه القديم ، من الشيطان الرجيم ،» فإذا قال ذلك قال الشيطان : حُفظ منى سائر اليوم .

---

(١) أبو داود (٢٤٩٤) فى الجهاد ، باب: فضل الغزو فى البحر .
(٢) مسلم (٢٠١٨ / ١٠٣) فى الأشربة ، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامها .
(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٨١ ـ ٣٨٣) .
(٤)مسلم (٧١٣ / ٦٨) فى صلاة المسافرين وقصرها ،باب: ما يقول إذا دخل المسجد .
(٥) أبو داود (٤٦٦) فى الصلاة ، باب:فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد .
(٦) الوابل الصيب (٢١٧ ، ٢١٨) .

وقال ﷺ : « إذا دخل أحدكم المسجد ، فليسلم على النبى ﷺ ، وليقل: اللهم افتح لى أبواب رحمتك ، فإذا خرج ، فليقل : اللهم إنى أسألك من فضلك » (١).

وذكر عنه أنه كان إذا دخل المسجد صلى على محمد وآله وسلم ، ثم يقول: «اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب رحمتك» ، فإذا خرج صلى على محمد وآله وسلم ، ثم يقول: « اللهم اغفر لى ذنوبى وافتح لى أبواب فضلك » (٢) (٣).

فصل
فى أذكار الآذان

فى « الصحيحين » عن أبى سعيد قال: قال رسول الله ﷺ : « إذا سمعتم النداء فقولوا مثل ما يقول المؤذن » (٤).

وفى « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمرو أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: « إذا سمعتم المؤذن ، فقولوا مثل ما يقول، ثم صلوا علىّ ، فإنه من صلى علىّ صلاة ، صلى اللّه عليه بها عشرا ، ثم سلوا الله لى الوسيلة ، فإنها منزلة فى الجنة لا تنبغى إلا لعبد من عباد الله ، وأرجو أن أكون أنا هو فمن سأل لى الوسيلة حلت له الشفاعة » (٥).

وفى «صحيح مسلم » عن عمر بن الخطاب قال: قال رسول اللّه ﷺ: « إذا قال المؤذن: الله أكبر الله أكبر ، فقال أحدكم : الله أكبر الله أكبر ، ثم قال: أشهد أن لا إله إلا الله ، فقال: أشهد أن لا إله إلا الله ، ثم قال : أشهد أن محمدا رسول الله ، قال: أشهد أن محمدا رسول الله، ثم قال: حى على الصلاة ، قال: لا حول ولا قوة إلا بالله، ثم قال: حى الفلاح قال : لا حول ولا قو إلا بالله ، ثم قال الله أكبر الله أكبر ، قال: الله أكبر الله أكبر ، ثم قال: لا إله إلا الله، قال: لا إله إلا الله من قلبه ، دخل الجنة»(٦).

---

(١) أبو داود (٤٦٥) فى الصلاة ، باب: فيما يقوله الرجل عند دخوله المسجد .

(٢) الترمذى (٣١٤) فى الصلاة ، باب: ما جاء ما يقول عند دخول المسجد ، وقال: « حديث فاطمة حديث حسن، وليس إسناده بمتصل »، وابن ماجه (٧٧١) فى المساجد والجماعات، باب: الدعاء عند دخول المسجد .

(٣) زاد المعاد (٢ / ٣٦٩ ، ٣٧٠)

(٤) البخارى (٦١١) فى الأذان ، باب: ما يقول إذا سمع المنادى ، ومسلم (٣٨٣ / ١٠) فى الصلاة ، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلى على النبى ﷺ.

(٥) مسلم (٣٨٤ / ١١) فى الصلاة ، باب :استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلى على النبى ﷺ .

(٦) مسلم (٣٨٥ / ١٢) فى الصلاة ، باب: استحباب القول مثل قول المؤذن لمن سمعه ثم يصلى على النبى ﷺ .

وفى « صحيح البخارى » عن جابر: أن رسول الله ﷺ قال: « من قال حين يسمع النداء : اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة ، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاماً محمودا الذى وعدته ، حلت له شفاعتى يوم القيامة »(١) .

وفى « سنن أبى داود» عن عبد الله بن عمرو قال: يا رسول الله، إن المؤذنين يفضلوننا ، فقال رسول الله ﷺ :« قُل كما يقولون ، فإذا انتهيت ، فسَلْ تعْطَهْ »(٢).

وفى الترمذى عن أنس قال: قال رسول الله ﷺ:« الدعاء لا يردّ بين الأذان والإقامة». قالوا :فماذا نقول يا رسول الله؟ قال:« سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة »، قال الترمذى: حديث حسن صحيح (٣).

وفى « سنن أبى داود » عن سهل بن سعد قال: قال رسول الله ﷺ : « ثنتان لا تردان ، أو قلما تُردان :الدُّعاءُ عند النداء ، وعند البأس حين يلحم بعضهم بعضاً »(٤).

وفى «سنن أبى داود » عن أم سلمة قالت: علمنى رسول الله ﷺ أن أقول عند المغرب: «اللهم هذا إقبال ليلك ، وإدبار نهارك ،وأصوات دعاتك ،وحضور صلواتك ، فاغفر لى » (٥).

ففى « سنن أبى داود » عن بعض أصحاب النبى ﷺ ، أن بلالا أخذ فى الإقامة ، فلما أن قال : قد قامت الصلاة، قال النبى ﷺ :« أقامها اللّه وأدامها » (٦).

فهذه خمس سنن فى الأذان : إجابته ، وقول : رضيت بالله رباً وبالإسلام ديناً وبمحمد ﷺ رسولاً حين يسمع التشهد ،وسؤال اللّه تعالى لرسوله ﷺ الوسيلة ،والصلاة عليه ﷺ، والدعاء لنفسه ما شاء .

وعن سعد بن أبى وقاص، عن رسول الله ﷺ قال:« من قال حين يسمع المؤذن : وأنا أشهد أن لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ،وأن محمد عبده ورسوله، رضيت بالله ربا وبالإسلام دينا ، وبمحمد رسولا ، غفر الله له ذنوبه » (٧) (٨).

---

(١) البخارى (٦١٤) فى الأذان ، باب: الدعاء عند النداء .

(٢) أبو داود (٥٢٤) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا سمع المؤذن ، بلفظ : « عن عبد الله بن عمرو أن رجلا قال : يا رسول اللّه . . . ».

(٣) الترمذى (٣٥٩٤) فى الدعوات ، باب: فى العفو والعافية، وقال: « حسن » .

(٤) أبو داود (٢٥٤٠) فى الجهاد ، باب: الدعاء عند اللقاء .

(٥) أبو داود (٥٣٠) فى الصلاة ، باب: ما يقول عند أذان المغرب .

(٦) أبو داود (٥٢٨) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا سمع الإقامة .

(٧) أبو داود (٥٢٥) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا سمع المؤذن .

(٨) الوابل الصيب (٢١٩ ـ ٢٢٣) .

باب منه

أما هديه ﷺ فى الذكر عند الأذان وبعده ، فشرع لأمته منه خمسة أنواع :

أحدها : أن يقول السامع ، كما يقول المؤذن ، إلا فى لفظ « حى على الصلاة »« حى الفلاح » فإنه صح عنه إبدالُهما بـ « لا حول ولا قوّة إلا بالله » [١] ولم يجئ عنه الجمع بينها وبين « حى على الصلاة » « حى على الفلاح » ولا الاقتصار على الحيعلة ، وهديه ﷺ الذى صح عنه إبدالهما بالحوقلة ،وهذا مقتضى الحكمة المطابقة لحال المؤذن والسامع، فإن كلمات الأذان ذكر ،فسن للسامع أن يقولها ، وكلمة الحيعلة ، إلى الصلاة لمن سمعه، فسن للسامع أن يستعين على هذه الدعوة بكلمة الإعانة وهى « لا حول ولا قوة إلا بالله » العلى العظيم .

الثانى : أن يقول:وأنا أشهد ألا إله إلا الله ، وأن محمداً رسولُ الله ، رضيت بالله ربا وبالإسلام ديناً ، وبمحمد رسولاً ، وأخبر أن من قال ذلك غُفر له ذنبه [٢].

الثالث: أن يُصلى على النبىّ ﷺ بعد فراغه من إجابة المؤذن ، وأكمل ما يصلى عليه به ،ويصلى إليه ، هى الصلاة الإبراهيمية كما علّم أمته أن يصلوا عليه ، فلا صلاة عليه أكمل منها ،وإن تحذلق المتحذلقون .

الرابع :أن يقول بعد صلاته عليه :« اللهم ربّ هذه الدعوة التامة ، والصلاة القائمة، آت محمداً الوسيلة والفضيلة ، وابعثه مقاما محموداً الذى وعدته إنك لا تخلف الميعاد »[٣] هذا جاء بهذا اللفظ « مقاما محمودا » بلا ألف ولا لام، وهكذا صح عنه ﷺ.

الخامس : أن يدعو لنفسه بعد ذلك ، ويسأل اللّه من فضله ، فإنه يُستجاب له ، كما فى « السنن » عنه ﷺ : « قل كما يقولون يعنى المؤذنين ، فإذا انتهيت فسل تُعطه » [٤].

وذكر الإمام أحمد عنه ﷺ: « من قال حين ينادى المنادى : اللهم رب هذه الدعوة التامة والصلاة النافعة ،صلِّ على محمد وارض عنه رضى لا سخط بعده ،استجاب الله له

---

(١) أبو داود (٥٢٧) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا سمع المؤذن .

(٢) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٣) البخارى (٦١٤) فى الأذان ، باب: الدعاء عند النداء دون لفظة : « أنك لا تخلف الميعاد » ، والبيهقى فى الكبرى (١/ ٤١٠) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا فرغ من ذلك ،واللفظ له .

(٤) أبو داود (٥٢٤) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا سمع المؤذن .

دعوته » (١).

وقالت أم سلمة رضي الله عنها : علمنى رسول الله ﷺ أن أقول عند أذان المغرب : « اللهم إن هذا إقبال ليلك وإدبار نهارك ، وأصوات دعاتك ، فاغفر لى » ذكره الترمذى(٢).

وذكر الحاكم فى « المستدرك » من حديث أبى أمامة يرفعه أنه كان إذا سمع الأذان قال: « اللهم رب هذه الدعوة التامة المستجابة ،والمستجاب لها ، دعوة الحق وكلمة التقوى، توفنى عليها وأحينى عليها ، واجعلنى من صالحى أهلها عملا يوم القيامة » وذكره البيهقى من حديث ابن عمر موقوفاً عليه (٣).

وذكر عنه ﷺ أنه كان يقول عند كلمة الإقامة : « أقامها الله وأدامها » (٤).

وفى السنن عنه ﷺ : « الدعاء لا يرد بين الأذان والإقامة » قالوا : فما نقول يا رسول الله ؟ قال: « سلُوا اللّه العافية فى الدنيا والآخرة » حديث صحيح (٥).

وفيها عنه : « ساعتان ، يفتح الله فيهما أبواب السماء ، وقلما تُرد على داع دعوته: عند حضور النداء ، والصف فى سبيل الله »(٦) (٧).

فصل
فى أذكار الاستفتاح

فى « الصحيحين » أن النبى ﷺ كان يقول فى استفتاحه:« اللهم باعدْ بينى وبين خطاياى كما باعدت بين المشرق والمغرب، اللهم نقنى من خطاياى ،كما ينقى الثوب الأبيض

---

(١) أحمد (٣٣٧٣) .

(٢) الترمذى (٣٥٨٩) فى الدعوات ، باب : دعاء أم سلمة ، وقال: « غريب » .

(٣) الحاكم فى المستدرك ١ / ٥٤٦ (٥٤٧) فى الدعاء ، باب: إجابة الأذان والدعاء بعده ، وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى وقال: « عفير واه جدا » ، والبيهقى فى الكبرى (١/ ٤١١) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا سمع الإقامة .

(٤) أبو داود (٥٢٨) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا سمع الإقامة .

(٥) أبو داود (٥٢١) فى الصلاة ، باب : ما جاء فى الدعاء بين الأذان والإقامة ، والترمذى (٣٥٩٤) فى الدعوات ، باب: فى العفو والعافية وقال : « حسن » ، واللفظ له ، والنسائى فى الكبرى (٩٨٩٥) فى عمل اليوم والليلة ، باب: الترغيب فى الدعاء بين الأذان والإقامة .

(٦) أبو داود (٢٥٤٠) فى الجهاد ، باب : الدعاء عند اللقاء.

(٧) زاد المعاد (٢/ ٣٩١ ـ ٣٩٤) .

من الدنس ، اللهم اغسلنى من خطاياى بالماء والثلج والبرد » (١).

وفى « سنن أبى داود » ،عن جبير بن مطعم ،أنه رأى رسول الله ﷺ يصلى صلاة قال:« الله أكبر كبيراً ، والحمد لله كثيراً ، وسبحان الله بكرة وأصيلا ـ ثلاثًا ـ أعوذ بالله من الشيطان الرجيم من نفخه ونفثه وهمزه » (٢). قال : نفثه : الشعر ، ونفخه: الكبر ، وهمزه : الموتة .

وفى « السنن الأربعة »،عن عائشة وأبى سعيد وغيرهما ،أن النبى ﷺ كان إذا استفتح الصلاة قال:«سبحانك اللهم وبحمدك ، وتبارك اسمك ،وتعالى جدك ،ولا إله غيرك»(٣). وهو فى « صحيح مسلم » عن عمر موقوف عليه (٤) .

وفى « صحيح مسلم » عن على بن أبى طالب قال: كان رسول الله ﷺ إذا قام إلى الصلاة قال: « وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، إن صلاتى ونسكى ومحياى ومماتى لله رب العالمين ، لا شريك له ، وبذلك أمرت وأنا من المسلمين ،اللهم أنت الملك لا إله إلا أنت، أنت ربى وأنا عبدك ،ظلمت نفسى ، واعترفت بذنبى ، فاغفر لى ذنوبى جميعا ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، واهدنى لأحسن الأخلاق لا يهدى لأحسنها إلا أنت ،واصرف عنى سيئها لا يصرف عنى سيئها إلا أنت ، لبيك وسعديك ،والخير كله فى يديك ،والشر ليس إليك، أنا بك وإليك ، تباركت وتعاليت أستغفرك وأتوب إليك » (٥).

وفى «صحيح مسلم » ، عن عائشة: كان رسول الله ﷺ يفتتح صلاته إذا قام من الليل:« اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل،فاطر السموات والأرض،عالم الغيب والشهادة ، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا فيه يختلفون ،اهدنى لما اختلف فيه من الحق بإذنك ، إنك تهدى من تشاء إلى صراط مستقيم » (٦).

---

(١) البخارى (٧٤٤) فى الأذان ، باب: ما يقول بعد التكبير ، ومسلم (٥٩٨ / ١٤٧) فى المساجد ومواضع الصلاة ، باب : ما يقال بين تكبيرة الإحرام والقراءة .

(٢) أبو داود (٧٦٤) فى الصلاة ، باب: ما تستفتح به الصلاة من الدعاء .

(٣) أبو داود (٧٧٦) فى الصلاة ،باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك اللّهم وبحمدك ، والترمذى (٢٤٣) فى الصلاة، باب:ما يقول عند افتتاح الصلاة وقال: « هذا حديث لا نعرفه من حديث عائشة إلا من هذا الوجه »، والنسائى (٨٩٩) فى الافتتاح ، باب: الذكر بين افتتاح الصلاة وبين القراءة ،وابن ماجه (٨٠٦) فى إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب: افتتاح الصلاة .

(٤) مسلم (٣٩٩ / ٥٢) فى الصلاة ، باب: حجة من قال : لا يجهر بالبسملة .

(٥) مسلم (٧٧١ / ٢٠١) فى صلاة المسافرين وقصرها . ، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه .

(٦) مسلم (٧٧٠ / ٢٠٠) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه .

وفى « الصحيحين » : عن ابن عباس قال: كان رسول الله ﷺ يقول إذا قام إلى الصلاة من جوف الليل : « اللهم لك الحمد ، أنت نُور السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت قيّام السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت رب السموات والأرض ومن فيهن ، ولك الحمد ، أنت الحق ،ووعدك الحق ، وقولك الحق ، ولقاؤك حق ، والساعة حق . اللهم لك أسلمت ، وبك آمنت ، وعليك توكلت، وإليك أنبت ، وبك خاصمت ، وإليك حاكمت ، فاغفر لى ما قدمت وما أخرت ، وما أسررت وما أعلنت ، أنت إلهى لا إله إلا أنت » (١).

فصل
فى ذكر الركوع والسجود والفصل بينهما
وبين السجدتين

فى « السنن الأربعة » عن حذيفة رضى الله تعالى عنه ، أنه سمع رسول الله ﷺ يقول إذا ركع :« سبحان ربى العظيم » ثلاث مرات،وإذا سجد قال « سبحان ربى الأعلى » ثلاث مرات (٢).

وفيه حديث على رضي الله عنه ، أن رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه :« اللهم لك ركعت ، وبك آمنت، ولك أسلمت خشع لك سمعى وبصرى، ومخى وعظمى وعصبى»وإذا رفع رأسه من الركوع يقول : « سمع اللّه لمن حمده ربنا ولك الحمد ملء السموات وملء الأرض ، وملء ما بينهما ، وملء ما شئت من شيء بعد » وإذا سجد يقول فى سجوده: «اللهم لك سجدت وبك آمنت ،ولك أسلمت سجد وجهى للذى خلقه وصوّره ، وشق سمعه وبصره ، تبارك الله أحسن الخالقين » (٣).

وفى « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها قالت: كان رسول الله ﷺ يكثر أن يقول فى ركوعه وسجوده :« سبحانك اللهم ربنا وبحمدك . اللهم اغفر لى »(٤).

---

(١) البخارى (١١٢٠) فى التهجد، باب: التهجد بالليل ،ومسلم (١٩٩/٧٦٩) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب: الدعاء فى صلاة الليل وقيامه .

(٢) أبو داود (٨٧١) فى الصلاة ، باب: ما يقول الرجل فى ركوعه وسجوده ، والترمذى (٢٦٢) فى الصلاة ، باب:ما جاء فى التسبيح فى الركوع والسجود وقال :« حسن صحيح » ،والنسائى (١٠٤٦) فى الافتتاح ، باب: الذكر فى الركوع ،وابن ماجه (٨٨٨) فى إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب: التسبيح فى الركوع والسجود

(٣) مسلم (٢٠١/ ٧٧١) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء فى صلاة الليل وقيامه ، والترمذى (٣٣٢١) فى الدعوات ، باب (٣٢) .

(٤) البخارى (٧٩٤) فى الأذان ،باب: الدعاء فى الركوع ، ومسلم (٢١٧/٤٨٤) فى الصلاة ، باب: ما يقال فى الركوع والسجود .

وفى « صحيح مسلم » عنها ﵂ : كان رسول الله ﷺ يقول فى ركوعه وسجوده : «سبّوح قدّوس،رب الملائكة والروح » (١).

وفى « سنن أبى داود » عن عوف بن مالك ﵁، أن النبى ﷺ كان يقول فى ركوعه وسجوده: « سبحان ذى الجبروت ،والملكوت ،والكبرياء ،والعظمة » (٢).

وفى « صحيح مسلم » عن أبى سعيد ﵁ قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا رفع رأسه من الركوع قال:« اللهم ربنا لك الحمد ،ملء السموات ،وملء الأرض وملء ما بينهما، وملء ما شئت من شيء بعد ، أهل الثناء والمجد ،أحق ما قال العبد ،وكلنا لك عبد، اللهم لا مانع لما أعطيت ولامعطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»(٣) .

وفى « صحيح البخارى » عن رفاعة بن رافع ﵁ قال : كنا نصلى يوما وراء النبى ﷺ ، فلما رفع رأسه من الركعة قال: « سمع الله لمن حمده » ، فقال رجل وراءه : ربنا ولك الحمد حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه ، فلما انصرف قال: « من المتكلم ؟» قال: أنا يا رسول الله . قال: « لقد رأيت بضعة وثلاثين ملكا يبتدرونها أيهم يكتبها أول »(٤) .

وفى « صحيح مسلم » عن أبى هريرة ، أن رسول الله ﷺ قال: « أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد ، فأكثروا الدعاء »(٥) .

وعنه ﵁ : أن رسول الله ﷺ كان يقول فى سجوده: « اللهم اغفر لى ذنبى كله ، دقَّه ، وجلَّه ،وأوَّله وآخره ،وعلانيته ، وسرَّه » (٦).

وقالت عائشة ﵂ :افتقدت النبى ﷺ ذات ليلة من الفراش فالتسمته فوقعت يدى على بطن قدميه وهو فى المسجد وهما منصوبتان وهو يقول:« اللهم إنى أعُوذ برضاك من سخطك ،وبمُعافاتك من عقوبتك ، وأعوذ بك منك لا أحصى ثناءً عليك ،أنت كما أثنيت على نفسك »(٧). روى مسلم هذه الأحاديث .

وفى « سنن أبى داود » عن ابن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال:كان رسول الله ﷺ

---

(١) مسلم (٤٨٧ / ٢٢٣) فى الصلاة ، باب: ما يقال فى الركوع والسجود .
(٢) أبو داود (٨٧٣) فى الصلاة ، باب: ما يقول الرجل فى ركوعه وسجوده .
(٣) مسلم (٤٧٧ / ٢٠٥) فى الصلاة ،باب : ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع
(٤) البخارى (٧٩٩) فى الأذان ،باب: ١٢٦ .
(٥) مسلم (٤٨٢ / ٢١٥) فى الصلاة ، باب: ما يقال فى الركوع والسجود .
(٦) مسلم (٤٨٣/ ٢١٦) فى الصلاة ، باب: ما يقال فى الركوع والسجود .
(٧) مسلم (٤٨٦ / ٢٢٢) فى الصلاة ، باب: ما يقال فى الركوع والسجود .

يقول بين السجدتين :« اللهم اغفر لى وارحمنى ،واهدنى،واجبرنى ،وعافنى وارزقنى»(١).

وفى « السنن » أيضا عن حذيفة ـ رضى الله عنه وأرضاه ـ أن رسول الله ﷺ كان يقول بين السجدتين :« رب اغفر لى ،رب اغفر لى » (٢).

فصل
فى أدعية الصلاة بعد التشهد

فى « الصحيحين » عن أبى هريرة قال : قال رسول الله ﷺ:« إذا فرغ أحدكم من التشهد الآخر ، فليتعوذ بالله من أربع: من عذاب القبر ، ومن عذاب جهنم ، ومن فتنة المحيا والممات ، ومن شر فتنة المسيح الدجال » (٣).

وفيهما أيضا عن عائشة رضي الله عنها ،أن النبى ﷺ كان يدعو فى الصلاة :« اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر،وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال ،وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم » ،فقال له قائل:ما أكثر ما تستعيذ من المغرم فقال : «إن الرجل إذا غَرِم حدَّث فكذَّب ، ووعد فأخلف »(٤) .

وقد تقدم فى « الصحيحين » ،أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه قال لرسول اللّه ﷺ : علمنى دعاء أدعو به فى صلاتى ،فقال:« قُل :اللهم إنى ظلمت نفسى ظلماً كثيرا ،ولا يغفر الذنوب إلا أنت ،فاغفر لى مغفرة من عندك ،وارحمنى ،إنك أنت الغفور الرحيم»(٥).

وفى « صحيح مسلم »من حديث على فى صفة صلاة رسول اللّه ﷺ أنه كان يقول من آخر ما يقول بين التشهد والتسليم:« اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت وما أسررت

---

(١) أبو داود (٨٥٠) فى الصلاة ، باب: الدعاء بين السجدتين .

(٢) أبو داود (٨٧٤) فى الصلاة ، باب : ما يقول الرجل فى ركوعه وسجوده ، والترمذى فى الشمائل ص ١٩٠، والنسائى (١١٤٥) فى التطبيق ، باب: الدعاء بين السجدتين ، وابن ماجه (٨٩٧) فى إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب: ما يقول بين السجدتين .

(٣) البخارى (١٣٧٧) فى الجنائز ، باب: التعوذ من عذاب القبر ، ومسلم (٥٨٨ / ١٣٠) فى المساجد ومواضع الصلاة ، باب: ما يستعاذ منه فى الصلاة .

(٤) البخارى (٨٣٢) فى الأذان ، باب: الدعاء قبل السلام ، ومسلم (٥٨٩ / ١٢٩) فى المساجد ومواضع الصلاة ، باب: ما يستعاذ منه فى الصلاة .

(٥) البخارى (٨٣٤) فى الأذان ، باب: الدعاء قبل السلام ،ومسلم (٢٧٠٥ / ٤٨) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ،باب: استحباب خفض الصوت بالذكر .

وما أعلنت وما أسرفت ،وما أنت أعلم به منى أنت المقدم وأنت المؤخر لا إله إلا أنت»[١].

وفى « سنن أبى داود » أن النبى ﷺ قال لرجل : « كيف تقول فى الصلاة » ؟ قال: أتشهد وأقول: اللهم إنى أسألك الجنة ، وأعوذ بك من النار ، أما إنى لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ ، فقال النبى ﷺ :« حولها ندندن » [٢].

وفى « المسند » و « السنن » ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه ،أن رسول الله ﷺ كان يقول فى صلاته : « اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر ،والعزيمة على الرشد ، وأسألك شُكر نعمتك ، وحُسن عبادتك ، وأسألك قلبا سليما ، ولسانا صادقا ، وأسألك من خير ما تعلم، وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب » [٣].

وفى « سنن النسائى » : أن عمار بن ياسر صلى صلاة ،ودعا فيها بدعوات وقال: سمعتهن من رسول الله ﷺ .« اللهم بعلمك الغيب ،وقدرتك على الخلق ، أحينى إذا علمت الحياة خيرا لى ،وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى ،الله إنى أسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا. وأسألك نعيما لا ينفد وأسألك قرة عين لا تنقطع ،وأسألك القصد فى الفقر والغنى ،وأسألك الرضا بعد القضاء ،وأسألك برد العيش بعد الموت ،وأسألك لذة النظر إلى وجهك الكريم ،والشوق إلى لقائك ، فى غير ضراء مضرة ولا فتنة مضلة ، اللهم زينَّا بزينة الإيمان، واجعلنا هُداة مهتدين»[٤].

فصل
فى الأذكار المشروعة بعد السلام ، وهو إدبار السجود

فى«صحيح مسلم» عن ثوبان رضي الله عنه :كان رسول الله ﷺ إذا انصرف من صلاته استغفر اللّه ثلاثا وقال:«اللهم أنت السلام ،ومنك السلام ، تباركت يا ذا الجلال والإكرام » [٥].

وفى « الصحيحين » عن المغيرة بن شعبة أن رسول اللّه ﷺ كان إذا فرغ من الصلاة قال: « لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك ، وله الحمد ، وهو على كل شىء

(١) مسلم (٧٧١ / ٢٠١) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب : الدعاء فى صلاة الليل وقيامه.
(٢) أبو داود (٧٩٢) فى الصلاة، باب : فى تخفيف الصلاة .
(٣) أحمد (٤/ ١٢٥) ، والترمذى (٣٤٠٧) فى الدعوات ، باب: ٢٣ ، وقال : هذا حديث إنما نعرفه من هذا الوجه ، والنسائى (١٣٠٤) فى السهو ، باب: نوع آخر من الدعاء .
(٤) النسائى (١٣٠٥) فى السهو ، باب : ٦٢ نوع آخر .
(٥) مسلم (٥٩١ / ١٣٥) فى المساجد ومواضع الصلاة ،باب: استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته .

قدير ،اللهم لا مانع لما أعطيت ،ولا معطى لما منعت ، ولا ينفع ذا الجد منك الجد»[١].

وفى « صحيح مسلم » عن عبد الله بن الزبير رضى الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان يهلل دُبر كل صلاة حين يسلم بهؤلاء الكلمات :« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، له الملك وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير ، لا حول ولا قوة إلا بالله ، لا إله إلا الله ، ولا نعبد إلا إياه ، له النعمة وله الفضل ،وله الثناءُ الحسن ، لا إله إلا الله مخلصين له الدين ولو كره الكافرون »[٢] .

وفى « صحيح مسلم » عن أبى هريرة ، عن رسول الله ﷺ قال:« من سبح الله فى دبر كل صلاة ثلاثا وثلاثين ، وكبر الله ثلاثا وثلاثين ، وحمد الله ثلاثا وثلاثين ، وقال تمام المائة :لا إله إلا الله وحده لا شريك له،له الملك، وله الحمد ،وهو على شيء قدير ، غُفرت خطاياه وإن كانت مثل زبد البحر »[٣].

وفى « السنن » عن عبد الله بن عمرو، عن النبى ﷺ قال: « خصلتان ـ أو خلتان ـ لا يحافظ عليهما عبد مسلم إلا دخل الجنة ، هما يسير ، ومن يعمل بهما قليل: يُسبح الله فى دبر كل صلاة عشراً ، ويحمده عشراً ،ويكبره عشراً ، فذلك خمسون ومائة باللسان، وألف وخمسمائة فى الميزان.ويكبر أربعا وثلاثين إذا أخذ مضجعه ، ويحمد ثلاثا وثلاثين ، ويسبح ثلاثا وثلاثين ، فذلك مائة باللسان ،وألف فى الميزان » قال:ولقد رأيت رسول الله ﷺ يعقدها بيده .قالوا:يا رسول الله ، كيف هما يسير ومن يعمل بهما قليل ؟ قال:« يأتى أحدكم ـ يعنى الشيطان ـ فى منامه ، فيُنومه قبل أن يقولهما ،ويأتيه فى صلاته فيذكره حاجته قبل أن يقولهما »[٤] .

وفى « السنن » عن عقبة بن عامر : أمرنى رسول الله ﷺ أن أقرأ بالمعوذتين دبُر كل صلاة [٥].

---

(١) البخارى (٨٤٤) فى الأذان ، باب: الذكر بعد الصلاة ، ومسلم (٥٩٣ / ١٣٧) فى المساجد ومواضع الصلاة، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة .

(٢) مسلم (٥٩٤ / ١٣٩) فى المساجد ومواضع الصلاة ، باب:استحباب الذكر بعد الصلاة ، وبيان صفته .

(٣) مسلم (٥٩٧ / ١٤٦) فى المساجد ومواضع الصلاة ، باب: استحباب الذكر بعد الصلاة وبيان صفته .

(٤) أبو داود (٥٠٦٥) فى الأدب ،باب: فى التسبيح عند النوم ، والترمذى (٣٤١٠) فى الدعوات ، باب:٢٥، وقال :« حسن صحيح» ، والنسائى (١٣٤٨) فى السهو، باب: عدد التسبيح بعد التسليم ،وابن ماجه (٩٢٦) فى إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب : ما يقال بعد التسليم .

(٥) أبو داود (١٥٢٣) فى الصلاة ، باب : فى الاستغفار ، والترمذى(٢٩٠٣) فى فضائل القرآن، باب: ما جاء فى المعوذتين، وقال:« حسن غريب »، والنسائى (١٣٣٦) فى السهو ، باب : الأمر بقراءة المعوذات بعد التسليم من الصلاة .

وفى « النسائى الكبير » عن أبى أمامة قال: قال رسول اللّه ﷺ :من قرأ آية الكرسى عقب كل صلاة ،لم يمنعه من دخول الجنة إلا أن يموت » (١) يعنى : لم يكن بينه وبين دخول الجنة إلا الموت .

وبلغنى عن شيخ الإسلام ابن تيمية، قال:ما تركته عقيب كل صلاة إلا نسياناً أو نحوه.

قلت : وقد بالغ أبو الفرج ابن الجوزى فى إدخاله هذا الحديث فى الموضوعات، وقال شيخنا : أبو الحجاج المزى ـ رحمه اللّه : إسناده على شرط البخارى .

فصل
فى ذكر التشهد

ثبت فى « الصحيحين » عن عبد الله بن مسعود قال: علمنى رسول اللّه ﷺ التشهد ـ وكفى بين كفيه ـ كما يعلمنى سورة من القرآن:« التحيات للّه،والصلوات والطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة اللّه وبركاته،السلام علينا وعلى عبادنا الصالحين ،أشهد أن لا إله إلا اللّه وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » (٢).

وفى « صحيح مسلم » عن ابن عباس قال : كان رسول اللّه ﷺ يعلمنا التشهد كما يعلمنا السورة من القرآن ، وكان يقول: « التحيات المباركات ،الصلوات ، الطيبات للّه، السلام عليك أيها النبىُّ ورحمةُ اللّه وبركاته، السلام علينا على عباد اللّه الصالحين. أشهد أن لا إله إلا اللّه، وأشهد أن محمدا رسول اللّه »(٣) .

وفى « صحيح مسلم » ،عن أبى موسى ،أن النبى ﷺ علمهم التشهد:« التحياتُ الطيبات ،الصلوات للّه ،السلام عليك أيها النبى ورحمة اللّه وبركاته ،السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله » (٤).

وروى أبو داود عن ابن عمر بن الخطاب ،عن رسول الله ﷺ فى التشهد:« التحيات لله الصلوات الطيبات ، السلام عليك أيها النبى ورحمة الله وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين، أشهد أن لا إله إلا الله ـ قال ابن عمر : وزاد فيها : وحده لا شريك له ـ وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » (٥) .

---

(١) النسائى فى الكبرى (٩٩٢٨) فى عمل اليوم والليلة ، باب: ثواب من قرأ آية الكرسى دبر كل صلاة .
(٢) البخارى (٦٢٦٥) فى الاستئذان،باب: الأخذ باليد ،ومسلم (٤٠٢/ ٥٩) فى الصلاة، باب:التشهد فى الصلاة.
(٣) مسلم (٤٠٣/ ٦٠) فى الصلاة ، باب: التشهد فى الصلاة .
(٤) مسلم (٤٠٤ / ٦٢) فى الصلاة ،باب:التشهد فى الصلاة .
(٥) أبو داود (٩٧١) فى الصلاة ، باب : التشهد .

وروى أبو داود ، عن سمرة بن جندب : أما بعد : أمرنا رسول اللّه ﷺ إذا كان فى وسط الصلاة ، أو حين انقضائها ، فابدؤوا قبل السلام فقولوا: « التحيات الطيباتُ والصلوات، والملك للّه ، ثم سلموا على اليمين ، ثم على قارئكم وعلى أنفسكم » (١).

وذكر مالك فى «الموطأ »: أن عمر كان يعلم الناس التشهد وهو على المنبر يقول: قولوا: « التحيات للّه،الزاكيات للّه ، الصلوات الطيبات للّه ،السلام عليك أيها النبى ورحمة اللّه وبركاته ، السلام علينا وعلى عباد اللّه الصالحين ، أشهد أن لا إله إلا اللّه ، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله »(٢) .

فأى تشهد أتى به من هذه التشهدات أجزأه .

وذهب الإمام أحمد وأبو حنيفة إلى تشهد ابن مسعود ، وذهب الشافعى إلى تشهد ابن عباس ، وذهب مالك إلى تشهد عمر رضي الله عنه ، والكل كافٍ يجزئ .

فصل
فى ذكر الصلاة على النبى ﷺ

فى « الصحيحين » عن كعب بن عجرة قال: خرج علينا رسول اللّه ﷺ فقلنا: قد عرفنا كيف نسلم عليك ، فكيف نصلى عليك ؟ قال: « قولوا اللهم صلِّ على محمد، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم ،وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد ،اللهم بارك على محمد ،وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد »(٣) .

وفى «الصحيحين» أيضاً : عن أبى حميد الساعدى أنهم قالوا: يا رسول اللّه ، كيف نصلى عليك ؟ قال: « قولوا : اللهم صلِّ على محمد ،وعلى أزواجه وذريته ، كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى أزواجه وذريته ،كما باركت على آل إبراهيم ، إنك حميد مجيد » (٤).

وفى « صحيح مسلم » عن أبى مسعود الأنصارى قال : أتانا رسول اللّه ﷺ ونحن

---

(١) أبو داود (٩٧٥) فى الصلاة ، باب: التشهد .

(٢) مالك فى الموطأ ١/ ٩٠ ،٩١ (٥٣) فى الصلاة ، باب: التشهد فى الصلاة .

(٣) البخارى (٦٣٥٧) فى الدعوات ، باب: الصلاة على النبى ﷺ ، ومسلم (٤٠٦/ ٦٦) فى الصلاة ، باب: الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد .

(٤) البخارى (٦٣٦٠) فى الدعوات ، باب : هل يصلى على غير النبى ﷺ ، ومسلم (٤٠٧/ ٦٩) فى الصلاة، باب: الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد .

فى مجلس سعد بن عبادة ،فقال له بشير بن سعد : أمرنا الله أن نصلى عليك يا رسول الله ، كيف نصلى عليك؟ قال: فسكت رسول الله ﷺ حتى تمنينا أنه لم يسأله. ثم قال رسول الله ﷺ : « قولوا : اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على آل إبراهيم ، وبارك على محمد ، وعلى آل محمد، كما باركت على آل إبراهيم ، فى العالمين إنك حميد مجيد . والسلام كما قدْ علمتم » (١) .

ذكر ابن ماجه فى« سننه » عن عبد الله بن مسعود قال: إذا صليتم على رسول الله فأحسنوا الصلاة عليه ، فإنكم لا تدرون لعل ذلك يعرض عليه . قال: فقالوا له: فعلمنا، قال:قولوا: اللهم اجعل صلاتك ،ورحمتك،وبركاتك على سيد المرسلين ،وإمام المتقين، وخاتم النبيين ،محمد عبدك ورسولك ،إمام الخير ،وقائد الخير ،ورسول الرحمة،اللهم ابعثه مقاما محمودا يغبطُه به الأولون والآخرون ،اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ،إنك حميد مجيد،اللهم بارك على محمد ، وعلى آل محمد ،كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد (٢).

فصل
فى ذكر الاستخارة

فى « صحيح البخارى » عن جابر قال :كان رسول الله ﷺ يُعلمنا الاستخارة فى الأمر كما يعلمنا السورة من القرآن ،يقول:« إذا هم أحدكم بالأمر ، فليركع ركعتين من غير الفريضة ،ثم ليقُل :اللهم إنى أستخيرك بعلمك ، وأستقدرك بقدرتك ، وأسألك من فضلك العظيم ، فإنك تقدر ولا أقدر ، وتعلم ولا أعلم ، وأنت علاّم الغيوب، اللهم إن كنت تعلم أن هذا الأمر ـ ويسمى حاجته ـ خير لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى ، فاقدره لى ، ويسره لى ،ثم بارك لى فيه ، وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى فى دينى ومعاشى وعاقبة أمرى، فاصرفه عنى ، واصرفنى عنه ،واقدر لى الخير حيث كان ، ثم أرضنى به » (٣).

وفى « مسند الإمام أحمد » ، من حديث سعد بن أبى وقاص ، عن النبى ﷺ أنه قال:« من سعادة ابن آدم استخارة الله ومن سعادة ابن آدم رضاه بما قضى الله ،ومن شقوة

---

(١) مسلم (٤٠٥ / ٦٥) فى الصلاة ، باب: الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد .
(٢) ابن ماجه (٩٠٦) فى إقامة الصلاة والسنة فيها ، باب: الصلاة على النبى ﷺ.
(٣) البخارى (٦٣٨٢) فى الدعوات ، باب: الدعاء عند الاستخارة .

ابن آدم تركه استخارة اللّه ، ومن شقوة ابن آدم سخطه بما قضى اللّه » (١) .

وكان شيخ الإسلام ابن تيمية ـ رضي الله عنه ـ يقول : ما ندم من استخار الخالق .وشاور المخلوقين، وتثبت فى أمره . وقد قال سبحانه وتعالى : ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾[آل عمران : ١٥٩] .

وقال قتادة : ما تشاور قوم يبتغون وجه اللّه إلا هدوا إلى أرشد أمرهم .

فصل
فى أذكار الكرب والغم والحزن والهم

فى « الصحيحين »: عن ابن عباس ، أن رسول اللّه ﷺ كان يقول عند الكرب: « لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا اللّه رب العرش العظيم لا إله إلا اللّه رب السموات ، ورب الأرض ،رب العرش الكريم » (٢).

وفى الترمذى عن أنس رضي الله عنه ، أن النبى ﷺ كان إذا حزبه أمر قال:« يا حى يا قيوم ، برحمتك أستغيث » (٣).

و فيه أيضا : عن أبى هريرة ، أن النبى ﷺ كان إذا أهمه الأمر ، رفع رأسه إلى السماء فقال :« سبحان اللّه العظيم » ،وإذا اجتهد فى الدعاء قال:« يا حى يا قيوم » (٤).

وفى «سنن أبى داود » عن أبى بكرة ،أن رسول اللّه ﷺ قال:«دعواتُ المكروب: اللهم رحمتك أرجو، فلا تكلنى إلى نفسى طرفة عين ،وأصلح لى شأنى كلّه ،لا إله إلا أنت » (٥).

وفى « السنن » أيضا ، عن أسماء بنت عميس قالت : قال رسول اللّه ﷺ : «ألا أعلمك كلمات تقولينهن عند الكرب ؟ اللّه اللّه ربى لا أشرك به شيئاً » (٦) .

---

(١) أحمد (١/١٦٨) ، وقال الشيخ شاكر (١٤٤٤):« إسناده ضعيف » .

(٢) البخارى (٦٣٤٦) فى الدعوات ، باب : الدعاء عند الكرب ، ومسلم (٢٧٣/ ٨٣) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار) باب : دعاء الكرب .

(٣) الترمذى (٣٥٢٤) فى الدعوات ، باب : ٩٢ وقال : « غريب ».

(٤) الترمذى (٣٤٣٦) فى الدعوات ، باب: ما جاء ما يقول عند الكرب ، وقال : « غريب » .

(٥) أبو داود (٥٠٩٠) فى الأدب ، باب : ما يقول إذا أصبح .

(٦) أبو داود (١٥٢٥) فى الصلاة، باب: فى الاستغفار ،والنسائى فى الكبرى (١٠٨٥) فى عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول عند الكرب إذا نزل به ، وابن ماجه (٣٨٨٢) فى الدعاء ، باب الدعاء عند الكرب.

فى رواية أنها تقال سبع مرات .

وفى الترمذى عن سعد بن أبى وقاص قال: قال رسول الله ﷺ :« دعوة ذى النون إذا دعا وهو فى بطن الحوت :﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الأنبياء] لم يدْعُ بها رجل مسلم فى شىء قط ،إلا استجاب الله له »(١).

وفى رواية « إنى لأعلمك كلمة لا يقولها مكروب إلا فرج الله عنه ، كلمة أخى يونس عليه السلام »(٢).

وفى « مسند الإمام أحمد » و « صحيح ابن حبان» عن عبد الله بن مسعود عن النبى ﷺ قال :« ما أصاب عبدا هم ولا حزن فقال: اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ماض فىّ حكمك ، عدل فى قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو أنزلته فى كتابك ، أو علمته أحدا من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك ، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور بصرى ، وجلاء حزنى ،وذهاب همى ، إلا أذهب الله همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحاً » (٣) (٤) .

باب : منه

فى جامع الترمذى من حديث أبى هريرة رضي الله عنه : أن النبى ﷺ كان إذا أهمه الأمر رفع رأسه إلى السماء ، وإذا اجتهد فى الدعاء قال:« يا حى يا قيوم » (٥).

وفيه أيضًا من حديث أنس بن مالك ، قال : كان النى ﷺ إذا كربه أمر قال:« يا حى يا قيوم ، برحمتك أستغيث » (٦).

وفى صحيح الحاكم من حديث أبى أمامة عن النبى ﷺ أنه قال : « اسم الله الأعظم فى ثلاث سور من القرآن : البقرة وآل عمران وطه » ، قال القاسم : فالتمستها فإذا هى آية (الحى القيوم) (٧) .

وفى جامع الترمذى وصحيح الحاكم من حديث سعد بن أبى وقاص عن النبى ﷺ

---

(١) الترمذى (٣٥٠٥) فى الدعوات، باب: ٨٢ .

(٢) كنز العمال (٣٤٢٧) فى أدعية الهم والكرب والحزن ، وعزاه لابن السنى فى عمل يوم وليلة عن سعد .

(٣) أحمد (١/ ٣٩١) ، وابن حبان (٩٦٨) فى الرقائق ، باب: ذكر الأمر لمن أصابه حزن أن يسأل الله ذهابه عنه وإبداله إياه فرجا .

(٤) الوابل الصيب (٢٢٣ ـ ٢٥٠) .

(٥) الترمذى (٣٤٣٦) فى الدعوات ، باب :ما جاء ما يقول عند الكرب ، وقال: « حسن غريب ».

(٦) الترمذى (٣٥٢٤) فى الدعوات ، باب: ٩٢ ، وقال : « غريب » .

(٧) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٠٥) فى الدعاء ، باب: اسم الله الأعظم الحى القيوم ، وسكت عنه هو والذهبى.

قال: « دعوة ذى النون ، إذا دعا وهو فى بطن الحوت :﴿ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ أَنتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ الظَّالِمِينَ ﴿٨٧﴾ ﴾ [الانبياء] إنه لم يدع بها مسلم فى شىء قط إلا استجاب الله له» قال الترمذى: حديث صحيح(١).

وفى مستدرك الحاكم أيضا من حديث سعد عن النبى ﷺ : «ألا أخبركم بشىء إذا نزل برجل منكم أمر مهم ، فدعا به يفرّج الله عنه ؟ دُعاء ذى النون »(٢) .

وفى صحيحه أيضا عنه أنه سمع النبى ﷺ وهو يقول:«هل أدلكم على اسم الله الأعظم ؟ دُعاءُ يونس » . قال رجل: يا رسول الله،هل كانت ليونس خاصّة ؟ فقال : « ألا تسمع قوله تعالى: ﴿ فَاسْتَجَبْنَا لَهُ وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾ ﴾ [الأنبياء:٨٨]، فأيما مسلم دعا بها فى مرضه أربعين مرة فمات فى مرضه ذلك أُعطى أجر شهيد ، وإن برأ برأ مغفورًا له »(٣) .

وفى الصحيحين من حديث ابن عباس أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب : «لا إله إلا الله العظيم الحليم ،لا إله إلا الله رب العرش العظيم ، لا إله إلا الله رب السموات ورب العرش الكريم » (٤).

وفى مسند الإمام أحمد من حديث على بن أبى طالب رضي الله عنه قال: علمنى رسول الله ﷺ إذ نزل بى كرب أن أقول :« لا إله إلا الله الحليم الكريم ،سُبحان الله وتبارك الله رب العرش العظيم ، والحمد لله رب العالمين » (٥).

وفى مسنده أيضا من حديث عبد الله بن مسعود . قال : قال رسول الله ﷺ : « ما أصاب أحداً قط همّ ولا حُزن ، فقال : اللّهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك، ماض فىّ حكمك ، عدلٌ فىّ قضاؤك ، أسألك اللهم بكل اسم هو لك ، سميت به نفسك ، أو علمته أحداً من خلقك ، أو أنزلته فى كتابك أو استأثرت به فى علم الغيب عندك : أن تجعل القرآن العظيم ربيع قلبى ، ونور صدرى ،وجلاء حزنى ، وذهاب همى، إلا أذهب الله عز وجل همه وحزنه ، وأبدله مكانه فرحا» ، فقيل : يا رسول الله ، أنتعلمها ؟ قال :« بلى ينبغى لمن سمعها أن يتعلمها » (٦).

---

(١) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٢) الحاكم فى المستدرك (١ / ٥٠٥) فى الدعاء ، باب : اسم الله الأعظم الحى القيوم،وسكت عنه هو والذهبى.

(٣) الحاكم فى المستدرك (١ / ٥٠٦) فى الدعاء ، باب اسم الله الأعظم الحى القيوم ، وسكت عنه وهو والذهبى .

(٤) البخارى (٦٣٤٦) فى الدعوات ، باب: الدعاء عند الكرب ، ومسلم (٢٧٣ / ٨٣) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: دعاء الكرب.

(٥) أحمد (١/ ٩١) ، وقال الشيخ شاكر (٧٠١) : « إسناده صحيح ».

(٦) أحمد (١/ ٣٩١) ،وقال الشيخ شاكر (٣٧١٢) : « إسناده صحيح »

وقال ابن مسعود : « ما كرب نبى من الأنبياء ،إلا استغاث بالتسبيح » .

وذكر ابن أبى الدنيا فى كتاب « المجابين فى الدعاء » عن الحسن قال: « كان رجل من أصحاب النبى ﷺ من الأنصار يكنى أبا معلق ، وكان تاجراً يتجر بمال له ولغيره ، يضرب به الآفاق ، وكان ناسكا ورعاً ، فخرج مرة فلقيه لصّ مقنع فى السلاح. فقال له: ضع ما معك ، فإنى قاتلك ، قال: ما تريده من دمى ؟ شأنك بالمال . قال: أما المال فلى ، ولست أريد إلا دمك. قال: أما إذا أبيت فذرنى أصلى أربع ركعات . قال:صلّ ما بدا لك. فتوضأ ثم صلى أربع ركعات . فكان من دعائه فى آخر سجدة أن قال: يا ودود، يا ذا العرش المجيد ، يا فعالاً لما تريد، أسألك بعزك الذى لا يرام ، وبملكك الذى لا يضام ،وبنورك الذى ملأ أركان عرشك :أن تكفينى شر هذا اللص. يا مغيث أغثنى يا مغيث أغثنى. ثلاث مرات . فإذا هو بفارس قد أقبل بيده حربة قد وضعها بين أذنى فرسه ، فلما بصُر باللص أقبل نحوه ، فطعنه فقتله. ثم أقبل إليه فقال : قم .فقلت : من أنت بأبى أنت وأمى ؟ فقد أغاثنى الله بك اليوم . فقال : أنا ملك من أهل السماءالرابعة ، دعوت بدعائك الأول فسمعت لأهل السماء قعقعة ، ثم دعوت بدعائك الثانى فسمعت لأهل السماء ضجة .ثم دعوت بدعائك الثالث ، فقيل لى : دعاء مكروب . فسألت الله أن يولينى قتله . قال الحسن :فمن توضأ وصلى أربع ركعات،ودعا بهذا الدعاء، استجيب له ، مكروبا كان أو غير مكروب [1].

فوائد
فى حديث إزالة الهم والحزن

فى المسند وصحيح أبى حاتم من حديث عبد الله بن مسعود قال: قال رسول الله ﷺ: « ما أصاب عبداً هم ولا حزن فقال :اللهم إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك ، ناصيتى بيدك ،ماض فى حكمك ، عدل فىّ قضاؤك ، أسألك بكل اسم هو لك سميت به نفسك، أو أنزلته فى كتابك ،أو علمته أحداً من خلقك ، أو استأثرت به فى علم الغيب عندك، أن تجعل القرآن ربيع قلبى ، ونور صدرى،وجلاء حزنى ،وذهاب همى وغمى، إلا أذهب همه وغمه ، وأبدله مكانه فرحاً » . قالوا : يا رسول الله،أفلا نتعلمهن ؟ قال:« بلى، ينبغى لمن سمعهن أن يتعلمهن»[2]. فتضمن هذا الحديث العظيم أموراً من المعرفة والتوحيد

(١) الداء والدواء (٣٠ ـ ٣٤ ، ٣٤٩) .

(٢) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

والعبودية: منها: أن الداعى به صدر سؤاله بقوله: « إنى عبدك ابن عبدك ابن أمتك »، وهذا يتناول من فوقه من آبائه وأمهاته إلى أبويه آدم وحواء، وفى ذلك تملق له واستخذاء [1] بين يديه واعتراف بأنه مملوكه وآباؤه مماليكه، وأن العبد ليس له غير باب سيده وفضله وإحسانه، وأن سيده إن أهمله وتخلى عنه هلك ولم يؤه أحد ولم يعطف عليه بل يضيع أعظم ضيعة. فتحت هذا الاعتراف: إنى لا غنى بى عنك طرفة عين، وليس لى من أعوذ به وألوذ به غير سيدى الذى أنا عبده، وفى ضمن ذلك الاعتراف بأنه مربوب مدبر مأمور منهى، إنما يتصرف بحكم العبودية لا بحكم الاختيار لنفسه. فليس هذا شأن العبد بل شأن الملوك والأحرار. وأما العبيد فتصرفهم على محض العبودية، فهؤلاء عبيد الطاعة المضافون إليه سبحانه فى قوله:

﴿ إِنَّ عِبَادِي لَيْسَ لَكَ عَلَيْهِمْ سُلْطَانٌ ﴾ [الحجر: ٤٢]، وقوله: ﴿ وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا ﴾ [الفرقان: ٦٣]، ومن عداهم عبيد القهر والربوبية، فإضافتهم إليه كإضافة سائر البيوت إلى ملكه، وإضافه أولئك كإضافة البيت الحرام إليه، وإضافة ناقته إليه وداره التى هى الجنة إليه، وإضافة عبودية رسوله إليه بقوله: ﴿ وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ﴾ [البقرة: ٢٣]، ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِ ﴾ [الإسراء: ١]، ﴿ وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ ﴾ [الجن: ١٩].

وفى التحقيق بمعنى قوله: « إنى عبدك » التزام عبوديته من الذل والخضوع والإنابة وامتثال أمر سيده واجتناب نهيه ودوام الافتقار إليه، واللجأ إليه، والاستعانة به، والتوكل عليه، وعياذ العبد به ولياذه به وألا يتعلق قلبه بغيره محبة وخوفاً ورجاء، وفيه أيضاً: إنى عبد من جميع الوجوه: صغيراً وكبيراً، حياً وميتاً، مطيعاً وعاصياً، معافى ومبتلى بالروح والقلب واللسان والجوارح، وفيه أيضا: أن مالى ونفسى ملك لك، فإن العبد وما يملك لسيده، وفيه أيضا: إنك أنت الذى مننت على بكل ما أنا فيه من نعمة، فذلك كله من إنعامك على عبدك. وفيه أيضاً: إنى لا أنصرف فيما خولتنى من مالى ونفسى إلا بأمرك، كما لا يتصرف العبد إلا بإذن سيده وإنى لا أملك لنفسى ضراً ولا نفعاً ولا موتاً ولا حياة ولا نشوراً. فإن صح له شهود ذلك فقد قال: إنى عبدك حقيقة.

ثم قال: «ناصيتى بيدك»، أى أنت المتصرف فى، تصرفنى كيف تشاء، لست أنا المتصرف فى نفسى وكيف يكون له فى نفسه تصرف من نفسه بيد ربه وسيده وناصيته بيده وقلبه بين أصبعين من أصابعه، وموته وحياته وسعادته وشقاوته وعافيته وبلاؤه كله إليه

(١) أى انكسار.

سبحانه ،ليس إلى العبد منه شيء،بل هو فى قبضة سيده أضعف من مملوك ضعيف حقير ، ناصيته بيد سلطان قاهر مالك له تحت تصرفه وقهره بل الأمر فوق ذلك.

ومتى شهد العبد أن ناصيته ونواصى العباد كلها بيد اللّه وحده و يصرفهم كيف يشاء لم يخفهم بعد ذلك ، ولم يرجهم ولم ينزلهم منزلة المالكين ، بل منزلة عبيد مقهورين مربوبين ، المتصرف فيهم سواهم والمدبر لهم غيرهم ، فمن شهد نفسه بهذا المشهد صار فقره وضرورته إلى ربه وصفاً لازماً له ، ومتى شهد الناس كذلك لم يفتقر إليهم ولم يعلق أمله ورجاءه بهم ، فاستقام توحيده وتوكله وعبوديته ؛ ولهذا قال هود لقومه :﴿ **إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُم مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾**﴾ [هود:٥٦]

وقوله : « ماض فى حكمك ،عدل فى قضاؤك » تضمن هذا الكلام أمرين :

أحدهما: مضاء حكمه فى عبده .

والثانى : يتضمن حمده وعدله وهو ـ سبحانه ـ له الملك وله الحمد ، وهذا معنى قول نبيه هود :﴿ **مَّا مِن دَابَّةٍ إِلاَّ هُوَ آخِذٌ بِنَاصِيَتِهَا** ﴾ ثم قال:﴿ **إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٦﴾** ﴾أى مع كونه مالكًا قاهراً متصرفاً فى عباده ، نواصيهم بيده فهو على صراط مستقيم . وهو العدل الذى يتصرف به فيهم فهو على صراط مستقيم فى قوله وفعله وقضائه وقدره وأمره ونهيه وثوابه وعقابه . فخبره كله صدق ،وقضاؤه كله عدل وأمره كله مصلحة، والذي نهى عنه كله مفسدة،وثوابه لمن يستحق الثواب بفضله ،ورحمته وعقابه لمن يستحق العقاب بعدله وحكمته .

وفرق بين الحكم والقضاء وجعل المضاء للحكم والعدل للقضاء،فإن حكمه ـ سبحانه ـ يتناول حكمه الدينى الشرعى وحكمه الكونى القدرى . والنوعان نافذان فى العبد ماضيان فيه ، وهو مقهور تحت الحكمين قد مضيا فيه ونفذا فيه شاء أم أبى ، لكن الحكم الكونى لا يمكنه مخالفته ،وأما الدينى الشرعى فقد يخالفه .

ولما كان القضاء هو الإتمام والإكمال ، وذلك إنما يكون بعد مضيه ونفوذه قال:« عدل فى قضاؤك » أى الحكم الذى أكملته وأتممته ونفذته فى عبدك عدل منك فيه . وأما الحكم فهو ما يحكم به ـ سبحانه ـ وقد يشاء تنفيذه وقد لا ينفذه ،فإن كان حكماً دينياً فهو ماض فى العبد ،وإن كان كونياً ، فإن نفذه ـ سبحانه ـ مضى فيه وإن لم ينفذه اندفع عنه ، فهو ـ سبحانه ـ يقضى ما يقضى به. وغيره قد يقضى بقضاء ويقدر أمراً ولا يستطيع تنفيذه.وهو ـ

سبحانه ـ يقضى ويمضى فله القضاء والإمضاء .

وقوله: «عدل فى قضاؤك» يتضمن جميع أقضيته فى عبده من كل الوجوه ،من صحة،وسقم ، وغنى ، وفقر ، ولذة ، وألم ،وحياة ، وموت ،وعقوبة ، وتجاوز وغير ذلك ، قال تعالى: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ ﴾ [الشورى: ٣٠]، وقال: ﴿ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ فَإِنَّ الإِنسَانَ كَفُورٌ ﴿٤٨﴾ ﴾[الشورى: ٤٨] ، فكل ما يقضى على العبد فهو عدل فيه .

فإن قيل: فالمعصية عندكم بقضائه وقدره ! فما وجه العدل فى قضائها ؟ فإن العدل فى العقوبة عليها غير ظاهر . قيل : هذا سؤال له شأن ، ومن أجله زعمت طائفة أن العدل هو المقدور والظلم ممتنع لذاته . قالوا :لأن الظلم هو التصرف فى ملك الغير ،والله له كل شىء ، فلا يكون تصرفه فى خلقه إلا عدلاً .

وقالت طائفة: بل العدل أنه لا يعاقب على ما قضاه وقدره ، فلما حسن منه العقوبة على الذنب علم أنه ليس بقضائه وقدره ، فيكون العدل هو جزاؤه على الذنب بالعقوبة والذم، إما فى الدنيا وإما فى الآخرة . وصعب على هؤلاء الجمع بين العدل وبين القدر ، فزعموا أن من أثبت القدر لم يمكنه أن يقول بالعدل ومن قال بالعدل لم يمكنه أن يقول بالقدر . كما صعب عليهم الجمع بين التوحيد وإثبات الصفات ،فزعموا أنهم لا يمكنهم إثبات التوحيد إلا بإنكار الصفات ، فصار توحيدهم تعطيلاً وعدلهم تكذيباً بالقدر .

وأما أهل السنة فهم مثبتون للأمرين ، والظلم عندهم هو وضع الشىء فى غير موضعه كتعذيب المطيع ومن لا ذنب له ، وهذا قد نزه الله نفسه عنه فى غير موضع من كتابه ، وهو ـ سبحانه ـ وإن أضل من شاء وقضى بالمعصية وألغى على من شاء فذلك محض العدل فيه ؛ لأنه وضع الإضلال والخذلان فى موضعه اللائق به ، كيف ومن أسمائه الحسنى العدل الذى كل أفعاله وأحكامه سداد وصواب وحق وهو ـ سبحانه ـ قد أوضح السبل وأرسل الرسل وأنزل الكتب وأزاح العلل ومكن من أسباب الهداية والطاعة بالأسماع والأبصار والعقول ، وهذا عدله ، ووفق من شاء بمزيد عناية وأراد من نفسه أن يعينه ويوفقه ،فهذا فضله، وخذل من ليس بأهل لتوفيقه وفضله ،وخلى بينه وبين نفسه ،ولم يرد ـ سبحانه ـ من نفسه أن يوفقه فقطع عنه فضله ولم يحرمه عدله ، وهذا نوعان :

أحدهما : ما يكون جزاء منه للعبد على إعراضه عنه وإيثار عدوه فى الطاعة والموافقة عليه وتناسى ذكره وشكره ،فهو أهل أن يخذله ويتخلى عنه .

والثانى : ألا يشاء له ذلك ابتداء لما يعلم منه أنه لا يعرف قدر نعمة الهداية ،ولا يشكره عليها ،ولا يثنى عليه بها ،ولا يحبه ، فلا يشاؤها له لعدم صلاحية محله . قال

تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ فَتَنَّا بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لِّيَقُولُوا أَهَٰؤُلَاءِ مَنَّ اللَّهُ عَلَيْهِم مِّن بَيْنِنَا أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ ﴿٥٣﴾﴾ [الأنعام] ،وقال: ﴿وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفال: ٢٣] .

فإذا قضى على هذه النفوس بالضلال والمعصية كان ذلك محض العدل، كما إذا قضى على الحية بأن تقتل وعلى المعصية كان ذلك محض العدل ،كما إذا قضى على الحية بأن تقتل وعلى العقرب وعلى الكلب العقور كان ذلك عدلاً فيه وإن كان مخلوقاً على هذه الصفة .

والمقصود :أن قوله ﷺ :« ماض فى حكمك ،عدل فى قضاؤك » رد على الطائفتين: القدرية الذين ينكرون عموم أقضية الله فى عبده، ويخرجون أفعال العباد عن كونها بقضائه وقدره ،ويردون القضاء إلى الأمر والنهى. وعلى الجبرية الذين يقولون: كل مقدور عدل ، فلا يبقى لقوله : « عدل فى قضاؤك » فائدة ، فإن العدل عندهم كل ما يمكن فعله والظلم هو المحال لذاته ، فكأنه قال: ماض ونافذ فى قضاؤك ، وهذا هو الأول بعينه.

وقوله :« أسألك بكل اسم » إلى آخره ، توسل إليه بأسمائه كلها ما علم العبد منها وما لم يعلم . وهذه أحب الوسائل إليه ، فإنها وسيلة بصفاته وأفعاله التى هى مدلول أسمائه .

وقوله:« أن تجعل القرآن ربيع قلبى ونور صدرى » الربيع : المطر الذى يحيى الأرض، شبه القرآن به لحياة القلوب به ، وكذلك شبهه الله بالمطر ، وجمع بين الماء الذى تحصل به الحياة ، والنور الذى تحصل به الإضاءة والإشراق ، كما جمع بينهما ـ سبحانه ـ فى قوله : ﴿أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَسَالَتْ أَوْدِيَةٌ بِقَدَرِهَا فَاحْتَمَلَ السَّيْلُ زَبَدًا رَّابِيًا وَمِمَّا يُوقِدُونَ عَلَيْهِ فِي النَّارِ ابْتِغَاءَ حِلْيَةٍ﴾ [الرعد: ١٧] .

وفى قوله: ﴿مَثَلُهُمْ كَمَثَلِ الَّذِي اسْتَوْقَدَ نَارًا فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ ذَهَبَ اللَّهُ بِنُورِهِم﴾ [البقرة: ١٧] .ثم قال: ﴿أَوْ كَصَيِّبٍ مِّنَ السَّمَاءِ﴾ [البقرة: ١٩].

وفى قوله: ﴿اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ مَثَلُ نُورِهِ﴾ [النور: ٣٥] .

ثم قال: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَابًا ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ﴾ [النور :٤٣] .

فتضمن الدعاء أن يحيى قلبه بربيع القرآن ، وأن ينور به صدره ، فتجتمع له الحياة والنور، قال تعالى :﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَّثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِّنْهَا﴾ [الأنعام: ١٢٢] .

ولما كان الصدر أوسع من القلب كان النور الحاصل له يسرى منه إلى القلب ؛ لأنه قد حصل لما هو أوسع منه . ولما كانت حياة البدن والجوارح كلها بحياة القلب تسرى الحياة منه إلى الصدر ثم إلى الجوارح سأل الحياة له بالربيع الذى هو مادتها ، ولما كان الحزن والهم والغم يضاد حياة القلب واستنارته سأل أن يكون ذهابها بالقرآن، فإنها أحرى ألا تعود ، وأما إذا ذهبت بغير القرآن من صحة أو دنيا أو جاه أو زوجة أو ولد فإنها تعود بذهاب ذلك. والمكروه الوارد على القلب إن كان من أمر ماض أحدث الحزن ، وإن كان من مستقبل أحدث الهم ، وإن كان من أمر حاصر أحدث الغم ، والله أعلم(١) .

فصل
فى الأذكار الجالبة للرزق الدافعة للضيق والأذى

قال الله سبحانه وتعالى عن نبيه نوح ﷺ : ﴿ فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾ وَيُمْدِدْكُم بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَل لَّكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَل لَّكُمْ أَنْهَارًا ﴿١٢﴾ ﴾ [نوح] .

وفى بعض « المسانيد »، عن ابن عباس : أن رسول الله ﷺ قال: « من لزم الاستغفار جعل الله له من كل هم فرجا ، ومن كل ضيق مخرجا ، ورزقه من حيث لا يحتسب » (٢).

وذكر أبو عمر بن عبد البر فى « التمهيد » له حديثاً مرفوعاً إلى النبى : « من قرأ سورة الواقعة كل يوم لم تصبه فاقة أبداً » (٣).

فصل
فى الذكر عند لقاء العدو ومن يخاف سلطاناً وغيره

فى « سنن أبى داود » و« النسائى »، عن أبى موسى، أن النبى ﷺ كان إذا خاف قوماً قال: « اللهم إنا نجعلُك فى نُحورهم ، ونعوذ بك من شرورهم » (٤).

---

(١) الفوائد (٣٣ ـ ٤١) .

(٢) أحمد (١ / ٢٤٨) ، وقال الشيخ شاكر (٢٢٣٤) : « إسناده صحيح » .

(٣) ابن عبد البر فى التمهيد (١٥ / ٣٧٥) فى العين ، باب: تعالج المريض .

(٤) أبو داود (١٥٣٧) فى الصلاة ، باب: ما يقول إذا خاف قوما ، والنسائى فى الكبرى (٨٦٣١) فى السير، باب: الدعاء إذا خاف قوما .

ويذكر عن النبى ﷺ أنه كان يقول عند لقاء العدو: « اللهم أنت عضُدى ،وأنت ناصرى ، وبك أقاتِلُ » (١).

وعنه ﷺ أنه كان فى غزوة فقال: « يا ملك يوم الدين ، إياك أعبُدُ ،وإياك أستعين ، قال أنس: فلقد رأيتُ الرجال تصرعها الملائكة من بين يديها ،ومن خلفها » (٢).

وعن ابن عمر قال: قال رسول الله ﷺ : إذا خفت سلطاناً أو غيره فقل: لا إله إلا الله الحليم الكريم ، سبحان الله رب السموات السبع ورب العرش العظيم ،لا إله إلا أنت، عز جارك ، وجل ثناؤك ، ولا إله غيرك » (٣).

وفى « صحيح البخارى » عن ابن عباس قال: ﴿ حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ قالها إبراهيم ﷺ حين ألقى فى النار ، وقالها محمد ﷺ حين قال له الناس: ﴿إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ﴾ [آل عمران] (٤) .

فصل
فى الأذكار التى تطرد الشيطان

قد تقدم « أن من آية الكرسى عند نومه لم يقربه شيطان »(٥)،و « أن من قرأ الآيتين من آخر من آخر سورة البقرة كفتاه »(٦) ،« ومن قال فى يوم مائة مرة : لا إله إلا الله وحده لا شريك له ،له الملك ،وهو على كل شىء قدير ، كانت له حرزاً من الشيطان يومه كلَّه » (٧).

---

(١) أبو داود (٢٦٣٢) فى الجهاد ، باب: ما يدعى عند اللقاء ، وأحمد (٣ / ١٨٤) .

(٢) الطبرانى فى الأوسط (٨١٦٣) ، وقال الهيثمى فى المجمع ٥/ ٣٣١ :« وفيه عبد السلام بن هاشم وهو ضعيف » .

(٣) ضعيف الجامع (٥٧٨) ، وقال : « رواه ابن السنى عن ابن عمر وهو حديث ضعيف جدًا » .

(٤) البخارى (٤٥٦٣) فى التفسير ، باب: ﴿ الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ (١٧٣) ﴾ .

(٥) الترمذى (٢٨٧٩) فى فضائل القرآن ، باب : ما جاء فى فضل سورة البقرة وآية الكرسى ، بمعناه، وقال : « غريب» .

(٦) البخارى (٥٠٥١) فى فضائل القرآن ، باب: فى كم يقرأ القرآن ، ومسلم (٨٠٨ / ٢٥٦) فى صلاة المسافرين وقصرها ، باب: فضل الفاتحة وخواتيم سورة البقرة ، الترمذى (٢٨٨١) فى فضائل القرآن ، باب: ما جاء فى آخر سورة البقرة .

(٧) البخارى (٦٤٠٣) فى الدعوات ، باب: فضل التهليل ، ومسلم (٢٦٩١/ ٢٨) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

وقد قال تعالى: ﴿ وَقُل رَّبِّ أَعُوذُ بِكَ مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ ﴿٩٧﴾ وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَن يَحْضُرُونِ ﴿٩٨﴾ ﴾ [المؤمنون] .

وكان النبى ﷺ يقول: « أعُوذ باللّه السميع العليم ، من الشيطان الرجيم، من همزه ونفخه ونفثه » (١).

وقال سبحانه وتعالى : ﴿ وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت] .

وعن زيد بن أسلم : أنه ولى معادن ، فذكروا كثرة الجن بها، فأمرهم أن يؤذّنوا كل وقت ، ويكثروا من ذلك ، فلم يكونوا يرون بعد ذلك شيئاً .

وفى « صحيح مسلم » عن عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه أنه قال: يا رسول اللّه، إن الشيطان حال بينى وبين صلاتى وبين قراءتى يلبسها على ، فقال رسول اللّه ﷺ : «ذاك شيطان يقال له : خنزب ، فإذا أحسسته فتعوذ بالله منه ، واتفل عن يسارك ثلاثا » ففعلت ذلك ،فأذهبه اللّه عز وجل عنى » (٢) .

وأمر ابن عباس رجلاً وجد فى نفسه شيئًا من الوسوسة والشك أن يقرأ : ﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾﴾ [الحديد].

ومن أعظم ما يندفع به شره بقراءة المعوذتين ،وأول ﴿ الصافات ﴾ وآخر ﴿ الحشر﴾ .

فصل

فى الذكر الذى تحفظ به النعم ، وما يقال عند تجددها

قال اللّه سبحانه وتعالى فى قصة الرجلين : ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩] . فينبغى لمن دخل بستانه ، أو داره ، أو رأى فى ماله وأهله ما يعجبه أن يبادر إلى هذه الكلمة ،فإنه لا يرى فيه سوءًا .

وعن أنس قال: قال رسول اللّه ﷺ : « ما أنعم اللّه على عبد نعمة فى أهل ومال

---

(١) أبو داود (٧٧٥) فى الصلاة ، باب: من رأى الاستفتاح بسبحانك اللّهم وبحمدك ، والترمذى (٢٤٢) فى الصلاة ، باب: ما يقول عند افتتاح الصلاة .

(٢) مسلم (٢٢٠٣ / ٦٨) فى السلام ، باب: التعوذ من شيطان الوسوسة فى الصلاة .

وولد فقال : ﴿ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ فيرى فيها آفة دون الموت »(١) .

وعنه ﷺ أنه كان إذا رأى ما يسره قال: « الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات »، وإذا رأى ما يسوؤه قال: « الحمد لله على كل حال »(٢) .

فصل
فى الذكر عند المصيبة

قال الله تعالى: ﴿ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ (١٥٥) الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُم مُّصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ (١٥٦) أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ (١٥٧) ﴾ [البقرة].

ويذكر عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : « ليسترجع أحدكم فى كل شىء حتى فى شسع نعله فإنها من المصائب »(٣) .

وقالت أم سلمة : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ما من عبد تُصيبه مصيبة فيقول: إنا لله وإنا إليه راجعون ، اللهم أجرنى فى مصيبتى ،وأخلف لى خيراً منها ، إلا آجره الله تعالى فى مصيبته ،وأخلف له خيراً منها » قالت : فلما توفى أبو سلمة قلت كما أمرنى رسول الله ﷺ ،فأخلف الله لى خيراً منه ، رسول الله ﷺ (٤).

وروى أيضاً عنها رضي الله عنها قالت: دخل رسول الله ﷺ على أبى سلمة وقد شق بصره، فأغمضه، ثم قال : « إنّ الرّوح إذا قُبض تبعه البصر » فضج ناس من أهله ، فقال: « لا تدعوا على أنفسكم إلا بخير ، فإن الملائكة يؤمنون على ما تقولون » ثم قال: « اللهم اغفر لأبى سلمة ، وارفع درجتهُ فى المهديين، واخلفه فى عقبه فى الغابرين ،واغفر لنا وله يا رب العالمين ، وافسح له فى قبره ، ونوّر له فيه » (٥).

---

(١) الطبرانى فى الأوسط (٤٢٦١) ،وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ١٤٣) : « رواه الطبرانى فى الصغير والاوسط وفيه عبد الملك بن زرارة وهو ضعيف » ، والبيهقى فى شعب الإيمان (٤٥٢٥) باب فى تعديد نعم الله عز وجل وما يجب من شكرها ، والدر المنثور (٤/ ٢٢٣) .

(٢) الحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٩) فى الدعاء، باب: أكثروا ذكر الله حتى يقولوا مجنون وقال:«صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وسكت عنه الذهبى . وابن أبى شيبة (٩٦٠٣) فى الدعاء ، باب:ما يدعو إذا رأى الأمر يعجبه .

(٣) كنز العمال (٦٦٣٦) فى الصبر على المصائب مطلقا ، وعزاه لابن السنى فى عمل اليوم والليلة عن أبى هريرة.

(٤)مسلم (٩١٨ / ٣) فى الجنائز ، باب: ما يقال عند المصيبة ، وأبو داود (٣١١٩) فى الجنائز ، باب: فى الاسترجاع ، والترمذى (٣٥١١) فى الدعوات باب: ٨٤، واللفظ لمسلم .

(٥) مسلم (٩٢٠ / ٧) فى الجنائز ، باب: فى إغماض الميت والدعاء له إذا حُضر، وأبو داود(٣١١٨) فى الجنائز، باب: تغميض الميت .

فصل
فى الذكر الذى يدفع به الدين ويرجى قضاؤه

وفى الترمذى عن على رضي الله عنه ، أن مُكاتباً جاءه فقال: إنى عجزتُ عن كتابتى فأعنى، فقال: ألا أعلمك كلمات علَّمنيهن رسول اللّه ﷺ ، لو كان عليك مثل جبل أحد دينا إلا أداه اللّه عنك ، قل:« اللهم اكفنى بحلالك عن حرامك ، وأغننى بفضلك عمن سواك » قال الترمذى : حديث حسن (١).

فصل
فى الذكر الذى يرقى به من اللسعة واللدغة وغيرهما

فى « صحيح البخارى » عن عبد اللّه بن عباس رضى اللّه تعالى عنهما قال: كان رسول اللّه ﷺ يعوذُ الحسين رضي الله عنه ويقول: « إن أباكما كان يعوذُ بهما إسماعيل وإسحاق : أعيذكما بكلمات اللّه التامة ،من كل شيطان وهامة ، ومن كل عين لامة » (٢).

وفى « الصحيحين » عن أبى سعيد الخدرى رضي الله عنه أن رجلاً من أصحاب النبى ﷺ رقى لديغا بفاتحة الكتاب ، فجعل يتفل عليه ويقرأ :﴿ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ ﴾ ،فكأنما نشط من عقال ، فانطلق يمشى وما به قلبة . . . الحديث(٣).

وفى « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها : أن النبى ﷺ كان إذا اشتكى الإنسان الشيء ، أو كانت قرحة به ،أو جرح ، قال النبى ﷺ بإصبعه هكذا ـ ووضع سفيان بن عيينة إصبعه بالأرض ثم رفعها ـ وقال : « بسم اللّه ، تربة أرضنا بريقة بعضنا ، يشفى به سقيمنا ، بإذن ربنا » (٤).

وفى « الصحيحين » أيضا عنها رضي الله عنها :« أن النبى ﷺ كان يعوِّذ بعض أهله، يمسح بيده

---

(١) الترمذى (٣٥٦٣) فى الدعوات ، باب: ١١١ ، وقال :« حسن غريب » .

(٢) البخارى (٣٣٧١) فى الأنبياء ، باب : حديث أبى ذر أى مسجد وضع فى الأرض أول .

(٣) البخارى (٥٧٣٦) فى الطب ، باب: الرقى بفاتحة الكتاب ، ومسلم (٢٢٠١/ ٦٥)فى السلام ، باب: جواز أخذ الأجرة على الرقية

(٤) البخارى (٥٧٤٥) فى الطب ، باب: رقيه النبى ﷺ ،ومسلم (٢١٩٤ / ٥٤) فى السلام ، باب: استحباب الرقية من العين والنملة والحمة والنظرة .

اليمنى ويقول: « اللهم رب الناس، أذهب البأس، واشف أنت الشافى، لا شفاء إلا شفاؤك، شفاء لا يغادر شقما »[١] . وفى « صحيح مسلم » عن عثمان بن أبى العاص رضي الله عنه : أنه شكا إلى رسول الله ﷺ وجعاً يجده فى جسده منذ أسلم ، فقال النبى ﷺ : « ضع يدك على الذى يألم من جسدك وقلْ : بسم الله ـ ثلاثا ـ وقل سبع مرات: أعوذ بعزة الله وقدرته من شر ما أجد وأحاذر » [٢].

وفى « السنن » عن ابن عباس رضي الله عنهما، عن النبى ﷺ قال: «من عاد مريضا لم يحضر أجله، فقال عنده سبع مرات : أسأل الله العظيم ، رب العرش العظيم أن يشفيك ، إلا عافاه الله تعالى » [٣].

وفى «سنن أبى داود والنسائى »، عن أبى الدرداء قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «من اشتكى منكم ،أو اشتكى أخ له فليقل: ربُّنا الله الذى فى السماء ،تقدس اسمك ، أمرك فى السماء والأرض ،كما رحمتُك فى السماء، فاجعل رحمتك فى الأرض، اغفر لنا حَوْبنا وخطايانا ، أنت رب الطيبين ،أنزل رحمة من رحمتك وشفاء من شفائك على هذا الوجع ، فيبرأ » [٤].

فصل
فى ذكر دخول المقابر

فى « صحيح مسلم » عن بريدة بن الحصيب قال: كان رسول الله ﷺ يعلمهم إذا خرجوا إلى المقابر ، أن يقول قائلهم: « السلام عليكم أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، وإنا إنْ شاء الله بكم لاحقون ، نسأل الله لنا ولكم العافية » [٥].

وفى «سنن ابن ماجه » عن عائشة، قالت: فقدت النبى ﷺ : فإذا هو بالبقيع فقال:

---

(١) البخارى (٥٧٤٣) فى الطب ، باب: رقية النبى ﷺ ، ومسلم (٤٦/٢١٩١) فى السلام ، باب: استحباب رقية المريض .

(٢) مسلم (٢٢٠٢ / ٦٧) فى السلام ، باب: استحباب وضع يده على موضع الألم .

(٣) أبو داود (٣١٠٦) فى الجنائز ، باب: الدعاء للمريض عند العيادة ، والترمذى (٢٠٨٣) فى الطب ، باب: ٣٢وقال: حسن غريب ، والنسائى فى الكبرى (١٠٨٨٤) فى عمل اليوم الليلة ، باب: موضع مجلس الإنسان من المريض عند الدعاء له .

(٤) أبو داودو (٣٨٩٢) فى الطب ، باب: كيف الرقى ، والنسائى فى الكبرى (١٠٨٧٧) فى عمل اليوم والليلة ، باب: ما يقول من كان به أسر .

(٥) مسلم (٩٧٥ / ١٠٤) فى الجنائز ، باب: ما يقال عند دخول القبور والدعاء لأهلها .

« السلام عليكم دار قوم مؤمنين ، أنتم لنا فرط ،وإنا بكم لاحقون ، اللهم لا تحرمنا أجرهم، ولا تفتنا بعدهم » (١).

فصل
فى ذكر الاستسقاء

قال تعالى: ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَاراً ﴿١١﴾﴾ [نوح].

عن جابر بن عبد الله قال: أتت النبى ﷺ بواك فقال:«اللهم اسقنا غيثا مُغيثا ،مريئًا، نافعا غير ضار ، عاجلا غير آجل » فأطبقت عليهم السماء(٢) .

وعن عائشة :شكا الناس إلى رسول اللهﷺ قحوط المطر ،فأمر بمنبر فوضع له فى المصلى ،ووعد الناس يوما يخرجون فيه ،فخرج رسول الله ﷺ حين بدا حاجب الشمس، فقعد على المنبر ،فكبر وحمد اللّه عز وجل ، ثم قال:« إنكم شكوتم جدب دياركم ، واستئخار المطر عن إبان زمانه عنكم ، وقد أمركم اللّه سبحانه وتعالى أن تدعوه ، ووعدكم أن تستجيب لكم ». ثم قال: ﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿١﴾ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٢﴾ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ﴿٣﴾ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ ﴿٤﴾﴾، لا إله إلا اللّه، يفعل ما يريد، اللهم أنت اللّه لا إله إلا أنت الغنى ، ونحن الفقراء ، أنزل علينا الغيث ،واجعل ما أنزلته علينا قوة وبلاغا إلى حين »، ثم رفع يديه ،فلم يزل فى الرفع حتى بدا بياض إبطيه ، ثم حول إلى الناس ظهره ، وقلب ـ أو حول ـ رداءه وهو رافع يديه ،ثم أقبل على الناس ،فنزل ، فصلى ركعتين، فأنشأ اللّه عز وجل سحابة ،فرعدت وبرقت ، ثم أمطرت بإذن اللّه تعالى ،فلم يأت مسجده حتى سالت السيول ،فلما رأى سرعتهم إلى الكن ،ضحك النبى ﷺ حتى بدت نواجذه وقال:« أشهد أن الله على كل شىء قدير ، وأنى عبد الله ورسوله » (٣).

وفى « سنن أبى داود » عن عبد اللّه بن عمرو : كان رسول اللّه ﷺ إذا استسقى قال: « اللهم اسق عبادك وبهائمك، وانشر رحمتك ،وأحى بلدك الميت» (٤).

وقال الشعبى : خرج عمر يستسقى ، فلم يزد على الاستغفار . فقالوا : ما رأيناك

---

(١) ابن ماجه (١٥٤٦) فى الجنائز ،باب: ما جاء فيما يقال إذا دخل المقابر .
(٢) أبو داود (١١٦٩) فى الصلاة ، باب: رفع اليدين فى الاستسقاء .
(٣) أبو داود (١١٧٣) فى الصلاة ، باب: رفع اليدين فى الاستسقاء .
(٤) أبو داود (١١٧٦) فى الصلاة ، باب: رفع اليدين فى الاستسقاء .

استسقيت ، فقال: لقد طلبت الغيث بمجاديح السماء التي يستنزلون بها المطر ، ثم قرأ : ﴿اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّارًا ﴿١٠﴾ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُم مِّدْرَارًا ﴿١١﴾﴾ [نوح]، ﴿ وَأَنِ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُوا إِلَيْهِ يُمَتِّعْكُم مَّتَاعًا حَسَنًا إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴾ [هود : ٣] .

فصل
فى أذكار الريح إذا هاجت

قال أبو هريرة :سمعت رسول الله ﷺ يقول:« الريح من روح الله تعالى ، تأتى بالرحمة ، وتأتى بالعذاب ، فإذا رأيتموها فلا تسبوها، واسألوا الله من خيرها ،واستعيذوا بالله من شرها » رواه أبو داود(١) .

وفى « صحيح مسلم » عن عائشة قالت:كان النبى ﷺ إذا عصفت الريح قال:« اللهم إنى أسألك خيرها ، وخير ما فيها ،وخير ما أرسلت به ، وأعوذ بك من شرها وشر ما فيها وشر ما أرسلت به »(٢).

وفى « سنن أبى داود » عن عائشة أيضاً رضي الله عنها :« أن النبى ﷺ كان إذا رأى ناشئاً فى أفق السماء ترك العمل وإن كان فى صلاة ، ثم يقول:« اللهم إنى أعوذ بك من شرها» فإن مطر قال:« اللهم صيبا هنيئاً »(٣).

فصل
فى الذكر عند الرعد

كان عبد الله بن الزبير رضي الله عنهما إذا سمع الرعد ترك الحديث فقال: سبحان الذى﴿ يُسَبِّحُ الرَّعْدُ بِحَمْدِهِ وَالْمَلَائِكَةُ مِنْ خِيفَتِهِ﴾ [الرعد ١٤] .

وعن كعب أنه قال: من قال ذلك ثلاثا، عوفى من ذلك الرعد .

وفى الترمذى عن عبد الله بن عمر رضى الله تعالى عنهما ، أن رسول الله ﷺ كان إذا سمع صوت الرعد والصواعق قال: « اللهم لا تقتلنا بغضبك ،ولا تهلكنا بعذابك ،

(١) أبو داود (٥٠٩٧) فى الأدب ، باب:ما يقول إذا هاجت الريح .
(٢) مسلم (٨٩٩ / ١٥) فى صلاة الاستسقاء، باب : التعوذ عند رؤية الريح والغيم والفرح بالمطر .
(٣) أبو داود (٥٠٩٩) فى الأدب ، باب:ما يقول إذا هاجت الريح .

وعافنا قبل ذلك » (١).

فصل
فى الذكر عند نزول الغيث

فى « الصحيحين » عن زيد بن خالد الجُهنى قال : صلى بنا رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية فى إثر سماء كانت من الليل فلما انصرف أقبل على الناس فقال: « هل تدرون ماذا قال ربكم ؟ قالوا : الله ورسوله أعلم . قال : « قال : أصبح من عبادى مؤمن بى وكافر، فأما من قال: مطرنا بفضل الله ،ورحمته ،فذلك مؤمن بى ،وكافر بالكواكب، وأما من قال: مطرنا بنوء كذا وكذا ،فذاك كافر بى ، مؤمن بالكواكب» (٢).

وقد قيل : إن الدعاء عند نزول الغيث مستجاب .

وفى « صحيح البخارى » عن عائشة رضي الله عنها : أن النبى ﷺ كان إذا رأى المطر قال : « صيباً نافعاً » (٣).

وفى « صحيح مسلم » عن أنس رضي الله عنه قال : أصابنا ونحن مع رسول الله ﷺ مطر، فحسر رسول الله ﷺ ثوبه حتى أصابه من المطر ، فقلنا ، يا رسول الله ، لم صنعت هذا؟ قال : « لأنه حديث عهد بربه» (٤).

فصل
فى الذكر والدعاء عند زيادة المطر
وكثرة المياه والخوف منها

فى « الصحيحين » عن أنس قال: دخل رجل المسجد يوم جمعة ورسول الله ﷺ قائم يخطب الناس، فقال: يا رسول الله، هلكت الأموال ،وانقطعت السبل ، فادع الله يغيثنا،

---

(١) الترمذى (٣٤٥٠) فى الدعوات ، باب: مايقول إذا سمع الرعد وقال: « هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

(٢) البخارى (٨٤٦) فى الأذان ، باب: يستقبل الإمام الناس إذا سلم ، ومسلم (٧١/ ١٢٥) فى الإيمان ، باب : بيان كفر من قال مطرنا بالنوء .

(٣) البخارى (١٠٣٢) فى الاستسقاء ، باب: ما يقال إذا أمطرت .

(٤) مسلم (٨٩٨ / ١٣) فى صلاة الاستسقاء ، باب: الدعاء فى الاستسقاء .

فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال: « اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا ، اللهم أغثنا » قال أنس . ولا والله ما نرى فى السماء من سحاب ولا قزعة ، وما بيننا وبين سلع من بيت ولا دار ، فطلعت من ورائه سحابة مثل الترس، فلما توسطت السماء انتشرت ،ثم أمطرت ، فلا والله ما رأينا الشمس سبتاً ، ثم دخل رجل من ذلك الباب فى الجمعة المقبلة ،ورسول الله ﷺ قائم يخطب، فاستقبله قائما ، فقال : يا رسول الله ، هلكت الأموال ، وانقطعت السبل ، فادع الله يُمسكها عنا ، فرفع رسول الله ﷺ يديه ثم قال : « اللهم حوالينا ولا علينا ، اللهم على الآكام والظِّراب ، وبطون الأودية ، ومنابت الشجر » قال : فأقلعت ، وخرجنا نمشى فى الشمس » (١).

فصل
فى الذكر عند رؤية الهلال

عن عبد الله بن عمر قال: كان رسول الله ﷺ إذا رأى الهلال قال:« الله أكبر ، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام والتوفيق لما تحب وترضى ،ربنا وربك الله » (٢).

وفى «سنن أبى داود» عن قتادة ، أنه بلغه : أن نبى الله ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: «هلال خير ورشد ،هلال خير ورشد ،هلال خير ورشد ، آمنت بالله الذى خلقك » ثلاث مرات ثم يقول:« الحمد لله الذى ذهب بشهر كذا ،وجاء بشهر كذا » (٣) (٤).

وأيضا

يُذكر عنه ﷺ أنه كان يقول:« اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ،والسلامة والإسلام، ربى وربك الله » قال الترمذى :حديث حسن (٥).

---

(١) البخارى (١٠١٤) فى الاستسقاء ، باب : الاستسقاء فى خطبة الجمعة غير مستقبل القبلة، ومسلم (٨/٨٩٧) فى صلاة الاستسقاء ، باب: الدعاء فى الاستسقاء .

(٢) الدارمى (٣/٢ ، ٤) فى الصوم ، باب : الصوم لرؤية الهلال .

(٣) أبو داود (٥٠٩٢) فى الأدب ، باب: ما يقول الرجل إذا رأى الهلال .

(٤) الوابل الصيب (٢٥١ ـ ٢٧٠) .

(٥)الترمذى (٣٤٥١) فى الدعوات ، باب: ما يقول عند رؤية االهلال ، وقال : « حسن غريب ».

ويُذكر عنه أنه كان يقول عند رؤيته : « اللّه أكبر، اللهم أهله علينا بالأمن والإيمان ، والسلامة والإسلام والتوفيق لما يحب ربنا ويرضى، ربُّنا وربك اللّه » ذكره الدارمى[١].

وذكر أبو داود عن قتادة أنه بلغه أن نبى اللّه ﷺ كان إذا رأى الهلال قال: « هلال خير ورشد ، هلال خير ورشد ، آمنت بالذى خلقك ثلاث مرات ثم يقول: الحمد للّه الذى ذهب بشهر كذا ، وجاء بشهر كذا » [٢] . وفى أسانيدها لين .

ويُذكر عن أبى داود وهو فى بعض نسخ سننه أنه قال : ليس فى هذا الباب عن النبى ﷺ حديث مسند صحيح [٣] .

فصل
فى الذكر للصائم وعند فطره

عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: « ثلاثة لا تُردُّ دعوتهم، الصائم حتى يُفطر، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم » رواه الترمذى وقال: حديث حسن[٤] .

وروى ابن ماجه ، عن ابن أبى مليكة ، عن عبد اللّه بن عمرو : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: « إن للصائم عند فطره لدعوة ما ترد » [٥] .

وقال ابن أبى مليكة : سمعت عبد اللّه بن عمرو رضى اللّه تعالى عنهما يقول إذا أفطر : اللهم إنى أسألك برحمتك التى وسعت كل شىء أن تغفر لى .

ويذكر عن النبى ﷺ أنه كان إذا أفطر قال: «اللهم لك صُمت، وعلى رزقك أفطرت»[٦].

ومن وجه آخر: «اللهم لك صُمنا ، وعلى رزقك أفطرنا ، فتقبل منا . إنك أنت السميع العليم »[٧].

(١ ، ٢) سبق تخريجهما ص ٣٤١ .

(٣) زاد المعاد (٢ / ٣٩٦ ـ ٣٩٧) .

(٤) الترمذى (٣٥٩٨) فى الدعوات ، باب: فى العفو والعافية .

(٥) ابن ماجه (١٧٥٣) فى الصيام ، باب: فى الصائم لا ترد دعوته .

(٦) أبو داود (٢٣٥٨) فى الصوم ، باب: القول عند الإفطار .

(٧) الدارقطنى ٢/ ١٨٥ (٢١) فى الصيام ، باب: القبلة للصائم.

فصل
فى أذكار السفر

روى الطبرانى عن النبى ﷺ أنه قال: « ما خلف أحد عند أهله أفضل من ركعتين يركعهما عندهم حين يريد سفراً » (١).

وفى « مسند الإمام أحمد » عن أبى هريرة رضى الله تعالى عنه عن النبى ﷺ أنه قال: « من أراد سفراً فليقُل لمن يُخلِّفُ : أستودعكُم الله الذى لا تضيع ودائعه » (٢).

وفى « المسند » أيضاً ، عن ابن عمر عن النبى ﷺ، قال: « إن الله إذا استودع شيئاً حفظه » (٣).

وقال سالم: كان ابن عمر يقول لرجل إذا أراد سفراً : ادْنُ منى أودّعْك ، كما كان رسول الله ﷺ يودعُنا ، فيقول: « أستودعُ الله دينك وأمانتك وخواتيم عملك »(٤).

ومن وجه آخر : كان النبى ﷺ إذا ودع رجلاً أخذ بيده ، فلا يدعُها حتى يكون الرجل هو الذى يدعُ يد النبى ﷺ . . . وذكر تمام الحديث (٥). قال الترمذى : حديث حسن صحيح .

وقال أنس رضي الله عنه : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: يا رسول الله، إنى أريد سفراً فزودنى . فقال : « زودك الله التقوى » ، قال: زدنى ، قال: « وغفر ذنبك » ، قال: زدنى ، قال: « ويسر لك الخير حيثما كنت » قال الترمذى : حديث حسن (٦).

وعن أبى هريرة أن رجلا قال: يا رسول الله، إنى أريد أن أسافر فأوصنى ، قال: عليك بتقوى الله عز وجل ، والتكبير على كل شرف » فلما ولى الرجل قال: « اللهم اطو له البعد ، وهوّن عليه السفر » قال الترمذى : حديث حسن (٧).

---

(١) السلسلة الضعيفة (٣٧٢) ، والأذكار (٥٣٣) .
(٢) أحمد (٢ / ٤٠٣) . (٣) أحمد (٢/ ٨٧).
(٤) أبو داود (٢٦٠٠) فى الجهاد ، باب : فى الدعاء عند الوداع ، والترمذى (٣٤٤٣) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا ودع إنسانا وقال: «حسن صحيح غريب » ، وأحمد (٢/ ٢٥) .
(٥) الترمذى (٣٤٤٢) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا ودع إنسانا وقال : « غريب من هذا الوجه » .
(٦) الترمذى (٣٤٤٤) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا ودع إنسانا ،وقال : « حسن غريب » .
(٧) الترمذى (٣٤٤٥) فى الدعوات ، باب: ٤٦ .

فصل
فى ركوب الدابة والذكر عنده

قال على بن ربيعة : شهدت على بن أبى طالب ﷺ أُتى بدابة ليركبها ، فلما وضع رجله فى الركاب قال : بسم الله ، فلما استوى على ظهرها قال : الحمد لله ، ثم قال : ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الزخرف] ثم قال: « الحمد لله » ثلاث مرات ،ثم قال : « الله أكبر ثلاث مرات ، ثم قال : سبحانك إنى ظلمت نفسى فاغفر لى ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت ، ثم ضحك. فقيل: يا أمير المؤمنين ! من أى شىء ضحكت ، فقال : رأيت النبى ﷺ فعل كما فعلت ، ثم ضحك ، فقلت: يا رسول الله ،من أى شىء ضحكت؟ فقال: « إن ربك سبحانه وتعالى يعجب من عبده إذا قال: اغفر لى ذنوبى ،يعلم أنه لا يغفر الذنوب غيرى » رواه أهل السنن ، وصححه الترمذى (١).

وفى « صحيح مسلم » عن عبد الله بن عمر ﷺ ، أن رسول الله ﷺ كان إذا استوى على بعيره خارجاً إلى سفر ، كبر ثلاثا ثم قال: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ ﴿١٣﴾ وَإِنَّا إِلَىٰ رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ [الزخرف] اللهم إنا نسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى ،ومن العمل ما ترضى ،اللهم هون علينا سفرنا هذا واطو عنا بعده،اللهم أنت الصاحب فى السفر ،والخليفة فى الأهل،اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر،وكآبة المنظر،وسوء المنقلب فى المال والأهل » ،وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : « آيبون ، تائبون، عابدون ، لربنا حامدون »(٢) .

وفى وجه آخر :« كان رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ إذا علوا الثنايا كبروا ،وإذا هبطوا سبّحوا » (٣) .

---

(١) أبو داود (٢٦٠٢) فى الجهاد ، باب: ما يقول الرجل إذا ركب ، والترمذى (٣٤٤٦) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا ركب الناقة .

(٢) مسلم (١٣٤٢/٤٢٥) فى الحج ، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره .

(٣) أبو داود (٢٥٩٩) فى الجهاد ، باب: ما يقول الرجل إذا سافر .

فصل
فى ذكر الرجوع من السفر

قال عبد الله بن عمر : « كان رسول الله ﷺ إذا قفل من حج أو عمرة أو غزوٍ ، يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ، ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير، آيبون، تائبون، عابدون، ساجدون، لربنا حامدون، صدق الله وعده ، ونصر عبده ، وهزم الأحزاب وحده ». رواه البخارى ومسلم[1].

فصل
فى الذكر على الدابة إذا استصعبت

قال يونس بن عبيد : ليس رجل يكون على دابة صعبة فيقول فى أذنها : ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ اللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُ أَسْلَمَ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾ ﴾ [آل عمران] إلا وقفت بإذن الله تعالى .

قال شيخنا ـ قدس الله روحه : وقد فعلنا ذلك فكان كذلك .

فصل
فى الدابة إذا انفلتت وما يذكر عند ذلك

عن ابن مسعود رضي الله عنه ، عن رسول الله ﷺ قال: «إذا انفلتت دابة أحدكم بأرض فلاة، فليناد: يا عباد الله، احبسوا ، يا عباد الله احبسوا، فإن لله عز وجل حاضرا سيحبسه »[2] .

---

(١) البخارى (٦٣٨٥) فى الدعوات ، باب: الدعاء إذا أراد سفرا أو رجع ، ومسلم (٤٢٨/١٣٤٤) فى الحج ، باب: ما يقول إذا قفل من سفر الحج وغيره .

(٢) مسند أبى يعلى (٥٢٦٩) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٣٥) فى الأذكار ، باب: ما يقول إذا انفلتت دابته أو أراد غوثا أو أضل شيئًا : « رواه أبو يعلى والطبرانى وزاد سيحبسه عليكم ، وفيه معروف بن حسان وهو ضعيف ، والسلسلة الضعيفة (٦٥٥) .

فصل
فى الذكر عند دخول القرية أو البلدة إذا أراد دخولها

عن صهيب ﷺ ، أن النبى ﷺ لم ير قرية يريد دخولها إلا قال حين يراها : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ،ورب الأرضين السبع وما أقللن ،ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين ،أسألك خير هذه القرية وخير أهلها وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرها وشر أهلها وشر ما فيها » رواه النسائى (١).

فصل
فى ذكر المنزل يريد نزوله

قالت خولة بنت حكيم ﷺ : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من نزل منزلاً ثم قال: أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق ، لم يضره شىء حتى يرتحل من منزله ذلك ». رواه مسلم (٢).

وعن عبد اللّه بن عمر ﷺ قال: كان رسول اللّه ﷺ إذا سافر فأقبل الليل قال:« يا أرض ، ربى وربك اللّه ، أعوذ باللّه من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك ،وشر ما يدب عليك ،وأعوذ باللّه من أسد وأسود ، ومن الحية والعقرب ،ومن ساكن البلد ، ومن والد وما ولد » . رواه أبو داود (٣) (٤).

وأيضا

ذكر البيهقى وغيره ، عن أنس ﷺ قال : لم يُرد النبى ﷺ سفرا قطّ إلا قال حين ينهض من جلوسه :« اللهم بك انتشرتُ وإليك توجهت ، وبك اعتصمت ، وعليك

---

(١) النسائى فى الكبرى (١٠٣٧٨) فى عمل اليوم والليلة ، باب: ما يقول إذا رأى قرية يريد دخولها .

(٢) مسلم (٢٧٠٨/ ٥٤) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره .

(٣) أبو داود (٢٦٠٣) فى الجهاد ، باب : ما يقول الرجل إذا نزل المنزل ، وهو عن عبد اللّه بن عمرو وليس عبد اللّه بن عمر .

(٤) الوابل الصيب (٢٧٠ ـ ٢٨٠) .

توكلت، اللهم أنت ثقتى وأنت رجائى ، اللهم اكفنى ما أهمنى وما لا أهتمّ له، وما أنت أعلم به منى ، عز جارك ،وجل ثناؤك ،ولا إله غيرك ، اللهم زودنى التقوى ، واغفر لى ذنبى ، ووجهنى للخير أينما توجهت » (١)، ثم يخرج .

وكان إذا ركب راحلته ، كبّر ثلاثا ،ثم قال:« سبحان الذى سخر لنا هذا ، وما كنا له مقرنين،وإنا إلى ربنا لمنقلبون ». ثم يقول:« اللهم إنى أسألك فى سفرنا هذا البر والتقوى، ومن العمل ما ترضى ، اللهم هوّن علينا سفرنا هذا ، واطو عنا بعده ، اللهم أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل ، اللهم اصحبنا فى سفرنا ، واخلفنا فى أهلنا » وإذا رجع قالهن وزاد فيهن : « آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » (٢).

وذكر أحمد عنه ﷺ أنه كان يقول: « أنت الصاحب فى السفر، والخليفة فى الأهل ، اللهم إنى أعوذ بك من الضّبنة فى السفروالكآبة فى المنقلب ،اللهم اقبض لنا الأرض ، وهوّن علينا السفر » ، وإذا أراد الرجوع قال :« آيبون تائبون عابدون لربنا حامدون » ، وإذا دخل أهله قال : توباً توباً لربنا أوبًا ، لا يغادر علينا حوْباً » (٣).

وفى « صحيح مسلم» : أنه كان إذا سافر يقول: « اللهم إنى أعوذ بك من وعثاء السفر ، وكآبة المنقلب ، ومن الحور بعد الكور ، ومن دعوة المظلوم، ومن سوء المنظر فى الأهل والمال » (٤).

وكان إذا وضع رجله فى الرّكاب لركوب دابته . قال:« بسم اللّه » فإذا استوى على ظهرها، قال:« الحمد للّه » ثلاثا « الله أكبر » ثلاثا ثم يقول:« سبحان الذى سخر لنا هذا، وما كنا له مقرنين ، وإنا إلى ربنا لمنقلبون » ثم يقول : « الحمد للّه » ثلاثا ، « واللّه أكبر » ثلاثا، ثم يقول :« سبحان اللّه » ثلاثا ،ثم يقول : « لا إله إلا أنت سبحانك إنى كنت من الظالمين ، سبحانك إنى ظلمت نفسى ، فاغفر لى ، إنه لا يغفر الذنوب إلا أنت »(٥).

وكان إذا ودّع أصحابه فى السفر يقول لأحدهم: « أستودع اللّه دينك وأمانتك ،

---

(١) البيهقى فى الكبرى (٥/ ٢٥٠) فى الحج ، باب:الدعاء إذا سافر ، ومسند أبى يعلى (٢٧٧٠) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠ / ١٣٣) فى الأذكار ، باب: ما يقول إذا نهض للسفر : « وفيه عمر بن مساور وهو ضعيف» .

(٢) مسلم (١٣٤٢ / ٤٢٥) فى الحج ، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره ، وأبو داود (٢٥٩٩) فى الجهاد ، باب : ما يقول الرجل إذا سافر .

(٣) أحمد (١ / ٢٥٦) .

(٤) مسلم (١٣٤٣ / ٤٢٦) فى الحج ، باب: ما يقول إذا ركب إلى سفر الحج وغيره .

(٥) أبو داود (٢٦٠٢) فى الجهاد ، باب : ما يقول الرجل إذا ركب ، والترمذى (٣٤٤٦) فى الدعوات ، باب : ما يقول إذا ركب الناقة ،وقال: « حسن صحيح » .

وخواتيم عملك » (١).

وجاء إليه رجل وقال: يا رسول الله ، إنى أريد سفرا ، فزودنى فقال: « زودك الله بالتقوى ». قال: زِدنى . قال: « وغفر لك ذنبك » . قال :زدنى . قال:« ويسر لك الخير حيثما كنت» (٢).وقال رجل : إنى أريد سفراً، فقال: « أوصيك بتقوى الله ، والتكبير على كل شرف » فلما ولّى ، قال:« اللهم ازو له الأرض ، وهوّن عليه السفر » (٣).

وكان النبى ﷺ وأصحابه ، إذا علوا الثنايا ،كبروا، وإذا هبطوا ، سبحوا ، فوضعت الصلاة على ذلك (٤).

وقال أنس: كان النبى ﷺ إذا علا شرفا من الأرض ،أو نشزا ، قال:« اللهم لك الشرف على كل شرفٍ ،ولك الحمد على كل حمدٍ » (٥).

وكان سيرُه فى حجه العنقَ ، فإذا وجد فجوة ،رفع السير فوق ذلك ، وكان يقول: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس » (٦).

وكان يكره للمسافر وحده أن يسير بالليل،فقال: « لو يعلم الناس ما فى الوحدة ما سار أحد وحده بليل » (٧).

بل كان يكره السفر للواحد بلا رفقة،وأخبر:«أن الواحد شيطان، والاثنان شيطانان، والثلاثة ركْب »(٨).

وكان يقول: « إذا نزل أحدكم منزلاً فلْيقل : أعُوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق، فإنه لا يضره شىء حتى يرتحل منه » .

ولفظ مسلم:« من نزل منزلاً ثم قال: أعُوذُ بكلمات الله التامات من شرّ ما خلق،

---

(١) أبو داود (٢٦٠٠) فى الجهاد ، باب: فى الدعاء عند الوداع ، والترمذى (٣٤٤٣) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا ودع إنسانا ، وقال : « حسن صحيح غريب » .

(٢) الترمذى (٣٤٤٤) فى الدعوات ، باب: ٤٥ ، وقال : « حسن غريب » .

(٣) الترمذى (٣٤٤٥) فى الدعوات ، باب: ٤٦ ، وقال: « حسن » .

(٤) أبو داود (٢٥٩٩) فى الجهاد ، باب: ما يقول الرجل إذا سافر .

(٥) أحمد (٣/ ١٢٧) .

(٦) مسلم (٢١١٣ / ١٠٣) فى اللباس والزينة ، باب: كراهة الكلب والجرس فى السفر ، وأبو داود (٢٥٥٥) فى الجهاد ، باب: فى تعليق الأجراس ، والترمذى (١٧٠٣) فى الجهاد ، باب: ما جاء فى كراهية الأجراس على الخيل .

(٧) البخارى (٢٩٩٨) فى الجهاد ، باب: السير وحده ، وابن ماجه (٣٧٦٨) فى الأدب ، باب: كراهية الوحدة، وأحمد (٢/ ٢٣) .

(٨) أبو داود (٢٦٠٧) فى الجهاد ، باب: فى الرجل يسافر وحده ، وأحمد (٢/ ١٨٦) .

فإنه لا يضره شيء حتى يرتحل من منزله ذلك »[١] .

وذكر أحمد عنه أنه كان إذا غزا أو سافر، فأدركه الليل، قال: « يا أرض، ربي وربك الله، أعوذ بالله من شرك وشر ما فيك ، وشر ما خلق فيك، وشر ما دبَّ عليك، أعوذ بالله من شر كلّ أسد وأسود ، وحيّة وعقرب، ومن شر ساكن البلد، ومن شر والد، وما ولد»[٢].

وكان يقول: « إذا سافرتم في الخِصب ، فأعطوا الإبل حظها من الأرض ، وإذا سافرتم في السنة، فبادروا نقيها ». وفي لفظ: « فأسرعوا عليها السير، وإذا عرَّستم ، فاجتنبوا الطريق، فإنها طرق الدواب ومأوى الهوام بالليل »[٣].

وكان إذا رأى قرية يريد دخولها قال حين يراها : « اللهم رب السموات السبع وما أظللن ، ورب الأرضين السبع وما أقللن ، ورب الشياطين وما أضللن ، ورب الرياح وما ذرين، إنا نسألك خير هذه القرية وخير أهلها ، ونعوذ بك من شرها وشر ما فيها »[٤].

وكان إذا بدا له الفجر في السفر ، قال: « سمع سامع بحمد الله وحُسن بلائه علينا، ربنا صاحبنا وأفضل علينا عائذاً بالله من النار »[٥].

وكان ينهى أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، مخافة أن يناله العدو[٦] .

وكان ينهى المرأة أن تسافر بغير محرم ، ولو مسافة بريد[٧].

وكان يأمر المسافر إذا قضى نهمته من سفره ، أن يعجل الأوبة إلى أهله[٨].

---

(١) مسلم (٨ - ٢٧/ ٥٤ ، ٥٥) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: في التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره .

(٢) أحمد (٢ / ١٣٢) .

(٣) مسلم (١٩٢٦/ ١٧٨) في الإمارة ، باب: مراعاة مصلحة الدواب في السير ، والنهي عن التعريس في الطريق.

(٤) سبق تخريجه ص ٣٤٦ .

(٥) مسلم (٨/ ٢٧١٨) في الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: التعوذ من شر ما عمل ، ومن شر ما لم يعمل، وأبو داود (٥٠٨٦) في الأدب ، باب: ما يقول إذا أصبح .

(٦) البخاري (٢٩٩٠) في الجهاد ، باب: كراهية الضرب إلى أرض العدو بالمصاحف ، ومسلم (١٨٦٩/ ٩٢) في الإمارة ، باب: النهي أن يسافر بالمصاحف إلى أرض الكفار ، وأبو داود(٢٦١٠) في الجهاد ، باب: في المصحف يسافر به إلى أرض العدو ، وابن ماجه (٢٨٧٩) في الجهاد ، باب : النهي أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو، ومالك ٢/ ٤٤٦ (٧) في الجهاد ، باب: النهي عن أن يسافر بالقرآن إلى أرض العدو ، وأحمد ٦/٢ ، ٧ .

(٧) أبو داود (١٧٢٥) في المناسك ، باب : في المرأة تحج بغير محرم ، والحاكم في المستدرك ١/ ٤٤٢ ، وقال : «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه بهذا اللفظ » ، ووافقه الذهبي .

(٨) البخاري (١٨٠٤) في العمرة ، باب: السفر قطعة من العذاب، ومسلم (١٩٢٧ / ١٧٩) في الإمارة ، باب: السفر قطعة من العذاب ، وابن ماجه (٢٨٨٢) في المناسك ، باب : الخروج إلى الحج ، ومالك ٢/ ٩٨٠ (٣٩) في الاستئذان ، باب: ما يؤمر به من العمل في السفر ، وأحمد ٢/ ٢٣٦ .

وكان إذا قفل من سفره يكبر على كل شرف من الأرض ثلاث تكبيرات ، ثم يقول: «لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له،له الملك،وله الحمد ، وهو على كل شيء قدير، آيبون تائبون ، عابدون ،لربنا حامدون ،صدق اللّه وعده ونصر عبده وهزم الأحزاب وحده» (١).

وكان ينهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً إذا طالت غيبتُهُ عنهم (٢).

وفى « الصحيحين » : كان لا يطرق أهله ليلاً يدخل عليهن غدوة أو عشية (٣).

وكان إذا قدم من سفره يلقى بالولدان من أهل بيته. قال عبد اللّه بن جعفر: وأنه قدم مرة من سفر فسبق بى إليه ، فحملنى بين يديه،ثم جىء بأحد ابنى فاطمة ، إما حسن وإما حسين،فأردفه خلفه . قال: فدخلنا المدينة ثلاثة على دابة(٤).

وكان يعتنق القادم من سفره ،ويقبله إذا كان من أهله. قال الزهرى: عن عروة ، عن عائشة :قدم زيد بن حارثة المدينة ،ورسول اللّه ﷺ فى بيتى،فأتاه ،فقرع الباب ، فقام إليه رسول اللّه ﷺ عُريانا يجرُّ ثوبه ،واللّه ما رأيته عُريانا قبله ولا بعده ، فاعتنقه وقبّله (٥).

قالت عائشة: لما قدم جعفر وأصحابه، تلقاه النبى ﷺ ،فقبّل ما بين عينيه واعتنقه(٦).

قال الشعبى :وكان أصحاب رسول اللّه ﷺ إذا قدموا من سفر، تعانقوا .

وكان إذا قدم من سفر ، بدأ بالمسجد ، فركع فيه ركعتين (٧) (٨).

---

(١) البخارى (١٧٩٧) فى العمرة. ، باب: ما يقول إذا رجع من الحج أو العمرة أو الغزو ، وأبو داود (٢٧٧٠) فى الجهاد ، باب:فى التكبير على كل شرف فى السير ، ومالك ١/ ٤٢١ (٢٤٣) فى الحج، باب: جامع الحج، وأحمد ٣/ ٦٣ .

(٢) البخارى (٥٢٤٦) فى النكاح ، باب: طلب الولد ،ومسلم (٧١٥/ ١٨٣) فى الإمارة ، باب:كراهة الطروق، وأبو داود (٢٧٧٦) فى الجهاد ، باب: فى الطروق ،والترمذى (٢٧١٢) فى الاستئذان باب: ما جاء فى كراهية طروق الرجل أهله ليلا، والدارمى (٢/ ٢٧٥) فى الاستئذان باب: فى النهى أن يطرق الرجل أهله ليلاً ، وأحمد ٣/ ٣٠٢ .

(٣) البخارى (١٨٠٠) فى العمرة ، باب: الدخول بالعشى ، ومسلم (١٩٢٨/ ١٨٠) فى الإمارة ، باب: كراهة الطروق .

(٤) مسلم (٢٤٢٨ / ٦٦) فى فضائل الصحابة ، باب : فضائل عبد اللّه بن جعفر رضي الله عنه .

(٥) الترمذى (٢٧٣٢) فى الاستئذان ، باب : ما جاء فى المعانقة، وقال: « حسن غريب » ، وضعفه الألبانى .

(٦) أبو داود (٥٢٢٠) فى الأدب ، باب: فى قبلة ما بين العينين .

(٧) البخارى (٤٤١٨) فى المغازى ، باب: حديث كعب بن مالك ، ومسلم (٢٧٦٩/ ٥٣) فى التوبة ، باب: حديث توبة كعب بن مالك وصاحبيه ، وأبو داود (٢٧٨١) فى الجهاد ، باب: فى الصلاة عند القدوم من السفر .

(٨) زاد المعاد (٢/ ٤٤٥ ـ ٤٥٤) .

فصل
فى ذكر الطعام والشراب

قال سبحانه وتعالى : ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِن كُنتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ (١٧٢) ﴾[البقرة].

قال عمر بن أبى سلمة رضي الله عنه : قال لى رسول الله ﷺ : « يا بُنىّ ، سم اللّه وكل بيمينك ، وكلْ مما يليك » متفق عليه(١) .

وقالت عائشة رضي الله عنها :قال رسول الله ﷺ:« إذا أكل أحدكم فليذكر اسم اللّه تعالى فى أوله ، فإن نسى أن يذكر اسم اللّه تعالى فى أوله فلْيقل : بسم اللّه أوله وآخره » ، قال الترمذى : حديث حسن صحيح (٢).

وقال أميّة بن مخشى رضي الله عنه : كان رسول اللّه ﷺ جالساً ورجل يأكل ، فلم يسم حتى لم يبق من طعامه إلا لقمة ، فلما رفعها إلى فيه قال: بسم الله أوله وأخره ، فضحك النبى ﷺ ثم قال: ما زال الشيطان يأكل معه ، فلما ذكر اسم الله تعالى استقاء ما فى بطنه» رواه أبو داود (٣).

وقال رسول اللّه ﷺ:« إن اللّه ليرضى عن العبد أن يأكل الأكلة فيحمده عليها ، ويشرب الشربة فيحمده عليها » .رواه مسلم فى « صحيحه » من حديث أنس رضي الله عنه (٤) .

وقال أبو هريرة:« ما عاب رسول اللّه ﷺ طعاماً قط، إنْ اشتهاه أكله ،وإلا تركه» . متفق عليه (٥).

وعن وحشى : أن أناساً قالوا: يارسول اللّه ، إنا نأكل ولا نشبع ،قال: « فلعلكم تفترقون » ؟ قالوا ؛ نعم . قالوا:« فاجتمعوا على طعامكم ،واذكروا اسم اللّه تعالى يبارك

---

(١) البخارى (٥٣٧٦) فى الأطعمة ، باب: التسمية على الطعام والاكل باليمين ، ومسلم (٢٠٢٢/٢٠٨/١) فى الأشربة ، باب: آداب الطعام والشراب وأحكامهما .

(٢) الترمذى (١٨٥٨) فى الأطعمة ، باب: ما جاء فى التسمية على الطعام.

(٣) أبو داود (٣٧٦٨) فى الأطعمة ، باب: التسمية على الطعام ، وضعفه الألبانى .

(٤) مسلم (٢٧٣٤/٨٩) فى الذكر والدعاء ، باب: استحباب حمد اللّه تعالى بعد الأكل والشرب .

(٥) البخارى (٥٤٠٩) فى الأطعمة ، باب: ما عاب النبى ﷺ طعاماً ، ومسلم (٢٠٦٤/١٨٧) فى الأشربة ، باب: لا يعيب الطعام .

لكم فيه » رواه أبو داود [١].

وعن معاذ بن أنس ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: « من أكل أو شرب فقال: الحمد لله الذى أطعمنى هذا الطعام ،ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة ، غُفِر له ما تقدم من ذنبه »، قال الترمذى : حديث حسن [٢].

وعن أبى سعيد ﷺ : أن النبى ﷺ كان إذا فرغ من طعامه قال: « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين» رواه أبو داود والترمذى [٣].

وذكر النسائى عن رجل خدم النبى ﷺ أنه كان يسمع النبى ﷺ إذا قرب إليه طعامه يقول : « بسم الله » وإذا فرغ من طعامه قال: « اللهم أطعمت وسقيت ، وأغنيت وأقنيت، وهديت وأحييت ، فلك الحمد على ما أعطيت » [٤] .

وفى « صحيح البخارى » عن أبى أمامة ﷺ، أن النبى ﷺ كان إذا رفع مائدته قال: « الحمد لله كثيراً مباركاً فيه ، غير مكفى ولا مودع ، ولا مستغنى عنه ربنا » [٥] [٦] .

وأيضا

كان ﷺ إذا رفع الطعام من بين يديه يقول: « الحمد لله حمدا كثيرا طيبا مباركا فيه غير مكفى ولا مودع ولا مستغنى عنه ربنا عز وجل» ذكره البخارى [٧]. وربما كان يقول: « الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وجعلنا مسلمين » [٨] ،وكان يقول: « الحمد لله الذى أطعم وسقى وسوّغه وجعل له مخرجاً »[٩] ،وذكر البخارى عنه أنه كان يقول: « الحمد لله الذى كفانا

---

(١) أبو داود (٣٧٦٤) فى الأطعمة ، باب: الاجتماع على الطعام .

(٢) الترمذى (٣٤٥٨) فى الدعوات، باب: ما يقول إذا فرغ من الطعام ، وقال: « حسن غريب ».

(٣) أبو داود (٣٨٥٠) فى الأطعمة ، باب :ما يقول الرجل إذا طعم ، والترمذى (٣٤٥٧) فى الدعوات، باب: ما يقول إذا فرغ من الطعام ، وضعفه الألبانى .

(٤) النسائى فى الكبرى(٦٨٩٨) فى الدعاء بعد الأكل ، باب: ما يقول إذا رفعت مائدته .

(٥) البخارى (٥٤٥٨) فى الأطعمة، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه .

(٦) الوابل الصيب (٢٨٠ ـ ٢٨٤) .

(٧) انظر : تخريج الحديث السابق .

(٨) سبق تخريجه فى الصفحة نفسها برقم ٣ .

(٩) أبو داود (٣٨٥١) فى الأطعمة ، باب:ما يقول الرجل إذا طعم .

وآوانا » [١] ، وذكر الترمذى عنه أنه قال : « من أكل طعاماً فقال : الحمد للّه الذى أطعمنى هذا من غير حول منى ولا قوة،غفر الله له ما تقدم من ذنبه » [٢] حديث حسن، ويذكر عنه أنه كان إذا قرب إليه الطعام قال:« بسم اللّه » فإذا فرغ من طعامه قال:« اللهم أطعمت وسقيت وأغنيت وأقنيت وهديت وأحييت ، فلك الحمد على ما أعطيت» [٣] وإسناده صحيح.

وفى السنن عنه أنه كان يقول إذا فرغ:« الحمد للّه الذى منّ علينا وهدانا ،والذى أشبعنا وأروانا، ومن كل الإحسان آتانا »[٤] حديث حسن، وفى السنن عنه أيضاً :إذا أكل أحدكم طعاماً فليقل :« اللهم بارك لنا فيه وأطعمنا خيراً منه »،ومن سقاه الله لبناً فليقل: «اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه ،فإنه ليس شىء ويجزئ عن الطعام والشراب غير اللبن »[٥] حديث حسن ويذكر عنه أنه إذا شرب فى الإناء تنفس ثلاث أنفاس ، ويحمد اللّه فى كل نفس ويشكره فى آخرهن[٦] [٧] .

وأيضاً

كان ﷺ إذا وضع يده فى الطعام قال: «بسم اللّه »[٨]ويأمر الآكل بالتسمية، ويقول: «إذا أكل أحدكم ، فليذكر اسم اللّه تعالى ، فإن نسى أن يذكر اسم اللّه فى أوله ، فليقل: بسم الله فى أوله وآخره » [٩] حديث صحيح [١٠] .

---

(١) البخارى (٥٤٥٩) فى الأطعمة ، باب: ما يقول إذا فرغ من طعامه .

(٢، ٣) سبق تخريجهما ص ٣٥٢ .

(٤) الأذكار للنووى(٥٩٧).

(٥) الترمذى (٣٤٥٥) فى الدعوات ، باب:ما يقول إذا أكل طعاماً .

(٦) انظر: النسائى فى الكبرى (٦٨٨٤ ـ ٦٨٨٨) فى آداب الشراب، باب: الرخصة فى التنفس فى الإناء .

(٧) زاد المعاد (٢/ ٤٠٠ ، ٤٠١) .

(٨) سبق تخريجه ص ٣٥٢ .

(٩) سبق تخريجه ص ٣٥١ .

(١٠) زاد المعاد(٢/ ٣٩٧) .

فصل
فى ذكر الضيف إذا نزل بقوم

عن عبد الله بن بسر قال: نزل رسول الله ﷺ على أبى طالب، فقربنا إليه طعاماً ووطبة ، فأكل منها ، ثم أتى بتمر ، فكان يأكله ويلقى النوى بين إصبعيه ، ويجمعُ السبابة والوسطى قال شعبة : هو ظنى ، وهو فيه إن شاء الله إلقاء النوى بين الإصبعين . ثم أُتى بشراب فشربه ،ثم ناوله الذى عن يمينه ، قال: فقال أبى ـ وأخذ بلجام دابته ـ ادع الله لنا ، فقال: « اللهم بارك لهم فيما رزقتهم ،واغفر لهم وارحمهم» رواه مسلم (١).

وعن أنس : أن النبى ﷺ جاء إلى سعد بن عبادة ، فجاء بخبزٍ وزيت فأكل، ثم قال النبى ﷺ: « أفطر عندكم الصائمون،وأكل طعامكم الأبرار ،وصلت عليكم الملائكة »رواه أبو داود (٢).

وعن جابر قال: صنع أبو الهيثم بن التيهان للنبى ﷺ طعاماً، فدعا النبى ﷺ وأصحابه، فلما فرغوا قال: « أثيبوا أخاكم » قالوا :يا رسول اللّه ،وما إثابته ؟ قال: « إن الرجل إذا دخل بيته فأُكِل طعامُهُ وشرابُهُ ، فادعوا له، فذلك إثابته» رواه أبو داود (٣).

فصل
فى السلام

عن عبد اللّه بن عمر رضي الله عنهما أن رجلاً سأل رسول اللّه ﷺ: أى الإسلام خير ؟ قال: «تطعم الطعام ، وتقرأ السلام على من عرفت ومن لم تعرف » ، متفق عليه (٤).

وقال أبو هريرة : قال رسول الله ﷺ :« لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا ، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أفلا أدلكم على شىء إذا فعلتموه تحاببتم؟ أفشوا السلام بينكم»

---

(١) مسلم (٢٠٤٢ / ١٤٦) فى الأشربة ،باب : استحباب وضع النوى خارج التمر .

(٢) أبو داود (٣٨٥٤) فى الأطعمة ، باب: ما جاء فى الدعاء لرب الطعام .

(٣) أبو داود (٣٨٥٣) فى الأطعمة ، باب: ما جاء فى الدعاء لرب الطعام إذا أكل عنده .

(٤) البخارى (١٢) فى الإيمان ، باب: إطعام الطعام من الإسلام ، ومسلم (٣٩/ ٦٣) فى الإيمان ، باب: بيان تفاضل الإسلام .

رواه أبو داود[١].

وقال عمار بن ياسر ﷺ: « ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان: الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار »، ذكره البخاري[٢].

وقال عمران بن حصين: جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: السلام عليكم، فرد عليه، ثم جلس، فقال النبي ﷺ « عشرٌ »، ثم جاء آخر، فقال: السلام عليكم ورحمة الله، فرد عليه، جلس، فقال: « عشرون » ثم جاء آخر فقال: السلام عليكم ورحمة الله وبركاته، فرد عليه، فجلس، فقال: « ثلاثون ». قال الترمذي: حديث حسن[٣].

وعن أبي أمامة قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أولى الناس بالله من ابتدأهم بالسلام» قال الترمذي: حديث حسن[٤].

وخرج أبو داود، عن علي ﷺ، عن النبي ﷺ قال: « يجزئ عن الجماعة إذا مروا أن يسلم أحدهم ويُجزئ عن الجلوس أن يرد أحدهم»[٥].

وقال أنس: مرّ النبي ﷺ على صبيان يلعبون، فسلم عليهم. حديث صحيح[٦].

وقال أبو هريرة: قال رسول الله ﷺ: «إذا انتهى أحدكم إلى المجلس فليسلم فإن بدا له أن يجلس فليجلس، ثم إذا قام، فليسلم، فليست الأولى بأحق من الآخرة »[٧].

فصل
في الذكر عند العطاس

قال أبو هريرة عن النبي ﷺ: « إنّ الله يحب العُطاس، ويكره التثاؤب، فإذا عطس

---

(١) أبو داود (٥١٩٣) في الأدب، باب: في إفشاء السلام، الحديث في مسلم (٥٤ / ٩٣) في الإيمان، باب: بيان أنه لا يدخل الجنة إلا المؤمن، والترمذي (٢٦٨٨) في الاستئذان، باب: ما جاء في إفشاء السلام، وابن ماجه (٦٨) في المقدمة، باب: في الإيمان.

(٢) البخاري معلقاً وموقوفًا (الفتح ١/ ٨٢) في الإيمان، باب: إفشاء السلام من الإسلام.

(٣) الترمذي (٢٦٨٩) في الاستئذان، باب: ما ذكر في فضل السلام، وقال: « حسن صحيح غريب من هذا الوجه».

(٤) الترمذي (٢٦٩٤) في الاستئذان، باب: ما جاء في فضل الذي يبدأ بالسلام.

(٥) أبو داود (٥٢١٠) في الأدب، باب: ما جاء في رد الواحد عن الجماعة.

(٦) البخاري (٦٢٤٧) في الاستئذان، باب: التسليم على الصبيان، ومسلم (٢١٦٨ / ١٥) في السلام، باب: استحباب السلام على الصبيان، وأبو داود (٥٢٠٢) في الأدب، باب: السلام على الصبيان، والترمذي (٢٦٩٦) في الاستئذان، باب: ما جاء في التسليم على الصبيان.

(٧) أبو داود (٥٢٠٨) في الأدب، باب: في السلام إذا قام من المجلس، والترمذي (٢٧٠٦) في الاستئذان، باب: ما جاء في التسليم عند القيام وعند النوم، وقال: « حسن ».

أحدكم وحمد الله ، كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول : يرحمك الله، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم ،فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك الشيطان منه» ، رواه البخارى (١).

وعنه أيضاً عن النبى ﷺ قال:« إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه :يرحمكم الله ، فإن قال له : يرحمكم الله ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » ، رواه البخارى(٢) ، وفى لفظ أبى داود: « الحمد لله على كل حال » (٣).

وقال أبو موسى الأشعرى رضي الله عنه : سمعت رسول الله ﷺ يقول:« إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ،فإن لم يحمد الله ، فلا تشمتوه» رواه مسلم (٤) (٥).

وأيضا

عن أبى هريرة رضي الله عنه ، قال: كان رسول الله ﷺ إذا عطس وضع يده ، أو ثوبه على فيه ، خفض أو غضَّ، بها صوته(٦) ـ شك يحيى ، وهو القطان .

وأخرجه الترمذى . وقال : حسن صحيح (٧). وفى إسناده : محمد بن عجلان وعنه رضي الله عنه، قال : قال رسول الله ﷺ: « خمسٌ تجب للمسلم على أخيه: رد السلام ، وتشميت العاطس، وإجابة الدعوة ، وعيادة المريض، واتباع الجنازة » (٨).

وأخرجه البخارى ، ومسلم والنسائى (٩)،فى لفظ لمسلم:« حق المسلم على المسلم ست» (١٠) وزاد : « وإذا استنصحك فانصح له » .

وقد أخرج الترمذى عن نافع :أن رجلاً عطس إلى جنب ابن عمر ،فقال:الحمد لله ،

---

(١) البخارى (٦٢٢٣) فى الأدب ، باب : ما يستحب من العطاس وما يكره من التثاؤب .

(٢) البخارى (٦٢٢٤) فى الأدب ، باب: إذا عطس كيف يشمت .

(٣) أبو داود (٥٠٣٣) فى الأدب ، باب: ما جاء فى تشميت العاطس .

(٤) مسلم (٢٩٩٢/ ٥٤) فى الزهد ، باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب .

(٥) الوابل الصيب (٢٨٥ ـ ٢٩٠) .

(٦) أبو داود (٥٠٢٩) فى الأدب ، باب: فى العطاس .

(٧) الترمذى (٢٧٤٥) فى الأدب ، باب: ما جاء فى خفض الصوت وتخمير الوجه عند العطاس.

(٨) أبو داود (٥٠٣٠) فى الأدب ، باب: فى العطاس .

(٩) البخارى (١٢٤٠) فى الجنائز ، باب:الأمر باتباع الجنائز ،ومسلم (٢١٦٢/ ٤) فى السلام ، باب:من حق المسلم للمسلم رد السلام ،والنسائى فى الكبرى (١٠٠٤٩) فى عمل اليوم والليلة ، باب: ما يقول إذا عطس .

(١٠) مسلم (٢١٦٢ / ٥) فى السلام ،باب: من حق المسلم للمسلم رد السلام.

والسلام على رسول اللّه ، قال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله ، والسلام على رسول اللّه، وليس هكذا علمنا رسول اللّه ﷺ أن نقول ، علمنا أن نقول: « الحمد لله على كل حال»[١] . وقال هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث زياد بن الربيع.

وفى الترمذى أيضًا من حديث سعيد المقبرى عن أبى هريرة قال: قال رسول اللّه ﷺ: « لما خلق اللّه آدم ، ونفخ فيه الروح عطس، فقال : الحمد لله،فحمد الله بإذنه، فقال له ربه: رحمك اللّه يا آدم ، اذهب إلى أولئك الملائكة إلى ملأ منهم جلوس، فقال: السلام عليكم ، قالوا: وعليك السلام ورحمة اللّه ،ثم رجع إلى ربه ،فقال: إن هذه تحيتك وتحية ذريتك بينهم » [٢]وذكر الحديث ،وقال: هذا حديث حسن غريب من هذا الوجه. وقد روى من غير وجه عن النبى ﷺ،ورواه زيد بن أسلم عن أبى صالح عن أبى هريرة[٣].

وأيضاً

عن أنس رضي الله عنه ، قال: عطس رجلان عند النبى ﷺ ، فشمّت أحدهما وترك الآخر، قال: فقيل : يا رسول الله، رجلان عطسا، فشمت أحدهما ـ قال أحمد،وهو ابن يونس ـ وتركت الآخر؟ فقال : إن هذا حمد اللّه ،وإن هذا لم يحمد اللّه » [٤].

وأخرجه البخارى ومسلم والترمذى [٥].

وقد تقدم حديث أبى هريرة وفيه: « فإذا عطس أحدكم ، وحمد الله، كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول: يرحمك الله» [٦].

وترجم الترمذى على حديث أنس : باب ما جاء فى إيجاب التشميت بحمد العاطس ، وهذا يدل على أنه واجب عنده وهو الصواب للأحاديث الصريحة الظاهرة فى كل الوجوب من غير معارضة ، والله أعلم .

فمنها : حديث أبى هريرة وقد تقدم ، ومنها: حديثه الآخر:« خمس للمسلم على

---

(١) الترمذى (٢٧٣٨) فى الأدب ، باب: ما يقول العاطس إذا عطس.

(٢) الترمذى (٣٣٦٨) فى تفسير القرآن ، باب: ٩٤ .

(٣) تهذيب السنن (٧/ ٣٠٤ ـ ٣٠٦) .

(٤) أبو داود (٥٠٣٩) فى الأدب ، باب: فيمن يعطس ولا يحمد الله .

(٥) البخارى (٦٢٢٥) فى الأدب ، باب: لا يشمت العاطس إذا لم يحمد الله ، ومسلم (٢٩٩١/ ٥٣) فى الزهد والرقائق ، باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ، والترمذى (٢٧٤٢) فى الأدب ، باب: ما جاء فى إيجاب التشميت بحمد العاطس .

(٦) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

أخيه » [١]، ومنها :حديث سالم من عبيد وفيه: «وليقل له من عنده : يرحمك الله »[٢] ، ومنها: ما رواه الترمذى عن على قال: قال رسول الله ﷺ:« للمسلم على المسلم ست بالمعروف: يسلم عليه إذا لقيه ، ويجيبه إذا دعاه ، ويشمته إذا عطس ، ويعوده إذا مرض ، ويتبع جنازته إذا مات ،ويحب له ما يحب لنفسه » [٣]وقال: هذا حديث حسن ، قد روى من غير وجه عن النبى ﷺ وقد تكلم بعضهم فى الحارث الأعور ، فى الباب عن أبى هريرة وأبى أيوب والبراء وأبى مسعود .

ومنها :ما رواه الترمذى عن أبى أيوب : أن رسول الله ﷺ قال:« إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله ،وليقل : على كل حال ، وليقل الذى يرد عليه:يرحمك الله ، وليقل هو: يهديكم الله ويصلح بالكم » [٤].

فهذه أربعة طرق من الدلالة:

أحدها : التصريح ثبوت وجوب التشميت بلفظه الصريح الذى لا يحتمل تأويلا .

الثانى : إيجاب بلفظ الحق .

الثالث : إيجابه بلفظ « على» الظاهر فى الوجوب.

الرابع : الأمر به،ولا ريب ،فى إثبات واجبات كثيرة بدون هذه الطرق ،والله تعالى أعلم [٥].

وأيضاً

عن إياس بن سلمة بن الأكوع عن أبيه رضي الله عنه :أن رجلاً عطس عند النبى ﷺ ، فقال له: « يرحمك الله ».ثم عطس ، فقال النبى ﷺ :« الرجل مزكوم » [٦].

وأخرجه مسلم والترمذى والنسائى وابن ماجه [٧].

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٥٦ .

(٢) أبو داود (٥٠٣١) فى الأدب ، باب: ما جاء فى تشميت العاطس ، والترمذى (٢٧٤٠) فى الأدب، باب: ما جاء كيف تشميت العاطس .

(٣) الترمذى (٢٧٣٦) فى الأدب ، باب: ما جاء فى تشميت العاطس .

(٤) الترمذى (٢٧٤١) فى الأدب ، باب: ما جاء كيف تشميت العاطس.

(٥) تهذيب السنن (٧/ ٣١١ ـ ٣٢١) .

(٦) أبو داود (٥٠٣٧) فى الأدب ، باب : كم مرة يشمت العاطس .

(٧) مسلم (٢٩٩٣ / ٥٥) فى الزهور والرقائق، باب: تشميت العاطس وكراهة التثاؤب ، والترمذى (٢٧٤٣) فى الأدب ، باب: ماجاء كم يشمت العاطس ، والنسائى فى الكبرى(١٠٠٥١) فى عمل اليوم والليلة، باب: كم مرة يشمت ، وابن ماجه (٣٧١٤) فى الأدب، باب: تشميت العاطس .

ذكر حديث أبى داود: أن رجلاً عطس فقال له :« يرحمك اللّه »، ثم عطس، فقال النبى ﷺ :« الرجل مزكوم » .

هذا لفظ أبى داود ، ولفظ مسلم : « ثم عطس أخرى » ولفظ النسائى : « ثم عطس الثانية » ، فقال: إنه مزكوم » .

وأما ابن ماجه فلفظه :« يشمت العاطس ثلاثاً ، فما زاد فهو مزكوم » رواه عن على ابن محمد حدثنا وكيع،عن عكرمة بن عمار،عن إياس بن سلمة،عن أبيه، عن النبى ﷺ. وهذا يوافق رواية أبى هريرة ، وعبيد بن رفاعة فى حد ذلك بالثلاث.

وأما الترمذى فلفظه فيه:عن إياس بن سلمة عن أبيه قال:«عطس رجل عند النبى ﷺ، وأنا شاهد ، فقال رسول اللهﷺ:« يرحمك اللّه » ،« ثم عطس الثانية ، أو الثالثة، فقال رسول اللّه ﷺ : « هذا رجل مزكوم» رواه من حديث سويد عن ابن المبارك عن عكرمة ابن عمار.

ثم قال: حدثنا محمد بن يسار، حدثنا يحيى بن يسار ، حدثنا يحيى بن سعيد، حدثنا عكرمة بن عمار ، عن إياس بن سلمة ، عن أبيه ، عن النبى ﷺ نحوه، إلا أنه قال له فى الثالثة :« إنك مزكوم » .

قال الترمذى : وهذا أصح من حديث ابن المبارك ، وقد روى شعبة عن عكرمة بن هذا الحديث نحو رواية يحيى بن سعيد [١].

وأيضاً

ثبت عنه ﷺ :« إن اللّه يحب العطاس ويكره التثاؤب ،فإذا عطس أحدكم وحمد اللّه كان حقاً على كل مسلم سمعه أن يقول له : يرحمك الله ، وأما التثاؤب فإنما هو من الشيطان، فإذا تثاءب أحدكم فليرده ما استطاع ، فإن أحدكم إذا تثاءب ضحك منه الشيطان» ذكره البخارى [٢]. وثبت عنه فى « صحيحه » : « إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله ، وليقل له أخوه أو صاحبه : يرحمك اللّه ، فإذا قال له : يرحمك اللّه ، فليقل : يهديكم الله ويصلح بالكم » [٣].

---

(١) تهذيب السنن (٧/ ٣١٠) .

(٢) البخارى (٦٢٢٦) فى الأدب ، باب: إذا تثاءب فليضع يده على فيه .

(٣) البخارى (٦٢٢٤) فى الأدب ، باب: إذا عطس كيف يشمت ؟

وفى« الصحيحين »عن أنس : أنه عطس عنده رجلان فشمت أحدهما ولم يشمت الآخر، فقال الذى لم يشمته : عطس فلان فشمته ،وعطس فلم تشمتنى ،فقال:«هذا حمد الله وأنت لم تحمد الله»(١).

وثبت عنه فى « صحيح مسلم »:« إذا عطس أحدكم فحمد الله فشمتوه ،فإن لم يحمد فلا تشمتوه » (٢)، وثبت عنه فى« صحيحه » :من حديث أبى هريرة:« حق المسلم على المسلم ست إذا لقيته فسلم عليه ، وإذا دعاك فأجبه ،وإذا استنصحك فانصح له،وإذا عطس وحمد الله فشمته ،وإذا مرض فعده ،وإذا مات فاتبعه » (٣) .

وروى أبو داود عنه بإسناد صحيح:« إذا عطس أحدكم فليقل: الحمد لله على كل حال، وليقل أخوه أو صاحبه : يرحمك الله،وليقل هو :يهديكم الله ويصلح بالكم»(٤) .

وروى الترمذى أن رجلاً عطس عند ابن عمر فقال:الحمد لله والسلام على رسول الله، فقال ابن عمر: وأنا أقول: الحمد لله والسلام على رسول الله ﷺ ،وليس هكذا علمنا رسول الله ﷺ ولكن علمنا أن نقول: « الحمد على كل حال » (٥).

وذكر مالك عن نافع عن ابن عمر: كان إذا عطس فقيل له:يرحمك الله ، قال: يرحمنا الله وإياكم ، ويغفر لنا ولكم.فظاهر الحديث المبدوء به : أن التشميت فرض عين على كل من سمع العاطس يحمد الله، ولا يجزئ تشميت الواحد عنهم ، وهذا أحد قولى العلماء واختاره ابن أبى زيد وأبو بكر بن العربى المالكيان ولا دافع له .

وقد روى أبو داود:أن رجلا عطس عند النبى ﷺ فقال: السلام عليكم ، فقال رسول الله ﷺ: « وعليك السلام وعلى أمك» ،ثم قال: « إذا عطس أحدكم فليحمد الله » قال: فذكر بعض المحامد ،وليقل له من عنده: « يرحمك الله ، وليرد ـ يعنى عليهم : يغفر الله لنا ولكم » (٦) (٧) .

---

(١) سبق تخريجه ص ٣٥٧ .

(٢) مسلم (٢٩٩٢ / ٥٤) فى الزهد والرقائق، باب : تشميت العاطس وكراهة التثاؤب .

(٣) مسلم (٢١٦٢ / ٥) فى السلام ، باب: من حق المسلم للمسلم رد للسلام .

(٤) أبو داود (٥٠٣٣) فى الأدب ، باب: ما جاء فى تشميت العاطس .

(٥) سبق تخريجه ص ٣٥٧ .

(٦) أبو داود (٥٠٣١) فى الأدب، باب: ما جاء فى تشميت العاطس .

(٧) زاد المعاد (٢/ ٤٣٥ ، ٤٣٧) .

فصل
فى ذكر النكاح والتهنئة به
وذكر الدخول بالزوجة

قال ابن مسعود : علمنا رسول الله ﷺ خطبة النكاح :

« الحمد لله نحمده ، ونستعينه ونستغفره ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ومن سيئات أعمالنا من يهد الله فلا مضل له ،ومن يضلل فلا هادى له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله » ـ وفى رواية زيادة :« أرسله بالحق بشيرا ونذيرا بين يدى الساعة ،من يطع الله ورسوله فقد رشد ، ومن يعصهما فإنه لا يضر إلا نفسه، ولا يضر الله شيئاً ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ** (١٠٢) ﴾ [آل عمران] . ﴿ **يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا** (١) ﴾ [النساء] ﴿ **يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا** (٧٠) **يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا** (٧١) ﴾ [الاحزاب] .

رواه أهل السنن الأربعة، وقال الترمذى: حديث حسن(١) .

وعن أبى هريرة ، أن النبى ﷺ كان إذا رفَّأ الإنسان إذا تزوج قال: « بارك الله لك ، وبارك عليك وجمع بينكما فى خير وعافية » .

قال الترمذى: حديث حسن صحيح (٢).

وعن عمرو بن شعيب عن أبيه ، عن جده ، عن النبى ﷺ قال:« إذا تزوج أحدكم امرأة ،أو اشترى خادماً فليقل: اللهم إنى أسألك خيرها،وخير ما جبلتها عليه، وأعوذ بك من شرها وشر ما جبلتها عليه ،وأعوذ بك من شرها وشر من جبلتها عليه،وإذا اشترى

---

(١) أبو داود (٢١١٨) فى النكاح ، باب: فى خطبة النكاح، والترمذى (١١٠٥) فى النكاح ، باب: ما جاء فى خطبة النكاح ، والنسائى (١٤٠٤) فى الجمعة ، باب: كيفية الجمعة ،وابن ماجه (١٨٩٢) فى النكاح ، باب: خطبة النكاح .

(٢) أبو داود (٢١٣٠) فى النكاح ، باب : ما يقال للمتزوج ،والترمذى (١٠٩١) فى النكاح ، باب: ما جاء فيما يقال للمتزوج ،وابن ماجه (١٩٠٥) فى النكاح ، باب: تهنئة النكاح .

بعيراً ،فليأخذ بذِرْوة سنامه وليقُل مثل ذلك » رواه أبو داود (١).

وفى الصحيحين عن ابن عباس عن النبى ﷺ قال :« لو أن أحدكم إذا أتى أهله قال : بسم الله ، اللهم جنبنا الشيطان ،وجنب الشيطان ما رزقتنا، فقضى بينهما ولد ، لم يضره الشيطان أبداً » (٢) (٣).

وأيضاً

ثبت عنه ﷺ أنه علمهم خُطبة الحاجة :« الحمد للّه نحمده،ونستعينه،ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا، من يهدى الله ،فلا مضل له،ومن يضلل فلا هادى له،وأشهد أن لا إله إلا اللّه،وأشهد أن محمد عبده ورسوله،ثم يقرأ الآيات الثلاث: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسْلِمُونَ (١٠٢) ﴾ [آل عمران] ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا (١) ﴾ [النساء] ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَن يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (٧١) ﴾ [الاحزاب] (٤).

قال شعبة : قلت لأبى إسحاق: هذه فى خطبة النكاح، أو فى غيرها ؟ قال: فى كل حاجة .

وقال:« إذا أفاد أحدكم امرأة ، أو دابة ،أو خادماً ، أو دابة ، فليأخذ بناصيتها،وليدع اللّه بالبركة ويُسمى الله عز وجل،وليقل:اللهم إنى أسألك خيرها وخير ما جلبت عليه»(٥).

وكان يقول للمتزوج : « بارك اللّه لك وبارك عليك ،وجمع بينكما فى خير» (٦).

وقال : « لو أن أحدكم إذا أراد أن يأتى أهله ،قال:بسم اللّه ، اللهم جنِّبنا الشيطان،

---

(١) أبو داود (٢١٦٠) فى النكاح، باب : فى جامع النكاح .

(٢) البخارى (٥١٦٥) فى النكاح ، باب: ما يقول الرجل إذا أتى أهله ، ومسلم (١١٦/١٤٣٤) فى النكاح ، باب: ما يستحب أن يقوله عند الجماع .

(٣) الوابل الصيب (٢٩٠ ـ ٢٩٣).

(٤) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٥ ، ٦) سبق تخريجهما فى الصفحة نفسها .

وجنب الشيطان ما رزقتنا، فإنه إن يقدر بينهما ولدٌ فى ذلك ، لم يضره الشيطان أبداً»(١) (٢).

فصل
فى الذكر عند الولادة والذكر المتعلق بالولد

يذكر أن فاطمة رضي الله عنها لما دنا ولادها ، أمر النبى ﷺ أم سلمة وزينب بنت جحش أن تأتيا فتقرآ عليها آية الكرسى ،و ﴿ إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ ﴾إلى آخرالآيتين [الأعراف :٥٤ ـ ٥٥]، وتعوذاها بالمعوذتين (٣).

وقال أبو رافع : رأيتُ رسول اللّه ﷺ أذن فى أذن الحسن بن على حين ولدته فاطمة بالصلاة ، قال الترمذى :حديث حسن صحيح (٤).

ويذكر عن الحسين بن على قال: قال رسول اللّه ﷺ :« من ولد له مولود ، فأذن فى أذنه اليمنى ،وأقام فى أذنه اليسرى لم تضره أمُّ الصّبيان » (٥) .

وقالت عائشة : كان النبى ﷺ يؤتى بالصبيان ، فيدعو لهم بالبركة ويحنكُهُم ، رواه أبو داود(٦).

وقال عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما : أن النبى ﷺ أمر بتسمية المولود يوم سابعه، ووضع الأذى عنه ،والعقّ. قال الترمذى: حديث حسن (٧).

وقد سمى النبى ﷺ ابنه إبراهيم،وإبراهيم بن أبى موسى ،وعبد الله بن أبى طلحة ، والمنذر بن أبى أسيد قريباً من ولادتهم .

وعن أبى الدرداء قال: قال رسول اللّه ﷺ : « إنكم تدعون يوم القيامة بأسمائكم وأسماء آبائكم ، فأحسنوا أسماءكم » ذكره أبو داود (٨).

---

(١) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .
(٢) زاد المعاد (٢ / ٤٥٤ ـ ٤٥٦) .
(٣) الأذكار للنووى (٧٢٧) .
(٤) الترمذى (١٥١٤) فى الأضاحى ، باب: الأذان فى أذن المولود .
(٥) الأذكار للنووى (٧٢٩) .
(٦) أبو داود (٥١٠٦) فى الأدب ، باب : الصبى يولد فيؤذن فى أذنه .
(٧) الترمذى (٢٨٣٢) فى الأدب ،باب: ما جاء فى تعجيل اسم المولود ، وقال : « حسن غريب » .
(٨) أبو داود (٤٩٤٨) فى الأدب ، باب:فى تغيير الأسماء ، وضعفه الألبانى .

وذكر مسلم عن عبد الله بن عمر قال: قال رسول الله ﷺ: « إن أحب أسمائكم إلى الله عز وجل : عبد الله ، عبد الرحمن » (١).

وعن أبى وهب الجشمى رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ : « تسموا بأسماء الأنبياء وإن أحب الأسماء إلى الله عز وجل:عبد الله ،وعبد الرحمن، وأصدقها :حارث وهمام ، وأقبحها : حرب ومرّة » رواه أبو داود والنسائى (٢).

وغير النبى ﷺ الأسماء المكروهة إلى أسماء حسنة ، فغير اسم برة إلى زينب ، وغير اسم حزن إلى سهل ،وغير اسم عاصية فسماها جميلة ، وغير أصرم إلى زُرعة .

وسمى حربا سلماً،وسمى المضطجع المنبعث،وسمى أرضا يقال لها: عفْرة ، خضرة ، وشعْب الضلالة سماه شعب الهدى ،وبنو الزنية سماهم بنى الرشد .

فصل
فى صياح الديكة والنهيق والنباح

فى« الصحيحين » عن أبى هريرة رضي الله عنه ،عن النبى ﷺ قال:«إذا سمعتم نُهاق الحمير، فتعوذوا بالله من الشيطان فإنها رأت شيطانا ،وإذا سمعتم صياح الديكة ،فسلوا الله من فضله ، فإنها رأت ملكاً » (٣).

وفى « سنن أبى داود » عن جابر قال:قال رسول الله ﷺ:« إذا سمعتم نُباح الكلاب ونهيق الحمير بالليل ،فتعوذوا بالله منهن ،فإنهن يرين ما لا ترون ». رواه أبو داود(٤) (٥).

---

(١) مسلم (٢١٣٢ / ٢) فى الآداب، باب : النهى عن التكنى بأبى القاسم وبيان ما يستحب من الأسماء.

(٢) أبو داود (٤٩٥٠) فى الأدب ، باب: فى تغيير الأسماء ، والنسائى (٣٥٦٥) فى الخيل ، باب: ما يستحب من شية الخيل ، وقال الألبانى: صحيح دون قوله : « تسموا بأسماء الأنبياء » .

(٣) البخارى (٣٠٣٣) فى بدء الخلق ، باب: خير مال المسلم غنم ، ومسلم (٢٧٢٩/ ٨٢)فى الذكر والدعاء ، باب : استحباب الدعاء عند صياح الديك .

(٤) أبو داود (٥١٠٣) فى الأدب ، باب: ما جاء فى الديك والبهائم .

(٥) الوابل الصيب (٢٩٣ ـ ٢٩٧) ، وزاد المعاد (٢/ ٤٦٦) .

فصل
فى الذكر يطفأ به الحريق

يذكر عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: « إذا رأيتم الحريق فكبروا ، فإن التكبير يطفئه» (١) (٢).

فصل
فى كفارة المجلس

عن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ : من جلس مجلساً ، فكثر فيه لغطه ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه ذلك سبحانك اللّهم وبحمدك،أشهد أن لا إله إلا أنت ،أستغفرك وأتوب إليك،إلا كُفر له ما كان فى مجلسه ذلك». قال الترمذى:حديث حسن صحيح(٣).

وفى حديث آخر : أنه إن كان فى مجلس خير كان كالطابع له ،وإن كان فى مجلس تخليط كان كفارة له (٤).

وفى « السنن » عن أبى هريرة ، عن النبى ﷺ : « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله تعالى فيه إلا قاموا عن مثل جيفة حمار،وكان عليهم حسرة » (٥).

وعن ابن عمر قال: قلّما كان رسول الله ﷺ يقوم فى مجلس حتى يدعو بهؤلاء الدعوات لأصحابه: « اللهم اقسم لنا من خشيتك ما تحول به بيننا وبين معصيتك ، ومن طاعتك ما تبلغنا به جنتك ومن اليقين ما تهون به علينا مصائب الدنيا ،اللهم متعنا بأسماعنا وأبصارنا وقوتنا ما أحييتنا، واجعله الوارث منا ،واجعل ثأرنا على من ظلمنا ،وانصرنا على من عادانا،ولا تجعل مصيبتنا فى ديننا ،ولا تجعل الدنيا أكبر همنا ،ولا مبلغ علمنا،ولا تسلط علينا من لا يرحمنا ». قال الترمذى : حديث حسن(٦) (٧).

---

(١) الأذكار للنووى (٧٦٦) .

(٢) الوابل الصيب (٢٩٨) ، وزاد المعاد (٤٦٦/٢) .

(٣) الترمذى (٣٤٣٣) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا قام من مجلسه ، وقال الترمذى : « حسن غريب صحيح» .

(٤) الحاكم فى المستدرك وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ، ووافقه الذهبى » .

(٥) أبو داود (٤٨٥٥) فى الأدب ، باب: كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله .

(٦) الترمذى (٣٥٠٢) فى الدعوات ، باب (٨٠) .

(٧) الوابل الصيب (٢٩٨ ، ٢٩٩) .

وأيضاً

كره ﷺ لأهل المجلس أن يُخلوا مجلسهم من ذكر الله عز وجل ،وقال: « ما من قوم يقومون من مجلس لا يذكرون الله فيه إلا قاموا عن مثل جيفة الحمار » (١).

وقال: « من قعد مقعداً لم يذكر الله فيه كانت عليه من الله ترَةٌ ومن اضطجع مضجعا لا يذكر الله فيه ، كانت عليه من الله ترة» (٢). والتِّرَةُ : الحسرة .

وفى لفظ :« وما سلك أحد طريقاً لم يذكر الله فيه ، إلا كانت عليه تِرَةً » (٣) .

وقال ﷺ :« من جلس فى مجلس ، فكثر فيه لغطُهُ ، فقال قبل أن يقوم من مجلسه: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك إلا غفر له ما كان فى مجلسه ذلك (٤) .

وفى « سنن أبى داود » و « مستدرك الحاكم » أنه ﷺ كان يقول ذلك إذا أراد أن يقوم من المجلس ، فقال له رجل : يا رسول الله ،إنك لتقول قولاً ما كنت تقوله فيما مضى . قال:« ذلك كفارة لما يكون فى المجلس» (٥) (٦).

فصل

فيما يقال ويفعل عند الغضب

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ **وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ (٣٦)**﴾ .

وقال سليمان بن صرد : كنت جالساً مع النبى ﷺ ورجلان يستبّان ،أحدهما قد احمر وجهه وانتفخت أوداجه ، فقال النبى ﷺ:« إنى لأعلم كلمة لو قالها لذهب عنه ما يجد ،

---

(١) سبق تخريجه فى الصفحة السابقة .

(٢) أبو داود (٤٨٥٦) فى الأدب ، باب: كراهية أن يقوم الرجل من مجلسه ولا يذكر الله .

(٣) أحمد ٢/ ٤٣٢ .

(٤) سبق تخريجه بالصفحة السابقة .

(٥) أبو داود (٤٨٥٩) فى الأدب ،باب: كفارة المجلس، والحاكم ١/ ٥٣٧ وسكت عنه هو والذهبى .

(٦) زاد المعاد (٢/ ٤٦٦ ، ٤٦٧) .

لو قال: أعوذ باللّه من الشيطان الرجيم ذهب عنه ما يجدُ » متفق عليه (١).

وعن عطية بن عروة قال : قال رسول اللّه ﷺ : « إنَّ الغضب من الشيطان ، وإن الشيطان خُلق من النار ، وإنما تطفأ النار بالماء ، فإذا غضب أحدكم فليتوضأ » رواه أبو داود (٢).

وفى حديث آخر : « أنه أمر من غضب إذا كان قائماً أن يجلس، وإذا كان جالساً أن يضطجع » (٣) (٤) .

وأيضاً

لما كان الغضبُ والشهوةُ جمرتين من نار فى قلب ابن آدم ، أمر أن يُطفئهما بالوضوء، والصلاة والاستعاذة من الشيطان الرجيم ،كما قال تعالى : ﴿ **أَتَأْمُرُونَ النَّاسَ بِالْبِرِّ وَتَنسَوْنَ أَنفُسَكُم** ﴾ [البقرة : ٤٤] ، وهذا إنما يحمل عليه شدة الشهوة ، فأمرهم بما يُطفئون بها جمرتها ، وهو الاستعانة بالصبر والصلاة ، وأمر تعالى بالاستعاذة من الشيطان عند نزغاته ولما كانت المعاصى كلها تتولد من الغضب والشهوة ،وكان نهايةُ قوة الغضب القتل ، ونهاية قوة الشهوة الزنا ،جمع اللّه تعالى بين القتل والزنا، وجعلهما قرينين فى سورة الأنعام ، وسورة الإسراء ،وسورة الفرقان ، وسورة الممتحنة .

والمقصود : أنه ـ سبحانه ـ أرشد عباده إلى ما يدفعون به شرّ قوتى الغضب والشهوة من الصلاة والاستعاذة (٥).

---

(١) البخارى (٦٠٤٨) فى الأدب، باب: ما ينهى من السباب واللعن ، ومسلم (٢٦١٠ / ١٠٩) فى الأدب ، باب: ما يقال عند الغضب .

(٢) أبو داود (٤٧٨٤) فى الأدب ، باب: ما يقال عند الغضب ، وضعفه الألبانى .

(٣) أبو داود (٤٧٨٢) فى الكتاب والباب السابقين ،وأحمد ٥/ ١٥٢ .

(٤) الوابل الصيب (٣٠٠ ، ٣٠١) .

(٥) زاد المعاد (٢/ ٤٦٣) .

فصل
فيما يقال عند رؤية أهل البلاء

عن أبى هريرة رضي الله عنه عن النبى ﷺ قال: « من رأى مُبتلى فقال: الحمد لله الذى عافانى مما ابتلاك به ،وفضلنى على كثير ممن خلق تفضيلاً ،لمْ يُصبه ذلك البلاءُ »(١). قال الترمذى: حديث حسن (٢).

فصل
فى الذكر عند دخول السوق

عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« من دَخل السُّوق فقال: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد، يُحيى ويميت ، وهو حى لا يموت ، بيده الخير وهو على كل شىء قدير، كتب الله له ألف ألف حسنة ، ومحا عنه ألف ألف سيئة ورفع له ألف ألف درجة » رواه الترمذى(٣) .

وعن بريدة رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ إذا دخل السوق قال:« بسم الله ، اللهم إنى أسألك خير هذه السوق وخير ما فيها ، وأعوذ بك من شرّها وشر ما فيها ،اللهم إنى أعوذ بك أن أُصيب بها يمينا فاجرة ، أو صفقة خاسرة »(٤) .

فصل
فى الرجل إذا خدرت رجله

عن الهيثم بن حنش قال: كنا عند عبد الله بن عمر رضي الله عنهما، فخدرت رجله ،فقال له رجل : اذْكر أحب الناس إليك ، فذكر محمداً ، فكأنما نشط من عقال.

---

(١) الترمذى (٣٤٣٢) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا رأى مبتلى وقال : « غريب » .
(٢) الوابل الصيب (٣٠١)، وزاد المعاد (٤٥٦/٢) .
(٣) الترمذى (٣٤٢٨) فى الدعوات ، باب: ما يقول إذا دخل السوق ، وقال : « غريب » .
(٤) الحاكم فى المستدرك (٥٣٩/١) وقال : « إسناده صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ، وقال الذهبى : « أبو عمرو لا يعرف والمدائنى متروك »، وضعفه الألبانى .

وعن مجاهد رحمه الله قال: خدرت رجلُ رجلٍ عند ابن عباس رضي الله عنهما فقال : اذكر أحب الناس إليك ،فقال: محمد رسول الله ، فذهب خدره .

فصل
فى الدابة إذا عثرت

عن أبى المليح عن رجل قال: كنتُ رديف النبى ﷺ فعثرت دابتُه ، فقلت : تعس الشيطان ، فقال: « لا تقُل : تعس الشيطان ، فإنك إذا قلت ذلك تعاظم حتى يكون مثل البيت ،ولكن قلْ : بسم الله ، فإنك إذا قُلتَ ذلك تصاغر حتى يكون مثل الذُّباب »[١].

فصل
فيمن أهدى هديه أو تصدق بصدقة
فدعا له ،ماذا يقول ؟

عن عائشة رضي الله عنها قالت : أُهديتْ لرسول الله ﷺ شاة فقال : « اقسميها »،وكانت عائشة رضي الله عنها إذا رجعت الخادم تقول: ماذا قالوا ؟ تقول الخادم : قالوا: بارك الله فيكم ، تقول عائشة رضي الله عنها : وفيهم بارك الله ،نرد عليهم مثل ما قالوا ويبقى أجرنا لنا[٢] .

وقد روى عنها فى الصدقة مثل ذلك[٣] .

وأيضاً

كان ﷺ يدعو لمن تقرّب إليه بما يُحب وبما يناسب ، فلما وضع له ابن عباس وضوءه قال: « اللهم فقّههُ فى الدين ، وعلّمهُ التأويل» [٤].

ولما دعْمه أبو قتادة فى مسيره بالليل لّما مال عن راحلته ،قال: « حفظك الله بما

---

(١) أبو داود (٤٩٨٣) فى الأدب ، باب: لا يقال : خبثت نفسى.
(٢) الأذكار للنووى (٨١٥).
(٣) الوابل الصيب (٣٠٢ ـ ٣٠٤) .
(٤) أحمد ٢٦٦/١ ،وقال الشيخ شاكر (٢٣٩٧) : « إسناده صحيح » .

حفظت به نبيّه » (١).

وقال : « من صُنع إليه معروف ، فقال لفاعله: جزاك الله خيراً ، فقد أبلغ فى الثناء»(٢).

واستقرض من عبد الله بن أبى ربيعة مالا،ثم وفاه إياه، وقال: « بارك الله لك فى أهلك ومالك ، إنما جزاءُ السلف الحمد والأداء » (٣).

ولما أراحه جرير بن عبد الله البجلى من ذى الخلصة ـ صنم دوس ـ برّك على خيل قبيلته أحمس ورجالها خمس مرات (٤).

وكان ﷺ إذا أُهديت إليه هدية فقبلها ، كافأ عليها بأكثر منها (٥)، وإن ردها اعتذر إلى مهديها،كقوله ﷺ للصعب بن جثامة لما أهدى إليه لحم الصيد : « إنا لم نرده عليك إلا أنا حُرُم »(٦) والله أعلم(٧) .

فصل
فيمن أميط عنه أذى

عن أبى أيوب رضي الله عنه ،أنه تناول من لحية رسول الله ﷺ أذى، فقال رسول الله ﷺ : « مسح الله عنك يا أبا أيوب ما تكره » .

وفى لفظ آخر : « لا يكن بك السوءُ يا أبا أيوب» (٨).

وعن عمر رضي الله عنه ، أنه أخذ عن رجل شيئاً ، فقال: الرجل: صرف الله عنك السوء ،

---

(١) مسلم (٦٨١ / ٣١١) فى المساجد ومواضع الصلاة ، باب: قضاء الصلاة الفائتة .

(٢) الترمذى (٢٠٣٥) فى البر والصلة ، باب: ما جاء فى المتشبع بما لم يعط .وقال : « حسن جيد غريب » .

(٣) النسائى (٤٦٨٣) فى البيوع ، باب: الاستقراض ، وابن ماجه (٢٤٢٤) فى الصدقات ، باب: حسن القضاء، وأحمد (٤/ ٣٦) .

(٤) البخارى (٤٣٥٦) فى المغازى ، باب: غزوة ذى الخلصة ، ومسلم (٢٤٧٦ / ١٣٧) فى فضائل الصحابة ، باب: من فضائل جرير بن عبد الله رضي الله عنه ، وأحمد ٤/ ٣٦٢ .

(٥) البخارى (٢٥٨٥) فى الهبة ،باب: المكافأة فى الهبة ، وأبو داود (٣٥٣٦) فى البيوع ، باب: قبول الهدايا ، والترمذى (١٩٥٣) فى البر والصلة ، باب: ما جاء فى قبول الهدية والمكافأة عليها .

(٦) البخارى (٢٥٧٣) فى الهبة ،باب: قبول الهدية ،ومسلم (١١٩٣/ ٥٠) فى الحج، باب: تحريم الصيد للمحرم .

(٧) زاد المعاد (٤٦٤ ، ٤٦٥) .

(٨) الأذكار للنووى (٨١٧) .

فقال عمر رضي الله عنه : صرف الله عنا السوء منذُ أسلمنا ، ولكن إذا أخذ عنك شيء فقل : أخذت يداك خيراً .

فصل
فى رؤية باكورة الثمرة

قال أبو هريرة رضي الله عنه : كان الناس إذا رأوا أول الثمر جاؤوا به إلى رسول اللّه ﷺ فقال : « اللهم بارك لنا فى ثمرنا ، وبارك لنا فى مدينتنا ، وبارك لنا فى صاعنا ، وبارك لنا فى مدنا » ثم يعطيه أصغر من يحضره من الولدان . رواه مسلم (١) (٢).

فصل
فى الشيء يراه ويعجبه ويخاف عليه العين

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿ وَلَوْلا إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ قُلْتَ مَا شَاءَ اللَّهُ لا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللَّهِ ﴾ [الكهف: ٣٩]

وقال النبى ﷺ : « العين حق ، ولو كان شيء سابق القدر لسبقته العين » حديث صحيح (٣).

ويذكر عن النبى ﷺ أنه قال: «إذا رأى أحدكم ما يعجبه فى نفسه أو ماله فليبرك عليه، فإن العين حق » (٤).

ويذكر عنه ﷺ أنه قال: « من رأى شيئاً فأعجبه فقال: ما شاء اللّه ، لا قوة إلا بالله لم يضره (٥) .

ويذكر عنه ﷺ فيمن خاف أن يصيب شيئاً بعينه قال : « اللهم بارك لنا فيه ولا تضره » (٦).

وقال أبو سعيد :كان رسول الله ﷺ يتعوذ من الجانّ ،وعين الإنس، حتى نزلت

---

(١) مسلم (١٣٧٣ / ٤٧٣) فى الحج ، باب: فضل المدينة .
(٢) مسلم (٢١٨٨ / ٤٢) فى السلام ، باب: الطب والمرض والرقى، وأحمد ١/ ١٧٤ .
(٣) الوابل الصيب (٣٠٥ ، ٣٠٦) .
(٤) أحمد ٣/ ٤٨٦ ، والحاكم فى المستدرك ٣/ ٤١١ ، ٤١٢ وقال : « على شرط الشيخين ولم يخرجاه » ،وسكت عنه الذهبى .
(٥) الأذكار للنووى (٨٤٠) .
(٦) الأذكار للنووى (٨٣٩) .

المعوذتان ، فلما نزلتا أخذ بهما وترك ما سواهما ». قال الترمذى : حديث حسن ، ورواه ابن ماجه فى سننه» (١) (٢).

فصل
فى الفأل والطيرة

قال النبى ﷺ: لا عدوى ولا طيرة ، وأصدقُها الفألُ »قيل: وما الفأل ؟ قال: «الكلمة الحسنة يسمعها الرجل » (٣).

وكان النبى ﷺ يعجبه الفأل.

كما كان فى سفر الهجرة فلقيهم رجل فقال: « ما اسْمُك » ؟ قال بريدة .قال «برُد أمرنا»(٤).

وقال ﷺ: « رأيتُ فى منامى ،كأنّى فى دار عُقبة بن رافع ،وأتينا برطب من رطب ابن طاب، فأولتهما الرفعة لنا فى الدنيا، والعاقبة لنا فى الآخرة ،وأن ديننا قد طاب »(٥).

وأما الطيرة: فقال معاوية بن الحكم قلت : يا رسول اللّه ، منا رجال يتطيرون. قال : « ذلك شىء تجدونه فى صدوركم فلا يصدنكم » وهذه الأحاديث فى« الصحاح»(٦).

وعن عقبة بن عامر قال : سئل رسول اللّه ﷺ عن الطيرة فقال: أصدقُها الفأل، ولا تردّ مسلما، وإذا رأيتم من الطيرة شيئاً تكرهونه، فقولوا: اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت،ولا يذهب بالسيئات إلا أنت ، ولا حول ولا قوة إلا بالله» (٧) (٨).

---

(١) الترمذى (٢٠٥٨) فى الطب ، باب: الرقية بالمعوذتين ، وابن ماجه (٣٥١١) فى الطب ، باب: من استرقى من العين .

(٢) الوابل الصيب (٣٠٥ ـ ٣٠٧)

(٣) البخارى (٥٧٥٥) فى الطب ، باب : الفأل ، ومسلم (٢٢٢٣ / ١١٠) فى السلام ، باب : الطيرة والفأل ، وأبو داود (٣٩١٦) فى الطب، باب: فى الطيرة .

(٤) الاستيعاب بهامش الإصابة (١/ ١٧٤ ، ١٧٥) ،وأسد الغابة (١/ ١٧٦) .

(٥) مسلم (٢٢٧٠ / ١٨) فى الرؤيا،باب: رؤيا النبى ﷺ ،وأبو داود (٥٠٢٥) فى الأدب،باب:ما جاء فى الرؤيا .

(٦) مسلم (٥٣٧ / ٣٣) فى المساجد ومواضع الصلاة ، باب: تحريم الكلام فى الصلاة، ونسخ ما كان من إباحة، وأبو داود (٩٣٠) فى الصلاة ،باب: تشميت العاطس فى الصلاة ، والنسائى (١٢١٨) فى السهو، باب : الكلام فى الصلاة .

(٧) ابن أبى شيبة (١٠ /٣٣٥ ، ٣٣٦) فى الدعاء ، باب: ما يقول الرجل إذا تطيره ، وهو عن عروة بن عامر وليس عقبة بن عامر .

(٨) الوابل الصيب (٣٠٨ ـ ٣١٠) .

وأيضاً

ذكر عنه ﷺ أنه ذكرت الطيرةُ عنده ، فقال : « أحسنُها الفأل ولا تردُّ مسلماً ، فإذا رأيت من الطيرة ما تكره فقل : اللهم لا يأتى بالحسنات إلا أنت ،ولا يدفع السيئات إلا أنت، ولا حول ولا قوة إلا بك »[١].

وكان كعب يقول: اللهم لا طير إلا طيرك، ولا خير إلا خيرك ،ولا رب غيرك ، ولا حول ولا قوة إلا بك ، والذى نفسى بيده ، إنها لرأسُ التوكل ، وكنز العبد فى الجنة، ولا يقولهن عبد عند ذلك ، ثم يمضى إلا لم يضره شىء[٢].

فصل
فى الحمام

يذكر عن أبى هريرة أنه قال: نعم البيت الحمَّام يدخلُه المسلم ، إذا دخله سأل الله الجنة ،واستعاذ به من النار .

فصل
فى الذكر عند دخول الخلاء والخروج منه

فى « الصحيحين » عن أنس رضي الله عنه قال: كان النبى ﷺ إذا دخل الخلاء قال: « اللهم إنى أعوذ بك من الخبث والخبائث »[٣]وزاد سعيد بن منصور« بسم الله ».

وفى« مسند الإمام أحمد » عن زيد بن أرقم قال: قال رسول الله ﷺ:« إن هذه الحشوش محتضرة ، فإذا أتى أحدكم الخلاء فليقل : أعوذ بالله من الخبث والخبائث »[٤].

---

(١) أبو داود (٣٩١٩) فى الطب ، باب: فى الطيرة .

(٢) زاد المعاد (٢/ ٤٥٧) .

(٣) البخارى (١٤٢) فى الوضوء، باب: ما يقول عند الخلاء ، ومسلم (٣٧٥/ ١٢٢) فى الحيض ، باب: ما يقول إذا أراد دخول الخلاء .

(٤) أحمد (٤/ ٣٦٩) .

وفى « سنن ابن ماجه» عن أبى أمامة أن رسول الله ﷺ قال:« لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول: اللهم إنى أعوذ بك من الرجس والنجس الخبيث المخبث الشيطان الرجيم » (١).

وفى الترمذى عن على رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ :« سترُ ما بين الجنّ وعورات بنى آدم إذا دخل الكنيف أن يقول :« بسم الله » (٢) .

وقالت عائشة : كان رسول الله ﷺ إذا خرج من الغائط قال:« غُفرانك » رواه الإمام أحمد وأهل السنن (٣).

وفى« سنن ابن ماجه » عن أنس رضي الله عنه :كان النبى ﷺ إذا خرج من الخلاء قال: «الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى وعافانى » (٤) (٥) .

وأيضاً

ثبت عنه فى « الصحيحين » أنه كان يقول عند دخوله الخلاء: « اللهم إنى أعوذ بك من الخُبث والخبائث » (٦).

وذكر أحمد عنه أنه أمر من دخل الخلاء أن يقول ذلك (٧).

ويُذكر عنه:« لا يعجز أحدكم إذا دخل مرفقه أن يقول:« اللهم إنى أعوذ بك من الرجس النجس ،الخبيث المخبث الشيطان الرجيم »(٨).

ويذكر عنه ﷺ قال:« سترُ ما بين الجنّ وعورات بنى آدم إذا دخل أحدكم الكنيف أن يقول : بسم الله » (٩).

---

(١) ابن ماجه (٢٩٩) فى الطهارة وسننها، باب:ما يقول الرجل إذا دخل الخلاء،وفى الزوائد :« إسناده ضعيف ».

(٢) الترمذى (٦٠٦) فى الصلاة ، باب: ما ذكر من التسمية عند دخول الخلاء ، وقال : « غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

(٣) أحمد (٦/ ١٥٥) وأبو داود (٣٠) فى الطهارة ، باب:ما يقول الرجل إذا خرج من الخلاء ،والترمذى (٧) فى الطهارة ، باب :ما يقول إذا خرج من الخلاء ، وقال: « حسن غريب » ،وابن ماجه(٣٠٠) فى الطهارة وسننها، باب: ما يقول إذا خرج من الخلاء.

(٤) ابن ماجه (٣٠١) فى الطهارة وسننها ، باب: ما يقول إذا خرج من الخلاء .

(٥) الوابل الصيب (٣١٠ ـ ٣١٣) .

(٦، ٧) سبق تخريجهما بالصفحة السابقة .

(٨، ٩) سبق تخريجهما بنفس الصفحة .

وثبت عنه ﷺ أن رجلاً سلَّم عليه وهو يبول فلم يرد عليه (١).

وأخبر أن الله ـ سبحانه ـ يمقت الحديث على الغائط: فقال: «لا يخرج الرجلان يضربان الغائط كاشفين عن عورتهما يتحدثان، فإن الله عز وجل يمقت على ذلك» (٢) (٣).

وكان إذا خرج من الخلاء قال: « غفرانك »، ويذكر عنه أنه كان يقول: «الحمد لله الذى أذهب عنى الأذى، وعافانى ». ذكره ابن ماجه(٤) (٥).

فصل
فى الذكر عند إرادة الوضوء

ثبت فى النسائى عنه ﷺ أنه وضع يده فى الجفنة وقال: « توضؤوا ببسم الله» (٦).

وفى « صحيح مسلم» عن جابر رضي الله عنه فى حديثه الطويل، وفيه: « يا جابر، ناد بوضوء» فقلت: ألا وضوء؟ ألا وضوء ؟ ألا وضوء؟ وفيه فقال: « خُذ يا جابر فصُبّ علىّ وقلْ: بسم الله » فصببت عليه، وقلت: بسم الله، فرأيت الماء يفور من بين أصابع رسول الله ﷺ (٧).

وفى « المسند »و « السنن » من حديث سعيد بن زيد عن النبى ﷺ: « لا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه »(٨).

قال البخارى: هذا أحسن شىء فى هذا الباب.

وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله ﷺ« لا صلاة لمن لاوضوء له، ولا وضوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » رواه الإمام أحمد وأبو داود (٩).

وفى « المسند » من حديث أبى سعيد رضي الله عنه عن النبى ﷺ : لا وضوء لمن لم

---

(١) مسلم (٣٧٠ / ١١٥) فى الحيض ، باب : التيمم ، وأبو داود (١٧) فى الطهارة ، باب: أيرد السلام وهو يبول ؟ ، والترمذى(٩٠) فى الطهارة ، باب: فى كراهة رد السلام غير متوضئ .

(٢) أبو داود (١٥) فى الطهارة ، باب: كراهية الكلام عند الحاجة ،وأحمد (٣/ ٣٦) .

(٣) زاد المعاد (٢/ ٣٨٣ ، ٣٨٤) .

(٤) سبق تخريجه بالصفحة السابقة . (٥) زاد المعاد (٢/ ٣٨٦ ، ٣٨٧) .

(٦) النسائى (٧٨) فى الطهارة ، باب : التسمية عند الوضوء .

(٧) مسلم (٣٠١٣) فى الزهد والرقائق ، باب: حديث جابر الطويل ، وقصة أبى اليسر .

(٨) أحمد (٢ / ٤١٨) ،والترمذى (٢٥) فى الطهارة ، باب : فى التسمية عند الوضوء ، وابن ماجه (٣٩٨) فى الطهارة وسننها ،باب: ما جاء فى التسمية فى الوضوء .

(٩) أحمد (٢/ ٤١٨) ،وأبو داود (١٠١) فى الطهارة ،باب: التسمية على الوضوء .

يذكر اسم الله عليه » (١).

فصل
فى الذكر بعد الفراغ من الوضوء

روى مسلم فى«صحيحه » عن عمر بن الخطاب عن النبى ﷺ قال:« ما منكم من أحد يتوضأ فيُبلِغُ ـ أو فيُسبغ ـ الوضوء ثم يقول:« أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله إلا فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء»(٢).

وزاد فيه الترمذى بعد ذكر الشهادتين « اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين» (٣).

وفى بعض طرقه ذكرها أبو داود والإمام أحمد : « فأحسن الوضوء ثم رفع نظره إلى السماء فقال . . . » وذكره(٤).

وفى لفظ للإمام أحمد :« من توضأ فأحسن الوضوء ثم قال ثلاث مرات :أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . . . » (٥).

وفى « سنن النسائى» عن أبى سعيد الخدرى قال:«من توضأ ففرغ من وُضوئه وقال: «سبحانك اللهم وبحمدك ، أشهد أن لا إله إلا أنت ، أستغفرك وأتوب إليك، طُبع عليها، بطابع ،ثم رفعت تحت العرش فلم تكسر إلى يوم القيامة ».هكذا رواه من قول أبى سعيد رضي الله عنه (٦). ورواه بقى بن مخلد فى « مسنده » من حديثه أيضاً مرفوعاً .

وأما الأذكار التى يقولها العامة على الوضوء عند كل عضو فلا أصل لها عن رسول الله ﷺولا عن أحد من الصحابة والتابعين ولا الأئمة الأربعة، وفيها حديث كذب على رسول الله ﷺ (٧).

---

(١) أحمد (٣/ ٤١) .

(٢) مسلم (٢٣٤ / ١٧) فى الطهارة ، باب : الذكر المستحب عقب الوضوء .

(٣) الترمذى (٥٥) فى الطهارة ، باب: فيما يقال بعد الوضوء .

(٤) أبو داود (١٧٠) فى الطهارة ، باب: ما يقول الرجل إذا توضأ ، وأحمد (٤/ ١٥٠ ، ١٥١) .

(٥) أحمد (١/ ١٩ ، ٢٠) .

(٦) النسائى فى الكبرى (٩٩٠٩) فى عمل اليوم والليلة، باب: ما يقول إذا فرغ من وضوئه .

(٧) الوابل الصيب (٣١٣ ـ ٣١٦) .

وأيضاً

ثبت عنه ﷺ أنه وضع يديه فى الإناء الذى فيه الماء ،ثم قال للصحابة : « توضؤوا بسم الله » (١) .

وثبت عنه أنه قال لجابر رضي الله عنه « نادِ بوضوء » فجىء بالماء ، فقال: « خذ يا جابر فصب علىّ وقلْ بسم الله » قال: فصببتُ عليه ، وقلتُ : بسم الله ، قال: فرأيت الماء يفور من بين أصابعه (٢).

وذكر أحمد عنه من حديث أبى هريرة ، وسعيد بن زيد ، وأبى سعيد الخدرى رضي الله عنهم : « لا وضُوء لمن لم يذكر اسم الله عليه » (٣).

وفى أسانيدها لين .

وصحَّ عنه ﷺ أنه قال:« من أسبغ الوضوء ثُم قال : أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله ، فتحت له أبواب الجنة الثمانية يدخل من أيها شاء » ذكره مسلم(٤) .

وزاد الترمذى بعد التشهد:« اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين » (٥) وزاد الإمام أحمد : ثم رفع نظره إلى السماء(٦) وزاد ابن ماجه مع أحمد قول ذلك ثلاث مرات.

وذكر بقىّ بن مخلد فى « مسنده » من حديث أبى سعيد الخدرى مرفوعاً :« من توضأ ففرغ من وضوئه ، ثم قال : سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك ، كتب فى رق وطبع عليها بطابع ، ثم رُفعت تحت العرش فلم يكسر إلى يوم القيامة ». ورواه النسائى فى كتابه الكبير من كلام أبى سعيد الخدرى(٧)،وقال النسائى : باب ما يقول بعد فراغه من وضوئه فذكر بعض ما تقدم. ثم ذكر بإسناد صحيح من حديث أبى موسى الأشعرى قال: أتيتُ رسول الله ﷺ بوضوءٍ فتوضأ ، فسمعته يقول ويدعو : اللهم اغفر لى ذنبى ، ووسع لى فى دارى ، وبارك لى فى رزقى » ، فقلتُ: يا نبى الله ، سمعتك تدعو بكذا وكذا ، قال : « وهل تركت من شىء ؟ » وقال ابن السنى : باب ما

(١ ـ ٣) سبق تخريجها ص ٣٧٥ .

(٤ ـ ٧) سبق تخريجها بالصفحة السابقة .

يقول بين ظهراني وضوئه . . . فذكره (١) (٢) .

فصل
في ذكر صلاة الجنازة

في« صحيح مسلم » عن عوف بن مالك قال :صلى رسول الله ﷺ على جنازة ، فحفظت من دعائه وهو يقول: « اللهم اغفر له وارحمه، وعافه واعف عنه ، وأكرم نزله ، ووسع مدخله ،واغسله بالماء والثلج والبرد ،ونقه من الذنوب والخطايا كما ينقى الثوب الأبيض من الدنس ،وأبدله داراً خيراً من داره ،وأهلا خيراً من أهله،وزوجاً خيراً من زوجه ، وأدخله الجنة ،وأعذه من عذاب القبر» قال: حتى تمنيتُ أن أكون أنا ذلك الميت، لدعاء رسول الله ﷺ .وفي لفظ : « وقه فتنة القبر وعذاب النار » (٣).

وفي « سنن أبي داود » عن أبي هريرة قال: صلى رسول الله ﷺ على جنازة فقال: «اللهم اغفر لحيِّنا وميِّتنا ،وشاهدنا وغائبنا، وصغيرنا وكبيرنا ،وذكرنا وأنثانا، اللهم من أحييته منا ، فأحيه على الإسلام ، ومن توفيته منا فتوفه على الإيمان،اللهم لا تحرمنا أجره، ولا تضلنا بعده » (٤).

وفي «سنن أبي داود » أيضاً عن واثلة بن الأسقع قال : صلى رسول الله ﷺ على رجل من المسلمين فسمعته يقول:« اللهم إن فُلان بن فلان في ذمتك وحبل جوارك ، فقه فتنة القبر وعذاب النار ، وأنت أهل الوفاء والحمد ، اللهم فاغفر له وارحمه ، إنك أنت الغفور الرحيم » (٥).

وسأل مروان أبا هريرة : كيف سمعت رسول الله ﷺ يصلي على الجنازة ؟ قال: «اللهم أنت ربُّها ،وأنت خلقتها ، وأنت هديتها للإسلام ،وأنت قبضت روحها ،وأنت أعلم بسرها وعلانيتها ،جئناك شُفعاء فاغفر له » رواه الإمام أحمد وأبو داود (٦).

---

(١) النسائي في الكبرى (٩٩٠٨) في عمل اليوم والليلة ، باب: ما يقول إذا توضأ .
(٢) زاد المعاد (٣٨٧ ـ ٣٨٩)
(٣) مسلم (٩٦٣ / ٨٥ ، ٨٦) في الجنائز ، باب : الدعاء للميت في الصلاة .
(٤) أبو داود (٣٢٠١) في الجنائز ، باب: الدعاء للميت .
(٥) أبو داود (٣٢٠٢) في الجنائز ، باب: الدعاء للميت .
(٦) أحمد (٢/ ٢٥٦) ، وأبو داود (٣٢٠٠) في الجنائز ، باب: الدعاء للميت .

فصل
فى الذكر إذا قال هجراً أو جرى على لسانه ما يسخط ربه عز وجل

ثبت عن النبى ﷺ أنه قال :« من حلف منكم فقال فى حلفه :واللات والعزى، فليقل : لا إله إلا الله، ومن قال لصاحبه : تعال أقامرك ، فليتصدق » (١).

فكل من حلف بغير الله فهذه كفارته ؛ لأن النبى ﷺ قال: « من حلف بغير اللّه فقد أشرك » حديث صحيح (٢).

وكفارة الشرك : التوحيد ، وهو كلمة« لا إله إلا الله ».ومن قال : تعال أقامرك،فقد تكلم بهجر وفحش يتضمن أكل المال وإخراجه بالباطل ، وكفارة هذه الكلمة بضد القمار ، وهو إخراج المال فى أحق مواضعه وهو الصدقة.

وقال مصعب بن سعد بن أبى وقاص عن أبيه :حلفتُ باللات والعزى ـ وكان العهد قريباً ـ فذكرت ذلك للنبى ﷺ فقال:« قد قُلت هُجراً ، قُل: لا إله إلا اللّه وحده لا شريك له ، وانفُثْ عن يسارك سبعاً ،ولا تعد » (٣).

فصل
فيما يقول من اغتاب أخاه المسلم

يذكر عن النبى ﷺ:أن كفارة الغيبة أن تستغفر لمن اغتبته تقول:«اللهم اغفر لنا وله» ذكره البيهقى فى كتاب « الدعوات الكبير » وقال:فى إسناده ضعف .

---

(١) البخارى (٦٦٥٠) فى الأيمان والنذور ، باب: لا يحلف باللات والعزى، ومسلم (١٦٤٧ / ٥) فى الأيمان ، باب: من حلف باللات والعزى ، فليقل: لا إله إلا الله ، وأبو داود (٣٢٤٧) فى الأيمان. ، باب : فى كراهية الحلف بالآباء .

(٢) أبو داود (٣٢٥١) فى الأيمان والنذور ، باب: فى كراهية الحلف بالآباء ، والترمذى (١٥٣٥) فى النذور والأيمان ، باب: ما جاء فى كراهية الحلف بغير الله ،وقال : «حسن » .

(٣) النسائى (٣٧٧٦) فى الأيمان والنذور ،باب: الحلف باللات والعزى ، وابن ماجه (٢٠٩٧) فى الكفارات باب: النهى أن يحلف بغير الله ، وأحمد (١/ ١٨٣) ، وكلهم بلفظ : « ثم انفث عن يسارك ثلاثاً » بدل « سبعاً ».

وهذه المسألة فيها قولان للعلماء ـ هما روايتان عن الإمام أحمد ـ وهما هل يكفى فى التوبة من الغيبة الاستغفار للمغتاب ، أم لا بد من إعلامه وتحليله ؟

والصحيح أنه لا يحتاج إلى إعلامه ، بل يكفيه الاستغفار له وذكره بمحاسن ما فيه فى المواطن التى اغتابه فيها . وهذا اختيار شيخ الإسلام ابن تيمية وغيره .

والذين قالوا : لا بد من إعلامه، جعلوا الغيبة كالحقوق المالية ، والفرق بينهما ظاهر ، فإن الحقوق المالية ينتفع المظلوم بعود نظير مظلمته إليه فإن شاء أخذها وإن شاء تصدق بها.

وأما فى الغيبة،فلا يمكن ذلك ،ولا يحصل له بإعلامه إلا عكس مقصود الشارع ﷺ، فإنه يوغر صدره ويؤذيه إذا سمع ما رمى به ، ولعله يهيج عداوته ولايصفو له أبداً ، وما كان هذا سبيله ، فإن الشارع الحكيم ﷺ لا يبيحه ولا يجوزه ، فضلاً عن أن يوجبه ويأمر به ، ومدار الشريعة على تعطيل المفاسد وتقليلها ،لا على تحصيلها وتكميلها ، والله تعالى أعلم .

فصل
فيما يقال ويفعل عند كسوف الشمس وخسوف القمر

فى « الصحيحين » عن عائشة رضي الله عنها عن النبى ﷺ قال:«إنّ الشمس والقمر لا ينخسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فكبروا ،وادعوا الله وصلوا وتصدقوا »[1].

وفى « صحيح مسلم » عن عبد الرحمن بن سمرة قال : بينما أنا أرمى بأسهم لى فى حياة رسول اللّه ﷺ إذ كسفت الشمس ، فنبذتهن وقلت : لأنظرنّ إلى ما يحدث لرسول الله ﷺ فى انكساف الشمس اليوم ،فانتهيت إليه وهو رافع يديه يدعو ويكبر ويحمد ويهلل ويدعو ،حتى جُلّى عن الشمس ، فقرأ بسورتين وركع ركعتين[2] .

والنبى ﷺ أمر فى الكسوف بالصلاة والعتاقة،والمبادرة إلى ذكر الله تعالى ، والصدقة، فإن هذه الأمور تدفع أسباب البلاء .

---

(١) البخارى (١٠٥٨) فى الكسوف ، باب: لا تنكسف الشمس لموت أحد ولا لحياته ، ومسلم (١/٩٠١) فى الكسوف ، باب : صلاة الكسوف .

(٢) مسلم (٩١٣ / ٢٥) فى الكسوف ، باب: ذكر النداء بصلاة الكسوف.

فصل
فيما يقول من ضاع له شيء ويدعو به

ذكر على بن المدينى عن سفيان عن ابن عجلان عن عمر بن كثير بن أفلح قال: كان ابن عمر يقول للرجل إذا أضل شيئاً : قل : اللهم رب الضالة ،هادى الضالة، تهدى من الضلالة ، رُد على ضالتى بقدرتك وسلطانك ،فإنها من عطائك وفضلك .

وفى وجه آخر : سئل ابن عمر رضي الله عنه عن الضالة فقال : يتوضأ ويصلى ركعتين ، ثم يتشهد ، ثم يقول : اللهم راد الضالة ، هادى الضلالة ، تهدى من الضلال ، رُد علىّ ضالتى بعزك وسلطانك ، فإنها من فضلك وعطائك ، قال البيهقى : هذا موقوف ، وهو حسن.

وقد قيل : إن من ضاع له شيء فقال : يا جامع الناس ليوم لا ريب فيه رد علىّ ضالتى ، ردها الله تعالى عليه .

فصل
فى عقد التسبيح بالأصابع وأنه أفضل من السبحة

روى الأعمش عن عطاء بن السائب عن أبيه عن عبد الله بن عمرو قال: « رأيت رسول الله يعقد التسبيح بيمينه »، رواه أبو داود (١).

وروت يسيرة إحدى المهاجرات رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: « عليكن بالتسبيح والتهليل والتقديس ، ولا تغفلن فتنسين الرحمة ، واعقدن بالأنامل فإنهن مسؤولات ومستنطقات» (٢).

---

(١) أبو داود (١٥٠٢) فى الصلاة ، باب: التسبيح بالحصى .

(٢) الترمذى (٣٥٨٣) فى الدعوات ، باب: فى فضل التسبيح والتهليل والتقديس . وقال : « غريب » .

فصل
فيما يقال لمن حصل له وحشة

روينا فى « معجم الطبرانى » عن البراء بن عازب أن رجلاً اشتكى إلى رسول اللّه ﷺ الوحشة ، فقال : « قلْ : سبحان اللّه الملك القدوس، رب الملائكة والروح، جُلّلت السموات والأرض بالعزة والجبروت » فقالها الرجل ، فأذهب الله عنه الوحشة [١].

فصل
فى الذكر الذى يقوله أو يقال له
إذا لبس ثوباً جديداً

عن أبى نضرة عن أبى سعيد الخدرى قال: كان رسول اللّهﷺ إذا استجدّ ثوباً سماه باسمه قميصاً أو إزاراً أو عمامة يقول: « اللهم لك الحمد أنت كسوتنيه ، أسألك من خيره وخير ما صُنع له ، وأعوذ بك من شره وشر ما صُنع له »[٢].

قال أبو نضرة : وكان أصحاب رسول اللّه ﷺ إذا رأى أحدهم على صاحبه ثوباً قال: تبلى ويخلف الله تعالى . ذكره البيهقى .

وعن سهل بن معاذ بن أنس عن أبيه أن رسول اللّه ﷺ قال: « من لبس ثوباً جديداً فقال :الحمد للّه الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حول منى ولا قوة ، غُفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » [٣] [٤].

وأيضاً

كان ﷺ إذا استجد ثوباً سمّاه باسمه ، عمامة ، أو قميصاً ، أو رداء ، ثم يقول: «اللهم لك الحمدُ ،أنت كسوتنيه ، أسألك خيره، وخير ما صنع له ،وأعوذ بك من شرّه ،

---

(١) الطبرانى فى الكبير ٢/ ٢٤ (١١٧١) ، وقال الهيثمى فى المجمع (١٠/ ١٣١) :« فيه محمد بن أبان الجعفى، وهو ضعيف » .

(٢) أبو داود (٤٠١٦) فى اللباس،فى فاتحته ،والترمذى (١٧٦٧) فى اللباس ، باب : ما يقول إذا لبس ثوبًا جديدًا ، وقال « حسن غريب صحيح » والنسائى فى الكبرى ، فى عمل اليوم والليلة ، باب : ما يقول إذا استجد ثوبا (١٠١٤١ / ١) بنحوه .

(٣) أبو داود (٤٠٢٣) فى أول كتاب اللباس .

(٤) الوابل الصيب (٣١٧ ـ ٣٢٨) .

وشر ما صُنع له » حديث صحيح[١].

ويذكر عنه أنه قال: « من لبس ثوباً فقال: الحمد للّه الذى كسانى هذا ورزقنيه من غير حولٍ منى ولا قوة، غفر الله له ما تقدم من ذنبه »[٢].

وفى «جامع الترمذى» عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «من لبس ثوباً جديداً فقال: الحمد للّه الذى كسانى ما أُوارى به عورتى ، وأتجمل به فى حياتى ، ثم عمد إلى الثوب الذى أخلق فتصدق به ، كان فى حفظ الله ، وفى كنف الله، وفى سبيل الله ، حيًا وميتًا »[٣].

وصح عنه أنه قال لأم خالد لما ألبسها الثوب الجديد :«أبلى وأخلقى ، ثم أبلى وأخلقى » مرتين [٤].

وفى «سنن ابن ماجه » أنه ﷺ رأى على عُمر ثوباً فقال:«أجديدٌ هذا ، أم غسيلٌ ؟» فقال: بل غسيل ،فقال: «ألبسْ جديداً ، وعش حميداً ، ومُت شهيداً » [٥] [٦].

فصل
فيما يقال عند رؤية الفجر

روى ابن وهب عن سليمان بن بلال عن سهيل بن أبى صالح عن أبيه عن أبى هريرة قال : كان رسول اللّه ﷺ إذا كان فى سفر فبدا له الفجر قال:« سمع سامع بحمد اللّه ونعمته وحُسن بلائه علينا ، ربنا صاحبنا فأفضل علينا ، عائذا باللّه من النار »يقول ذلك ثلاث مرات ، ويرفع بها صوته . هذا إسناد صحيح على شرط مسلم[٧] [٨] .

(١ ، ٢) سبق تخريجهما بالصفحة السابقة .

(٣) الترمذى (٣٥٦٠) فى الدعوات ، باب : ١٠٨ ، وقال: «غريب ».

(٤) البخارى (٥٨٤٥) فى اللباس ، باب: ما يدعى لمن لبس ثوباً جديداً .

(٥) ابن ماجه (٣٥٥٨) فى اللباس، باب:ما يقول الرجل إذا لبس ثوباً جديداً ،وفى الزوائد:« إسناده صحيح» .

(٦) زاد المعاد (٢/ ٣٧٩ ، ٣٨٠) .

(٧) مسلم (٢٧١٨ / ٦٨) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: التعويذ من شر ما عمل ومن شر ما لم يعمل ، وأبو داود (٥٠٨٦) فى الأدب ، باب: ما يقول إذا أصبح ،والحاكم فى المستدرك(١/ ٤٤٦) فى المناسك، باب: الدعاء عند بدء الفجر فى السفر ، واللفظ للحاكم .

(٨) الوابل الصيب (٣٢٨) .

فصل
فيما يقوله من رأى ما يحب أو ما يكره

وكان ﷺ إذا رأى ما يحب ، قال : « الحمد لله الذى بنعمته تتم الصالحات ». وإذا رأى ما يكره ، قال : « الحمد لله على كل حال »(١) (٢) .

فصل
فيما يقوله ويفعله من ابتلى بالوسواس ، وما يستعين به على الوسوسة

روى صالح بن كيسان ، عن عبيد الله بن عبد الله بن عتبة بن مسعود ، عن ابن مسعود يرفعه: « إن للملك الموكل بقلب ابن آدم لَمّة ،وللشيطان لَمّة،فلمّه : الملك إيعاد بالخير، وتصديق بالحق ،ورجاء صالح ثوابه ،ولمة الشيطان ، إيعاد بالشر ،وتكذيب بالحق، وقنوط من الخير ،فإذا وجدتم لمة الملك ، فاحمدوا الله ، وسلوه من فضله ، وإذا وجدتم لَمّة الشيطان ، فاستعيذوا بالله واستغفروه »(٣) .

وقال له عثمان بن أبى العاص : يا رسول الله ، إن الشيطان قد حال بينى وبين صلاتى وقراءتى ، قال: « ذاك شيطان يقال له : خنزَبُ ، فإذا أحسستُه ،فتعوذْ بالله منه ، واتفُل عن يسارك ثلاثاً » (٤).

وشكى إليه الصحابة أن أحدهم يجد فى نفسه ـ يُعرض بالشىء ـ لأن يكون حُمَمَةً أحبُّ إليه من أن يتكلم به ، فقال:« الله أكبر الله أكبر، الحمد لله الذى رد كيده إلى الوسوسة» (٥).

وأرشد من بُلى بشىء من وسوسة التسلسل فى الفاعلين ، إذا قيل له :هذا الله خلق الخلق ،فمن خلق الله؟ أن يقرأ :﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ(٣) ﴾ [الحديد] .

---

(١) ابن ماجه (٣٨٠٣) فى الأدب ، باب :فضل الحامدين ، وفى الزوائد :« إسناده صحيح، ورجاله ثقات ».
(٢) زاد المعاد (٢/ ٤٦٤).
(٣) الترمذى (٢٩٨٨) فى تفسير القرآن ، باب: ومن سورة البقرة، وقال: « حسن غريب » ، وابن جرير فى التفسير (٣/ ٥٩) .
(٤) مسلم (٢٢٠٣ / ٦٨) فى السلام ، باب: التعوذ من شيطان الوسوسة فى الصلاة ،وأحمد (٤/ ٢١٦) .
(٥) أبو داود (٥١١٢) فى الأدب باب: فى رد الوسوسة ، وأحمد (١/ ٣٤٠) .

كذلك قال ابن عباس لأبى زُميل سماك بن الوليد الحنفى وقد سأله: ما شىء أجده فى صدرى ؟ قال: ما هو؟ قال: قلت: والله لا أتكلم به قال: قال لى: أشىء من شك؟ قلت: بلى ، فقال لى: ما نجا من ذلك أحد، حتى أنزل الله عز وجل: ﴿ فَإِن كُنتَ فِي شَكٍّ مِّمَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ فَاسْأَلِ الَّذِينَ يَقْرَءُونَ الْكِتَابَ مِن قَبْلِكَ ﴾[يونس: ٩٤] قال: فقال لى: فإذا وجدت فى نفسك شيئاً ، فقل: ﴿ هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٣﴾ ﴾ (١).

فأرشدهم بهذه الآية إلى بطلان التسلسل الباطل ببديهة العقل ،وأن سلسلة المخلوقات فى ابتدائها تنتهى إلى أول ليس قبله شىء . كما تنتهى فى آخرها إلى آخر ليس بعده شىء، كما أن ظهوره هو العلو الذى ليس فوقه شىء ،وبطونه هو الإحاطة التى لا يكون دونه فيها شىء ،ولو كان قبله شىء يكون مؤثراً فيه ، لكان ذلك هو الرب الخلاق،ولا بد أن ينتهى الأمر إلى خالق غير مخلوق ، وغنى عن غيره وكلُّ شىء موجود به. قديم لا أول له ، وكلُّ ما سواه فوجوده بعد عدمه ،باق بذاته ،وبقاء كل شىء به ،فهو الأول الذى ليس قبله شىء ، والآخر الذى ليس بعده شىء ، الظاهر الذى ليس فوقه شىء ، الباطن الذى ليس دونه شىء .

وقال ﷺ :« لا يزال الناس يتساءلون حتى يقول قائلهم : هذا الله خلق الخلق ، فمن خلق الله؟ فمن وجد من ذلك شيئاً ، فليستعذْ بالله وليُنته» (٢) ،وقد قال تعالى: ﴿وَإِمَّا يَنزَغَنَّكَ مِنَ الشَّيْطَانِ نَزْغٌ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿٣٦﴾ ﴾ [فصلت] .

ولما كان الشيطان على نوعين: نوع يُرى عياناً ،وهو شيطان الإنس ، ونوع لا يُرى ، وهو شيطان الجن ، أمر سبحانه وتعالى نبيه ﷺ أن يكتفى من شر شيطان الإنس بالإعراض عنه،والعفو ،والدفع بالتى هى أحسن، ومن شيطان الجن بالاستعاذة منه ،وجمع بين النوعين فى سورة الأعراف ، وسورة المؤمنين ، وسورة فصلت ، والاستعاذة فى القراءة والذكر أبلغ فى دفع شر شياطين الجن، والعفو والإعراض والدفع بالإحسان أبلغ فى دفع شر شياطين الإنس ، قال:

فما هو إلا الاستعاذة ضارعاً ... أو الدفع بالحسنى هُما خير مطلوب

فهذا دواءُ الدّاء من شرّ ما يرى ... وذاك دواء الداء من شر محجوب(٣)

---

(١) أبو داود (٥١١٠) فى الأدب ، باب : فى رد الوسوسة .

(٢) البخارى (٣٢٧٦) فى بدء الخلق ، باب: صفة إبليس وجنوده ، ومسلم (١٣٤/ ٢١٢) فى الإيمان، باب : بيان الوسوسة ،وأبو داود (٤٧٢١) فى السنة ، باب: فى الجهمية .

(٣) زاد المعاد (٢/ ٤٦٠ ـ ٤٦٣) .

فصل
فى الإكثار من الذكر فى عشر ذى الحجة

وكان ﷺ يُكثر الدعاء فى عشر ذى الحجة ، ويأمر فيه بالإكثار من التهليل والتكبير والتحميد .

ويُذكر عنه أنه كان يُكبّر من صلاة الفجر يوم عرفة إلى العصر من آخر أيام التشريق ، فيقول: « اللّه أكبر ، اللّه أكبر ، لا إله إلا اللّه ، واللّه أكبر ، الله أكبر وللّه الحمد»(١)، وهذا وإن كان لا يصح إسناده فالعمل عليه ، ولفظه هكذا يشفع التكبير وأما كونه ثلاثا ، فإنما رُوى عن جابر وابن عباس من فعلهما ثلاثاً فقط ، وكلاهما حسن. قال الشافعى: إن زاد فقال: اللّه أكبر كبيراً،والحمد للّه كثيراً ،وسبحان الله بكرة وأصيلاً لا إله إلا اللّه ، ولا نعبد إلا إياه،مخلصين له الدين ولوكره الكافرون، لا إله إلا الله وحده ،صدق وعده ، ونصر عبده، وهزم الأحزاب وحده ، لا إله إلا الله والله أكبر، كان حسناً (٢).

فصل
فى جوامع من أدعية النبى ﷺ
وتعوذاته لا غنى للمرء عنها

قالت عائشة : كان النبى ﷺ يحب الجوامع من الدعاء ويدع ما بين ذلك .

وفى المسند والنسائى وغيرهما :أن سعداً سمع ابناً له يقول: اللهم إنى أسألك الجنة وغُرفها وكذا وكذا،وأعُوذ بك من النار وأغلالها وسلاسلها ، فقال سعد رضي الله عنه : لقد سألت اللّه خيراً كثيراً ،وتعوذت من شر كثير،وإنى سمعت رسول اللّه ﷺ يقول:« سيكون قوم يعتدون فى الدعاء » وبحسبك أن تقول :اللهم إنى أسألك من الخير كله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشرّ كله ما علمت منه وما لم أعلم »(٣).

وفى « مسند الإمام » ،و « سنن النسائى » عن ابن عباس قال: كان من دعاء النبى

---

(١) الدارقطنى ٢/ ٥٠ (٢٩) فى العيدين .

(٢) زاد المعاد (٢/ ٣٩٥ ، ٣٩٦) .

(٣) أحمد (١/ ١٧٢) ، وأبو داود (١٤٨٠) فى الصلاة ، باب: الدعاء ولم يعزه صاحب التحفة (٣/ ٣٢٣) إلا لأبى داود.

ﷺ: «رب أعنّى ولا تُعن علىّ، وانصرنى ولا تنصر علىّ، وامكر لى ولا تمكر علىّ وانصرنى على من بغى علىّ، رب اجعلنى لك شكّاراً، لك ذكّاراً، لك رهّاباً، لك مطواعًا، لك مخْبتا، إليك أوّاها مُنيباً، رب تقبل توبتى، واغسل حوْبتى، وأجبْ دعوتى، وثبت حُجتى، واهد قلْبى، وسدد لسانى، واسلُل سخيمة قلْبى». هذا حديث صحيح ورواه الترمذى وحسنه وصححه (١).

وفى «الصحيحين» من حديث أنس بن مالك قال: كنت أخدم النبى ﷺ، فكنت أسمعه يكثر أن يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، والعجز والكسل، والبخل والجبن، وضلع الدين وغلبة الرجال» (٢).

وفى «صحيح مسلم» عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: لا أقول لكم إلا كما كان رسول الله ﷺ يقول: كان يقول: «اللهم إنى أعوذ بك من العجز والكسل والجُبن والبُخل والهرم وعذاب القبر، اللهم آت نفسى تقواها، وزكها أنت خير من زكاها وأنت وليها ومولاها، اللهم إنى أعوذ بك من قلب لا يخشع، ونفس لا تشبع، وعلم لا ينفع، ودعوة لا يستجاب لها» (٣).

وفى «الصحيحين» عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ كان يدعو: «اللهم أنى أعوذ بك من عذاب القبر، وأعوذ بك من فتنة المسيح الدجال، وأعوذ بك من فتنة المحيا والممات، اللهم إنى أعوذ بك من المأثم والمغرم» فقال له قائل: ما أكثر ما تستعيذ من المغرم يا رسول الله! فقال: «إن الرجل إذا غرم، حدث فكذب، ووعد فأخلف» (٤).

وفى «صحيح مسلم» عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان من دعاء النبى ﷺ: «اللهم إنى أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحوُّل عافيتك، ومن فُجاءة نقمتك، ومن جميع سخطك» (٥).

---

(١) أحمد (١/ ٢٢٧)، والنسائى فى الكبرى (١٠٤٤٣) فى عمل اليوم والليلة، باب: الاستنصار عند اللقاء، والترمذى (٣٥٥١) فى الدعوات، باب: فى دعاء النبى ﷺ.

(٢) البخارى (٦٣٦٩) فى الدعوات، باب: الاستعاذة من الجبن والكسل، ومسلم (٦/ ٢٧٠٦ / ٥٠) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من العجز والكسل وغيره، بمعناه، واللفظ للبخارى.

(٣) مسلم (٢٧٢٢ / ٧٣) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: التعوذ من شر ما عمل، ومن شر ما لم يعمل.

(٤) البخارى (٨٣٢) فى الأذان، باب: الدعاء قبل السلام، ومسلم (٥٨٩ / ١٢٩) فى المساجد ومواضع الصلاة، باب: ما يستعاذ منه فى الصلاة.

(٥) مسلم (٢٧٣٩ / ٩٦) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: أكثر أهل الجنة الفقراء، وأكثر أهل النار النساء.

وفى الترمذى عن عائشة قالت: قلت: يا رسول الله ،أرأيت إن وافقت ليلة القدر ما أسأل ؟ قال: « قولى :اللهم إنك عفوّ تُحب العفو فاعف عنى»قال الترمذى: صحيح(١).

وفى « مسند الإمام أحمد » عن أبى بكر الصديق،عن النبى ﷺ أنه قال: « عليكم بالصدق ،فإنه مع البر وهما فى الجنة ، وإياكم والكذب ، فإنه مع الفجور وهما فى النار،وسلوا الله المعافاة ، فإنه لم يؤت رجل بعد اليقين خيراً من المعافاة »(٢).

وفى « صحيح الحاكم » عن ابن عمر عن النبى ﷺ قال: « ما سئل الله عز وجل شيئاً أحب إليه من أن يسأل العافية » (٣) .

وذكر الفريابى فى كتاب الذكر من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه قال: جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال: أى الدعاء أفضل ؟ قال: « تسأل الله العفو والعافية ، فإذا أُعطيت ذلك فقد أفلحت»(٤).

وفى « الدعوات » للبيهقى عن معاذ بن جبل قال: مرّ رسول الله ﷺ برجل يقولُ : اللهم إنى أسألك الصبر ،قال: « سألت الله البلاء ، فسل العافية» ومر برجل يقولُ : اللهم إنى أسألك تمام النعمة ؟ فقال: « وما تمام النعمة»، قال: سألتُ وأنا أرجو الخير ، قال له: «تمام النعمة الفوز من النار ، ودُخول الجنة »(٥) .

وفى « صحيح مسلم » عن أبى مالك الأشجعى عن أبيه رضي الله عنه قال: كان رسول الله ﷺ يعلم من أسلم أن يقول: « اللهم اغفر لى،واهدنى،وارزقنى ،وعافنى،وارحمنى »(٦).

وفى « المسند » عن بسر بن أرطاة رضي الله عنه ،قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: « اللهم أحسن عاقبتنا فى الأمور كلها،وأجرنا من خزى الدنيا وعذاب الآخرة»(٧).

وفى « المسند » و « صحيح الحاكم » عن ربيعة بن عامر عن النبى ﷺ : ألظوا بياذا الجلال والإكرام » (٨) أى : الزموها وداوموا عليها .

---

(١) الترمذى (٣٥١٣) فى الدعوات ، باب: ٨٥ ، وقال : «حسن صحيح ».

(٢) أحمد (١/ ٥) .

(٣) الحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٨) فى الدعاء ، باب: من فتح له فى الدعاء منكم فتحت له أبواب الجنة ، وقال: «صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وتعقبه الذهبى وقال: المليكى ضعيف .

(٤) انظر : الترمذى (٣٥١٢) فى الدعوات ، باب: ٨٥ ، وقال : « حسن غريب من هذا الوجه » .

(٥) انظر : الترمذى (٣٥٢٧) فى الدعوات ، باب: ٩٤ ، وقال الترمذى : « حسن » .

(٦) مسلم (٢٦٩٧ / ٣٤ ، ٣٥) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء.

(٧) أحمد (٤/ ١٨١) .

(٨) أحمد (٤/ ١٧٧) ،والحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٨, ٤٩٩) فى الدعاء، باب: ألظوا بياذا الجلال والإكرام، وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

وفى «صحيح الحاكم» أيضاً عن أبى هريرة ،أن رسول الله ﷺ قال: لهم: « أتُحبون أيها الناس أن تجتهدوا فى الدعاء» ؟ قالوا : نعم يا رسول الله . قال : قولوا : اللهم أعنا على ذكرك وشكرك وحسن عبادتك » (١).

وفى الترمذى وغيره : أن النبى ﷺ أوصى معاذاً أن يقولها ، فى دبر كل صلاة (٢).

وفى « صحيحه » أيضاً : عن أنس قال: كنا مع النبى ﷺ فى حلقة ، ورجل قائم يصلى، فلما ركع وسجد تشهد ودعا فقال فى دعائه: اللهم إنى أسألك بأن لك الحمد ، لا إله إلا أنت بديع السموات والأرض ، يا ذا الجلال والإكرام ، يا حى يا قيوم ، فقال النبى ﷺ : « لقد سألت باسمه الأعظم الذى إذا دُعى به أجاب ، وإذا سُئل به أعطى »(٣) .

وفى« المسند » و « صحيح الحاكم »أيضاً ، عن شداد بن أوس رضي الله عنه قال: قال لى رسول الله:« يا شدادُ ، إذا رأيت الناس يكنزون الذهب والفضة ، فاكنُزْ هؤلاء الكلمات : اللهم إنى أسألك الثبات فى الأمر ،والعزيمة على الرشد ، وأسألك شكر نعمتك،وحسن عبادتك ،وأسألك قلباً سليماً ، ولساناً صادقاً ، وأسألك من خير ما تعلم ،وأعوذ بك من شر ما تعلم ، وأستغفرك لما تعلم ، إنك أنت علام الغيوب » (٤).

وفى الترمذى :أن حصين بن خلف الخزاعى رضي الله عنه ،قال له النبى ﷺ :« كم تعبد إلهاً»؟ قال :سبعة :ستة فى الأرض ،وواحد فى السماء .قال:« فأيهم تُعد لرغبتك ورهبتك» ؟ قال: الذى فى السماء . قال : « أما لو أسلمت لعلمتك كلمتين تنفعانك » ، فلما أسلم قال: يا رسول الله ،علمنى الكلمتين اللتين وعدتنى ، قال :« قل اللهم ألهمنى رُشدى، وقنى شرّ نفسى » حديث صحيح (٥).

وزاد الحاكم فيه فى « صحيحه »: « اللهم قنى شر نفسى ،واعزم لى على أرشد أمرى، اللهم اغفر لى ما أسررت وما أعلنت وما أخطأت وما تعمدت ، ما علمتُ وما جهلت» وإسناده على شرط « الصحيحين » (٦).

---

(١) الحاكم فى المستدرك (١/ ٤٩٩) فى الدعاء ، باب: ألظوا بياذا الجلال والإكرام ،وقال:«صحيح الإسناد . . . » ، ووافقه الذهبى .

(٢) أبو داود (١٥٢٢) فى الصلاة ، باب: فى الاستغفار ،ولم يعزه صاحب التحفة (٨/ ٤٠٦) للترمذى .

(٣) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٠٣ ، ٥٠٤) فى الدعاء ، باب: اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجاب وإذا سئل به أعطى ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه ،ووافقه الذهبى .

(٤) أحمد (٤/ ١٢٣) ،والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٠٨) فى الدعاء ، وقال : صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى.

(٥) الترمذى (٣٤٨٣) فى الدعوات ، باب: ٧٠ ، وقال : « غريب » .

(٦) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥١٠) فى الدعاء ، باب: دعاء وقاية شر النفس .

وفى « صحيح الحاكم » : عن عائشة قالت : دخل علىّ أبو بكر ﷺ فقال: هل سمعت من رسول الله ﷺ دعاء علمنيه ؟ قلت : ما هو ؟ قال: كان عيسى ابن مريم ﷺ يعلمه أصحابه ، قال: « لو كان على أحدكم جبل ذهب ديناً ، فدعا الله بذلك لقضاه الله عنه: « اللهم فارج الهم ، كاشف الغم ، مُجيب دعوة المضطرين ، رحمن الدنيا والآخرة ورحيمهما ،أنت ترحمنى فارحمنى رحمة تُغنينى بها عن رحمة من سواك» (١).

وفى « صحيحه » أيضاً عن أم سلمة عن النبى ﷺ : هذا ما سأل محمد ربه : «اللهم إنى أسألك خير المسألة ، وخير الدعاء ، وخير النجاح ،وخير العمل ،وخير الثواب ، وخير الحياة،وخير الممات ، وثبتنى ، وثقل موازينى ،وحقق إيمانى ،وارفع درجتى ،وتقبل صلاتى، واغفر خطيئتى،وأسألك الدرجات العلى من الجنة ، اللهم إنى أسألك فواتح الخير وخواتمه وجوامعه ،وأوله وآخره ، وظاهره وباطنه ، والدرجات العلى من الجنة آمين.

اللهم إنى أسألك خير ما آتى ، وخير ما أفعل ، وخير ما بطن، وخير ما ظهر والدرجات العلى من الجنة آمين .

اللهم إنى أسألك أن ترفع ذكرى ،وتضع وزرى ،وتصلح أمرى،وتطهر قلبى ،وتحصن فرجى ، وتنور لى قلبى، وتغفر لى ذنبى ،وأسألك الدرجات العلى من الجنة آمين .

اللهم إنى إسألك أن تبارك لى فى نفسى،وفى سمعى،وفى بصرى ،وفى روحى، وفى خلقى وفى خُلُقى وفى أهلى ،وفى محياى ،وفى مماتى ،وفى عملى ،وتقبل حسناتى ، وأسألك الدرجات العُلى من الجنة آمين» (٢) .

وفى« صحيحه » أيضاً من حديث معاذ قال: أبطأ عنا رسول الله ﷺ بصلاة الفجر حتى كادت أن تدركنا الشمس ، ثم خرج ، فصلى بنا فخفف ، ثم انصرف فأقبل علينا بوجهه فقال :« على مكانكم ،أخبركمْ ما أبطأنى عنكم اليوم ؟ إنى صليت فى ليلتى هذه ما شاء الله ،ثم ملكتنى عينى فنمت ،فرأيت ربى تبارك وتعالى ، فألهمنى أن قلت: « اللهم إنى أسألك الطيبات ، وفعل الخيرات ، وترك المنكرات ، وحبَّ المساكين ، وأن تتوب علىَّ، وتغفر لى وترحمنى ، وإذا أردت فى خلقك فتنة فنجنى إليك منها غير مفتون ، اللهم وأسألك حبك ، وحب من يُحبك ،وحب عمل يقربنى إلى حبك » ثم أقبل علينا

---

(١) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥١٥) فى الدعاء ، باب: دعاء قضاء الدين ، وقال : قد اجتمع البخارى بعبد الله ابن عمر النميرى وهذا حديث صحيح غير أنهما لم يحتجا بالحكم بن عبد عبد الله الأيلى ، ووافقه الذهبى .

(٢) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٠) فى الدعاء ، باب: الدعاء الجامع ، وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه »، ووافقه الذهبى .

رسول الله ﷺ فقال : « تعلموهن وادرسوهن، فإنهن حق» ورواه الترمذى والطبرانى وابن خزيمة وغيرهم بألفاظ أخر (١).

وفى « صحيح الحاكم » أيضاً : عن ابن عباس قال : كان النبى ﷺ يدعو :« اللهم قنعنى بما رزقتنى ،وبارك لى فيه ، واخلفْ على كل غائبة لى بخير » (٢).

وفيه عن أنس بن مالك : أن رسول الله ﷺ كان يقول : « اللهم انفعنى بما علمتنى ، وعلمنى ما ينفعنى ، وارزقنى علماً ينفعنى »(٣).

وفيه أيضاً عن عائشة : أن رسول الله ﷺ أمرها أن تدعو بهذا الدعاء:« اللهم إنى أسألك من الخير كله عاجله وآجله ،ما علمت منه وما لم أعلم ، وأعوذ بك من الشر كله عاجله وآجله ما علمت منه وما لم أعلم ، وأسألك الجنة وما قرب إليها من قول أو عمل ، وأعوذ بك من النار ، وما قرب إليها من قول أو عمل وأسألك من خير ما سألك عبدك ورسولك محمد ﷺ ، وأعوذ بك من شر ما استعاذ بك منه عبدك ووسولك محمد ﷺ ، وأسألك ما قضيت لى من أمر أن تجعل عاقبته رشدا » (٤).

وفيه عن أبى هريرة : أن رسول الله ﷺ أوصى سلمان الخير فقال له: « إنى أريد أن أمنحك كلمات تسألهن الرحمن ، وترغب إليه فيهن ،وتدعو بهن فى الليل والنهار، قل : اللهم إنى أسألك صحة فى إيمان ،وإيمان فى حسن خُلق، ،ونجاحاً يتبعه فلاح، ورحمة منك وعافية، ومغفرة منك ورضواناً »(٥).

وفيه أيضاً : عن أم سلمة عن النبى ﷺ أنه كان يدعو بهؤلاء الدعوات: « اللهم أنت الأول لا شىء قبلك ، وأنت الآخر لا شىء بعدك ، أعوذ بك من كلّ دابة ناصيتها بيدك، وأعوذ بك من الإثم والكسل ، ومن عذاب القبر ، ومن فتنة الغنى ، ومن فتنة الفقر ، وأعوذ بك من المأثم والمغرم ، اللهم نق قلبى من الخطايا كما نقيت الثوب الأبيض من

---

(١) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٩) فى الدعاء ، باب: أمر الرب تبارك وتعالى نبيه ﷺ ان يقول : اللهم إنى أسألك الطيبات وترك المنكرات ، والترمذى (٣٢٣٥) فى تفسير القرآن ، باب : ومن سورة ص ، وقال: «حسن صحيح » ، والطبرانى فى الكبير ٢٠/ ١٤١ ، ١٤٢ (٢٩٠) ، وأحمد (٥/ ٢٤٣) .

(٢) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥١٠) فى الدعاء ، وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(٣) الحاكم فى المستدرك(١/ ٥١٠) فى الدعاء ، باب: دعاء حصول النفع بالعلم ،وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(٤) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢١ ، ٥٢٢) فى الدعاء ، باب: الدعاء الجامع الجامع الكامل وقال: « صحيح الإسناد ولم يخرجاه »،ووافقه الذهبى .

(٥) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٣) فى الدعاء ، باب : الدعاء الذى علم النبى ﷺ سلمان الخير ، وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » وسكت عن الذهبى .

الدنس،اللهم بعّد بينى وبين خطيئتى كما بعّدْت بين المشرك والمغرب»[١].

وفى « مسند الإمام أحمد » و « صحيح الحاكم » أيضاً ، عن عمار بن ياسر ﷺ ، أنه صلى صلاة أوجز فيها ،فقيل له فى ذلك، قال : لقد دعوت الله فيها بدعوات سمعتهن من رسول اللّه ﷺ :« اللهم بعلمك الغيب ، وقدرتك على الخلق، أحينى ما علمت الحياة خيراً لى ،وتوفنى إذا علمت الوفاة خيراً لى ،اللهم وأسألك خشيتك فى الغيب والشهادة ، وأسألك كلمة الحق فى الغضب والرضا،وأسألك القصد فى الفقر والغنى ، وأسألك نعيماً لا ينفد ،وأسألك قُرة عين لا تنقطع ،وأسألك الرضا بعد القضاء، وأسألك برد العيش بعد الموت ،وأسألك لذة النظر إلى وجهك ،وأسألك الشوق إلى لقائك، من غير ضراء مضرة ، ولا فتنة مضلة ، اللهم زينا بزينة الإيمان ،واجعلنا هداة مهتدين »[٢] .

وفى « صحيح الحاكم » أيضاً : عن ابن مسعود قال: كان من دعاء رسول اللّه ﷺ: «اللهم إنا نسألك موجبات رحمتك ،وعزائم مغفرتك، والسلامة من كل إثم، والغنيمة من كل برّ، والفوز بالجنة ، والنجاة من النار » [٣].

وفيه أيضاً : عن رسول اللّه ﷺ أنه كان يدعو :« اللهم احفظنى بالإسلام قائماً ، واحفظنى بالإسلام قاعداً، واحفظنى بالإسلام راقداً ، ولا تُشمّتْ بى عدوا حاسداً ، اللهم إنى أسألك من كل خير خزائنه بيدك، وأعوذ بك من كل شر خزائنه بيدك » [٤].

وعن النواس بن سمعان : سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: « ما من قلب إلا بين إصبعين من أصابع الرحمن ، إن شاء أقامه، وإن شاء أزاغه »[٥] .

وكان رسول الله ﷺ يقول :« يا مُقلب القلوب ، ثبت قلبى على دينك ، والميزان بيد الرحمن عز وجل، يرفع أقواما ويخفض آخرين إلى يوم القيامة » حديث صحيح رواه الإمام أحمد والحاكم فى « صحيحه »[٦] .

وفى « صحيح الحاكم » أيضاً عن ابن عمر ، أنه لم يكن يجلس مجلساً ـ كان عنده

---

(١) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٤) فى الدعاء ، وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(٢) أحمد (٤/ ٢٦٤) ، والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٤ ، ٥٢٥) فى الدعاء ، باب: دعاء عمار بن ياسر ﷺ الذى كان يدعو به فى الصلاة ، وقال : « صحيح الإسناد ولم يخرجاه »، ووافقه الذهبى .

(٣) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٥) فى الدعاء ، وقال:« صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه »،ووافقه الذهبى.

(٤) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٥) فى الدعاء ، باب: كان يدعو :اللهم احفظنى بالإسلام قائما ،وقال: « صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه » ،وتعقبه الذهبى وقال: « أبو الصهباء لم يخرج له البخارى » .

(٥ ، ٦) أحمد (٤/ ١٨٢)، والحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٥) فى الدعاء باب: ما من قلب إلا بين أصبعين من أصابع الرحمن ، وقال : « صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

أحد أو لم يكن ـ إلا قال: « اللهم اغفر لى ما قدمت وما أخرت، وما أسررت وما أعلنت وما أسرفت، وما أنت أعلم به منى ، اللهم ارزقنى من طاعتك ما تحول به بينى وبين معصيتك ، وارزقنى من خشيتك ما تبلغنى به رحمتك ، وارزقنى من اليقين ما تهون به علىّ مصائب الدنيا، وبارك لى فى سمعى وبصرى ، واجعلهما الوارث منى ، اللهم اجعل ثأرى على من ظلمنى ، وانصرنى على من عادانى ، ولا تجعل الدنيا أكبر همى ، ولا مبلغ علمى، اللهم لا تسلط علىّ من لا يرحمنى ». فسئل عنهن ابن عمر فقال: كان رسول اللّه ﷺ يختم بهن مجلسه (١) (٢).

فصل جامع
فى فتاوى النبى ﷺ فى الذكر والدعاء

سئل ﷺ : أى المجاهدين أعظم أجراً ؟ قال: « أكثرهم ذكراً لله » ، قيل: فأى الصائمين أعظم أجراً ؟ قال: « أكثرهم للّه ذكراً» ، ثم ذكر الصلاة والزكاة والحج والصدقة كل ذلك يقول: « أكثرهم للّه ذكراً »، فقال أبو بكر لعمر رضي الله عنهما: ذهب الذاكرون بكل خير ، فقال رسول اللّه ﷺ : « أجل» . ذكره أحمد (٣).

وسئل ﷺ عن المفردين الذين هم أهل السبق ، فقال: « الذاكرون للّه كثيراً ، وفى لفظ : « المشتهرون بذكر اللّه ، يضع الذكر عنهم أثقالهم فيأتون يوم القيامة خفافاً » . ذكره الترمذى(٤) .

وسئل ﷺ عن أهل الجنة ، فقال: «حِلَقُ الذكر»(٥).

وسئل ﷺ عن أهل الكرم الذين يقال لهم يوم القيامة : سيعلم أهل الجمع من أهل الكرم ،فقال: « هم أهل الذكر فى المساجد » ذكره أحمد (٦).

وسئل عن غنيمة مجالس الذكر ، فقال: « غنيمة مجالس الذكر : الجنة » . ذكره أحمد (٧).

---

(١) الحاكم فى المستدرك (١/ ٥٢٨) فى الدعاء ، باب:الدعاء الجامع الذى يختم به المجلس ، وقال: « صحيح على شرط البخارى ولم يخرجاه » ، ووافقه الذهبى .

(٢) الوابل الصيب (٣٣١ ـ ٣٣٤) . (٣) أحمد (٣/ ٤٣٨) .

(٤) الترمذى (٣٥٩٦) فى الدعوات ، باب : فى العفو والعافية ، وقال: « حسن غريب » .

(٥) أحمد (٣/ ١٥٠) (٦) أحمد (٣/ ٦٨) .

(٧) أحمد (٢/ ١٧٧) .

وسئل ﷺ عن قوم غزوا فقالوا : ما رأينا أفضل غنيمة ، ولا أسرع رجعة منهم ، فقال : « أدلكم على قوم أفضل غنيمة منهم ، وأسرع رجعة ، قوم شهدوا صلاة الصبح، ثم جلسوا يذكرون الله حتى طلعت الشمس، فأولئك أسرع رجعة وأفضل غنيمة » . ذكره الترمذى (١).

وسئل ﷺ عن خيار الناس ،فقال :« الذين إذا رأوا ذكر الله ذكروا ».ذكره أحمد(٢).

وسئل ﷺ عن خير الأعمال وأزكاها عند الله وأرفعها فى الدرجات ، فقال: « ذكره الله »، ذكره أحمد (٣).

وسئل ﷺ :أى الدعاء أسمع؟ فقال:« جوف الليل الآخر،ودبر الصلوات المكتوبات». ذكره أحمد (٤)، وقال: « الدعاء بين الأذان والإقامة لا يُرد» ، قالوا: فماذا نقول يا رسول الله ؟ قال: « سلوا الله العافية فى الدنيا والآخرة » . ذكره الترمذى (٥).

وسئل ﷺ : بأى شىء نختم الدعاء ؟ فقال : « آمين ». ذكره أبو داود .

وسئل ﷺ عن تمام النعمة ،فقال: « الفوز بالجنة والنجاة من النار ».ذكره الترمذى(٦)، فنسأل الله تمام نعمته بالفوز بالجنة والنجاة من النار .

وسئل ﷺ عن الاستعجال المانع من إجابة الدعاء ، فقال: « يقول: قد دعوت ، قد دعوت فلم يُستجب لى، فيستحسر عند ذلك ويدع الدعاء » ، ذكره مسلم (٧). وفى لفظ : «يقول: قد سألت ، قد سألت فلم أعط شيئاً » .

وسئل ﷺ عن الباقيات الصالحات ، فقال: « التكبيرُ والتهليل والتسبيح والتحميد،ولا حول ولا قوة إلا بالله» . ذكره أحمد (٨).

وسأله ﷺ الصديقُ رضي الله عنه أن يُعلمه دعاء يدعو به فى صلاته ، فقال: « قل: اللهم

---

(١) الترمذى (٣٥٦١) فى الدعوات ،باب: (١٠٩) ، وقال: « غريب لا نعرفه إلا من هذا الوجه » .

(٢) أحمد (٤/ ٢٢٧) .

(٣) أحمد (٥/ ٢٣٩) .

(٤) أحمد (٤/ ٣٨٥ ، ٣٨٧)

(٥) الترمذى (٣٥٩٤) فى الدعوات ، باب : فى العفو والعافية ، وقال: « حسن ».

(٦) الترمذى (٣٥٢٧) فى الدعوات ، باب: (٩٤) ، وقال: « حسن ».

(٧) مسلم (٢٧٣٥/ ٩٢) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: بيان أنه يستجاب للداعى ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لى .

(٨) أحمد (٣/ ٧٥) .

إنى ظلمت نفسى ظلما كثيرا ، وإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لى مغفرة من عندك وارحمنى ،إنك أنت الغفور الرحيم » . متفق عليه (١).

وسأله ﷺ الأعرابىُّ الذى علمه أن يقول:« لا إله إلا الله وحده لا شريك له ، الله أكبر كبيراً ، والحمد للّه كثيراً ، وسبحان اللّه رب العالمين ، ولا حول ولا قوة إلا بالله العزيز الحكيم ».فقال : هذا لربى فما لى ؟ فقال: « قل اللهم اغفر لى وارحمنى ، واهدنى وارزقنى وعافنى ؛ فإن هؤلاء تجمع لك دنياك وآخرتك ». ذكره مسلم(٢) .

وسئل ﷺ عن رياض الجنة ، فقال: « المساجد »، فسئل ﷺ عن الرَّتع فيها ، فقال: «سبحان اللّه ، والحمد للّه ، ولا إله إلا الله، والله أكبر ». ذكره الترمذى (٣).

واستفتاه ﷺ رجلٌ فقال: لا أستطيع أن آخذ من القرآن شيئاً فعلمنى ما يجزينى ، قال: « قل :سبحان الله ،والحمد لله ، ولا إله إلا الله ، والله أكبر ، ولا حول ولا قوة إلا بالله ». قال: يا رسول الله،هذا لله ،فما لى؟ قال :« قل: اللهم ارحمنى وعافنى ، واهدنى وارزقنى »، فقال: هكذا بيده وقبضها، فقال رسول اللّه ﷺ : « أما هذا فقد ملأ يده من الخير». ذكره أبو داود (٤).

ومرّ ﷺ بأبى هُريرة وهو يغرس غرْساً ، فقال: « ألا أدلك على غِراس خير لك من هذا؟سبحان اللّه ،والحمد للّه ، ولا إله إلا اللّه،واللّه أكبر ، يغرس لك بكل واحدة شجرة فى الجنة » .ذكره ابن ماجه (٥).

وسئل ﷺ : كيف يكسب أحدُنا كل يوم ألف حسنة ؟ قال: « يسبح مائة تسبيحة، يكتب له ألف حسنة أو يحط عنه خطيئة ». ذكره مسلم (٦).

وأفتى ﷺ من قال له : لدغتنى عقرب ، بأنه لو قال حين أمسى: « أعوذ بكلمات اللّه التامات من شر ما خلق ، لم تضره » . ذكره مسلم (٧).

وسأله ﷺ رجلٌ أن يعلمه تعوذا يتعوذ به ،فقال:« اللهم إنى أعوذ بك من شر

---

(١) البخارى (٨٣٤) فى الأذان ، باب: الدعاء قبل السلام ، ومسلم (٢٧٠٥ / ٤٨) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب : استحباب خفض الصوت بالذكر .

(٢) مسلم (٢٦٩٦/ ٣٣) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

(٣) الترمذى (٣٥٠٩) فى الدعوات ، باب: (٨٣) ، وقال : « حسن غريب » .

(٤) أبو داود (٨٣٢) فى الصلاة ، باب : ما يجزئ الأمى والأعجمى من القراءة .

(٥) ابن ماجه (٣٨٠٧) فى الأدب ، باب: فضل التسبيح ، وفى الزوائد : « إسناده حسن » .

(٦) مسلم (٢٦٩٨ / ٣٧) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ، باب: فضل التهليل والتسبيح والدعاء .

(٧) مسلم (٢٧٠٩) فى الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار، باب: فى التعوذ من سوء القضاء ودرك الشقاء وغيره .

سمعى، وشر بصرى ، وشر لسانى ، وشر قلبى ، وشر هَنى » يعنى : الفرج . ذكره النسائى[١] .

وسئل ﷺ عن كيفية الصلاة عليه. فقال: « قولوا : اللهم صلّ على محمد، وعلى آل محمد ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم ؛ إنك حميد مجيد ، وبارك على محمد وعلى آل محمد ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم إنك حميد مجيد » . متفق عليه[٢] [٣].

(١) النسائى (٥٤٨٤) فى الاستعاذة ، باب: الاستعاذة من شر الذكر .

(٢) البخارى (٣٣٧٠) فى الأنبياء، باب:حديث أبى ذر : أى مسجد وضع فى الأرض أول ، ومسلم (٦٦/٤٠٦) فى الصلاة ، باب: الصلاة على النبى ﷺ بعد التشهد .

(٣) إعلام الموقعين (٤/ ٣٨٦ ـ ٣٨٩) .